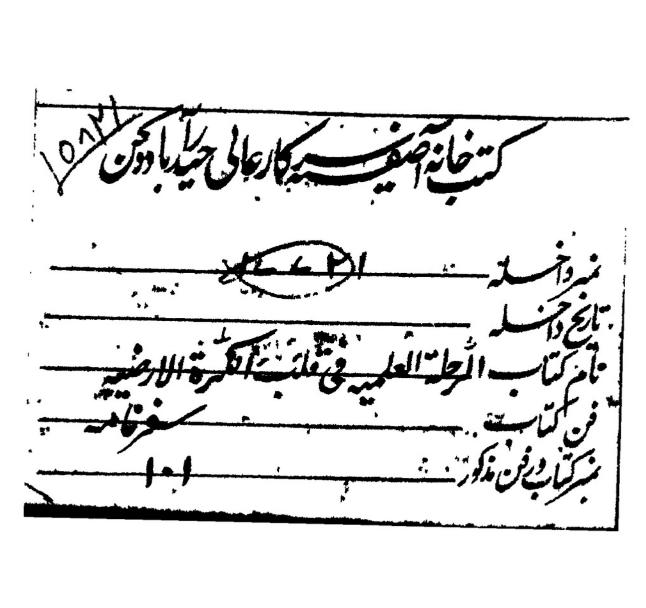

کتب خانہ آصفیہ سرکار عالی حیدرآباد دکن
۱۵۸۲۱
نمبر داخلہ ۱۲۷۲
تاریخ داخلہ
نام کتاب الرحلات العلمیہ فی قلب الکرۃ الارضیہ
فن کتاب سفرنامہ
نمبر کتاب در فن مذکور ۱۰۱

الرحلة العلمية

في قلب الكرة الأرضية

معرّبة بتصرف

بقلم

الفقير إليه تعالى

اسكندر افندى عمون

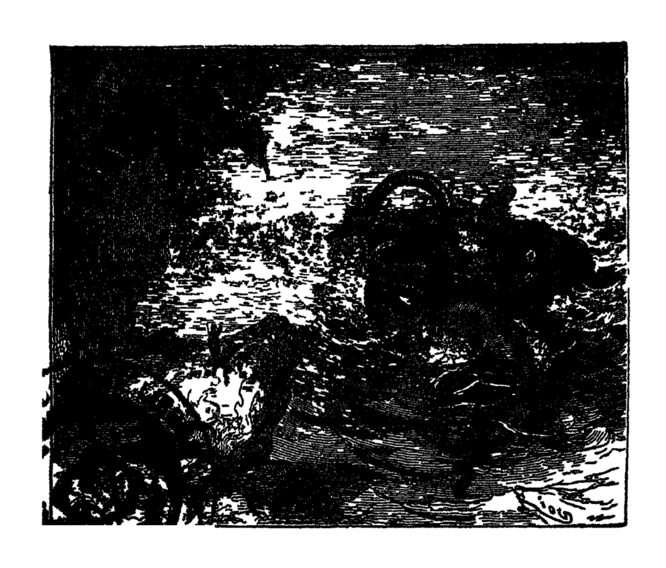
وكيل الحضرة الخديوية لدى محكمة مصر الابتدائية الاهلية

حقوق إعادة طبعها محفوظة لمعربها

المطبعة [illegible] سنة [illegible] ١٩٠٥ — ١٣٢٣

اهداء الكتاب

اما بعد فهذه رواية الرحلة العلمية في قلب الكرة الارضية اخترت تعريبها من مؤلفات العلامة الشهير جول فيرن الفرنساوي التي وضعها على اسلوب الحكايات وضمّنها من المطالب العلمية والمباحث الادبية اعمها نفعًا واحسنهـا لدى النفوس وقعًا وقد تصرفت في تعريب معانيها وترجمة مبانيها بما ناسب اللغة العربية حتى جآت مع مطابقة الاصل موافقة لذوق ذوي الادب من ابناء العرب واهديتها للامير الجليل والسيد النبيل صاحب الفضل المشهور والاثر المنشور مولاي عطوفتلو عبد الرحمن باشا رشدي ناظر ديوانَي المعارف والاشغال العمومية وناشر لوأي العلم والادب في الديار المصرية فاولاها من حسن القبول ما قضى بهِ كرم فضائله ولطف شمائله ادامه الله عونًا للعلم وابنائه وعقدًا للفضل واوليائه



الفصل الاول

حدث اكسيل ليدنبروك عن نفسه قال — ولدت في اواخر سنة ١٨٤٤ في مدينة همبرج من مدن المانيا وما كدت ابلغ الحلم الا وانا يتيم من الاب والام وكان لي عم صرور يدعى اوتوليدنبروك فاحتضنني واعتنى بامري وكان عندي بمثابة الوالد وانا عنده بمنزلة الولد وكان قد تبنى ابنةً يتيمة من اقاربنا تسمى غريبه تقاربني في السن ولكونها من اترابي تخذتها رفيقةً لي في العابي وربيت على حبها فلم يكن يطيب لي عيش الا بالقرب منها وكان في البيت خادمة مسنة تدعى مرتا وهي التي باشرت امر تربيتي وتربية ابنة عمي وكانت سليمة القلب صافية النية صادقة الطوية على جانب عظيم من السذاجة تحبنا محبة الوالدة لاولادها او اشد ونحن نحبها لذلك ونكرمها واما عمي فكان حاد الطبع صعب المراس ألوى بعيد المستمر اذا طلب شيئًا هجر الوسن في

سبيل ادراكه وإذا كلف نفسه امراً عكف عليه وانقطع اليه فلا يهاملة بملل قبل ان يقضيه وكان عجولاً عنيفًا مستبدًا برأيه وبحكمه فكان اهل بيته يخشونه ويتقون شره على انه لم يكن في الحقيقة شريرًا ولكن الحدة كانت غالبة عليه متسلطة على ارادته بل كان مجبولاً عليها من طبيعته وهو طويل القامة رقيق الجسم عصبي المزاج اشقر اللون ازرق العينين كبيرها على ان عينيه كانتا متواريتين غالبًا وراء نظارته العظيمة الحجم حيث كان لا يزال يقلبها بين الارض والسماء وكان انفه طويلاً رقيقًا كانه نصلة مدية وقد زعم البعض انه ممغنط بحيث يجذب الحديد وهو اختلاق صرف وإفتراء محض فانه ما كان يجذب الا السعوط ولكن بكمية وافرة

وكان الاستاذ اوتو من علماء الجيولوجيا والمعادن الذين يشار اليهم بالبنان فانه كان من مجرد رائحة المعدن او منظره او صلابته او رنته او طعمه او من كيفية ذوبانه او من صوت كسره يعرف حقيقته ويعينه من بين الستمائة نوع المعروفة وقد بلغ من الشهرة مبلغًا عظيمًا حتى ان كثيرين من علماء العصر سعوا اليه وزاروه في منزله منهم همفري ديفي وهمبولد وسابين وكان كثيرون من العلماء يسترشدون برأيه في ادق المسائل الكيماوية كبيكريل وايلمن وبروستر ودوماس وميلن ادواردس وسنت كلير دوفيل لانه توصل في هذا العلم الى اكتشافات مهمة ورفع النقاب عن اسرار غامضة وقد وضع في التبلور النظري كتابًا طبع في مدينة ليبسيك سنة ١٨٥٣ ولكن ذلك الكتاب مع ما حواه من فرائد الفوائد لم يقم بنفقة طبعه

وكان عمي من جملة اساتذة المدرسة الكبرى بهمبرج حيث كان يدرس علم المعادن وكان كلما القى درسًا لا بد ان تأخذه الحدة مرة او مرتين على الاقل ذلك انه كان في لسانه ثقل في النطق وحبسة في الكلام وكانت تزداد لعثمته اذا قام في منبر الخطابة فان علم المعادن يشتمل على كلمات متعقدة لم يكن



وهو طويل القامة رقيق الجسم (صفحة ٤)

طق بها لسان الاستاذ الا بعد التردد الشديد والمقاومة العنيفة فطالما وقف
، اثناء خطابه يحاول لفظ كلمة من تلك الكلمات الثقيلة وبعد الجهد والمشقة
طق لسانه بلعنة او لفظة شتم بدلا من ان ينطق باسم من الاسماء العلمية

يستصعب النطق الصريح لسانه   ويجئ بعد عنائه بالمبهم
واذا عصاه مراده يعتاضه   بالسب والقول الشديد المؤلم

نعم ان تلك الكلمات المركبة من اللاتينية واليونانية يصعب لفظها على
كثيرين كحيليلنيت وفنجاسيت وملبدات الرصاص وتجستات المغنيسيا وتيتانيات
لزيرقون فلا عجب اذا تعذر لفظها على لسان ألكن ولا حرج عليه بذلك

على ان كثيرين من ظرفاء المدينة كانوا يأتون المدرسة لمجرد حضور مقالات الاستاذ اوتوليدنبروك وكانوا يقفون له بالمرصاد عند المواقع الخطرة اي الكلمات الثقيلة فاذا تلعثم لسانه عندها طفقوا يضحكون فيزداد الاستاذ غيظاً ويستشيط غضباً من تلك الكلمة المستعصية فاذا اعاد لفظها وهو في تلك الحالة من الحدة ازداد شططاً ولم يطق لسانه الا بفرقعة عنيفة تنحلي بعد برهة عن لعنة بسيطة

وكان عمي في الوقت نفسه متوليًا حفظ مجموعة الموسيو استروف سفير الروسية التي كانت من الانسكلنات المشهورة في جميع اوروبا

واما سكنه فكان في المنزل نمره ١٩ بشارع كونيغستراس الذي نجا من حريق سنة ١٨٤٢ وهو اقدم شوارع المدينة وبيته من اقدم بيوت الشارع المذكور نصفه مبني بالخشب والنصف الآخر بالطوب وكان مختلاً قليلا بحيث ان احد حيطانه كان مائلا نحو الشارع وسطحه منحنيًا الى الوراء كقبعة عساكر البحرية ومع ذلك فقد الفناه على تلك الحالة ولعله لم يسقط لانه كان متكئًا على شجرة دردار قائمة بلصق الحائط

وما حسن بيت له زخرف   تراه اذا زالت لم يكن

وكان عمي قد اتخذني مساعدًا له في امتحاناته وتحضيراته الكيمياوية وكنت مائلاً بالطبع الى علم المعادن ولذلك كنت اتلقى الدروس عنه باجتهاد وانتباه زائدين ولم اكن امل من الاقامة بين شذور مجموعته الثمينة لا سيما اذا كانت ابنة عمي معي

وبالجملة فان ايامنا التي قضيناها في ذلك البيت كانت هنيئةً وعيشتنا فيه رغيدة رغما عما كان يخامرها من الكدر بسبب حدة عمي وهياجه وتقارب غضبه لاسيما انه كان يحبني محبةً شديدة هذا فضلاً عن اننا مع الوقت الفناه على علاته وتعودنا على معاملاته وكنا نعذره لعلمنا ان تلك الطباع متمكنة منه متسلطة



واما سكنة فكان في المنزل (ره ١٩ (صفحة ٦)

على نفسه فكان اذا زرع نباتًا واستبطأ نموه يأتيه في كل يوم ويجذبه من اوراقه بقصد تعجيل نموه واذا مشى قاصدًا جهة من الجهات ينهب الارض نهبًا وهو يعدو الجمزى وكفاه منقبضتان شأن الرجل العنيف الطباع ولذلك كان ينفر منهُ كل من يراه عند اول وهلة وكثيرًا ما كان يكسر ادواته الكيمياوية لاستعماله اياها بالعنف والقسوة

يستحضر الجسم المراد بحكمةٍ ويَنال من اعماله المطلوبا
لكن اذا مسَّ الجهاز بقوةٍ اذرى الوقود وكسَّر الانبوبا

الفصل الثاني

في يوم الخميس الواقع في ٢٤ مايو سنة ١٨٦٣ خرج عمي من البيت صباحاً كجاري عادته وكان لا يعود عادةً الا لمناولة الطعام اذا انتصف النهار فقمت بعد خروجه بساعة الى شرفة من شرف المنزل اتنسم الهواء النقي وأسرح الطرف في الخلاء وبينما انا على ذلك حانت مني التفاتة الى الشارع فرأيت عمي عائداً الى المنزل بسرعة غير سرعته الاعتيادية وكانت الخادمة مرتا بجانبي فظنت انها تأخرت في الطبخ عن الميعاد لان الطعام كان لم ينضج بعد بل لم يكن للقدر غطغطة فقالت في نفسي ان كان عمي جائعاً مع ما هو عليه من قلة الصبر فسنرى منه الساعة شراً عظيماً ثم أفهمت مرتا ان عمي عاد قبل ميعاده ولذلك لاحرج عليها اذا لم تكن هيأت الطعام فسكن جاشها وقالت واي داعٍ اذن لحضوره في مثل هذه الساعة فوالله ما اتانا مرةً قبل الميعاد الا لامر عظيم ثم انصرفت الى المطبخ بعد ان اوصتني بتسكين غضبه اذا ما اخذه الغضب على اني كنت ابعد الناس عن اتباع مشورة مرتا لاني كنت ادراهم بطباع عمي وعاده ولذلك عزمت على دخول غرفتي لاتوارى عن نظره فلم اشعر الا وقد فتح الباب الخارجي ثم ردّه بقوة وعنف فاهتزت جدران البيت بينما كانت قوائم السلم الخشبية ترقص تحت وطأة الاستاذ وحينما دخل القاعة رمى بعصاه احدى زواياها والقى قبعته الواسعة على الطاولة وابتدرني بهذه الكلمات : يا اكسيل اتبعني ودخل مخدعه فهرولت نحوه مسرعاً خوفاً من ان يستبطئني ومع ذلك فما ادركته الا وقد فرغ صبره

وكان مخدع الاستاذ متحفاً حقيقياً يحتوي على جميع اجناس المعادن وانواعها وهي موضوعة فيه بغاية الترتيب والانتظام مقسومة الى اقسام ثلاثة بحسب التقسيم العام قسم للمعادن القابلة الاشتعال وقسم للمعادن الفلزّية وآخر للمعادن الليثية وكنت اعرف تلك الشذور والاركزة حق المعرفة بل كنت

. كلفًا بها كلف العاشق بمعشوقته فكم من يوم صرفتهُ في تنظيفها وفرزها بدلاً من ان اصرفه في اللعب مع اقراني وكم من ليلةٍ احييتها بالتأمل فيها اجيل الطرف بين البلمباجين والانتراسيت والخث واللكنيت والزفت والبيت والحمر والكبريت والفناديوم والروبيديوم والزركونيوم والليثيوم والغلوسينيوم والكلسيوم والسترنتيوم والتربيوم واليتريوم والاربيوم والسريوم والديديميوم والروثينيوم والروديوم والنيوبيوم والباريوم والبلاديوم والاسميوم والاريديوم وسائر المعادن الفلزيّة والاملاح العضوية وكلها متساوية في القيمة من حيث الفائدة العلمية بيد اني لما دخلت المخدع على اثر عمي لم انظر الى هذه الدرر ولا افتكرت فيها لانني كنت مشغولا عنها بعمي وكان وقتئذٍ جالسًا على كرسيه محدقًا نظره الى كتاب بيده يتصفحه مرددا عبارات الاعجاب والابتهاج وكان ولوعًا بالكتب مغرمًا بجمعها ولكنه لم يكن يعتبر كتابًا الا اذا كان نادر الوجود او كان على الاقل باليًا رثًا بحيث تتعذر قرآته وبعدان وقفت امامه برهة نظر اليَّ بوجهٍ متهلل فرحًا وقال ما قولك في هذا الكتاب انهُ لكنز ثمين وقد عثرت عليه في هذا الصباح في دكان هيفيليوس اليهودي فاجبته في الواقع هو درة يتيمة

على اني لم اكن اعرف ما هو ذلك الكتاب ولكن لم يكن في وسعي الا الاقرار على رأي عمي وكان يقلبه بين يديه ولوائح الرضا والابتهاج تلوح على وجهه وهو يخاطب نفسه ويجاوبها قائلا هل من كتاب اثمن منهُ كلا فلله در مؤلفه ودر مجلده فما احكم جمعه واتقن صنعه وما اطوعه اذا فتح وما اضبطه اذا اغلق فشتان بين مجلده وامهر مجلدي هذا العصر بل من يراه ويظن ان لهُ في عالم الوجود اكثر من مائة سنة مع انهُ قد تجاوز عشرة الاجيال بخ بخ بد بد

وكان في اثناء ذلك يفتح الكتاب ويطبقه ويأخذه تارةً باليمين وطوراً بالشمال فلم يسعني الاَّ ان اسألهُ عن موضوعه وكنت اتظاهر بالاندهاش لحسن

ذلك الكتاب مجاراةً له ورغبةً في ارضائه فاجابني بعجب وافتخار قائلاً

تسألني عن هذا الكتاب فاعلم انه كتاب الحيوان تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ امام الفصحاء والمتكلمين الذي توفي في اواسط الجيل الثالث للهجرة

فقلت أليس هو الذي قيل فيهِ

لو يمسخ الخنزير مسخًا ثانيًا ما كان الادون قبح الجاحظِ

قال بل هو الذي قيل فيه مما فضل الله تعالى به امة الاسلام على غيرها من الامم عمر بن الخطاب بسياستهِ والحسن البصري بعلمهِ والجاحظ ببيانهِ

قلت وهل هذه هي ترجمة ذاك التأليف الى اللغة الالمانية

قال أفٍ لك وما هي قيمة الترجمة فهل تظن اني كنت اكترث بها فاعلم ان هذا الكتاب هو التأليف الاصلي الذي وضعه مؤلفه في اللغة العربية اشرف اللغات واغناها وان هجرها الجاهل وعاداها

قلت وهل حرفه جميل

فنظر اليَّ الاستاذ شزرًا وقال اتحسبه مطبوعًا يا غافل مع ما رأيت من شغفي به فاعلم انه كتب اليد بالخط الكوفي الذي اخذته طي عن كاتب الوحي للنبي هود عليه السلام

ثم اردف كلامه قائلاً انظر الى هذه الكتابة ايها الغر الجاهل وتأمل هذه الحروف ايها الكافر ولتأخذنك الدهشة من هذه الرموز الالهية

وكان يقول هذا الكلام بجدة وحرارة ونظره هائم في قفار التصور وكانت حالته اشبه بحالة رجل سلب عقله او غاب رشده ولا حرج عليه فان العلم كان معبوده والعلماء رسله وانبياءه واما انا فلما لم اجد لديَّ جوابًا ابديه هممت بان اجثو على ركبتي احترامًا للكتاب واجلالاً لرموزه غير انه عرض امر حوَّل الحديث عن موضوعه وكفاني عناء الركوع . ذلك انه سقط من الكتاب بينما كان عمي يقلبه

بيديه رقعة قذرة صفراء كانت محفوظة فيه فانقض عمي عليها انقضاض البازي على البغاث وانتشلها ويداه ترتجفان ثم بسطها بحرص واعتناء على مكتبه وكان طولها نحو خمس اصابع وعرضها نحو ثلاث وعليها كتابة حروفها عربية الاَّ ان كلماتها بربرية

ولما كانت هذه الكتابة قد حملتني وعمي على سفرة لم تخطر ببال عاقل من اهل العصر التاسع عشر فقد حفظت رسمها وهذه صورتها

مهران ينلخاس سكقاها وليوان نسلالا كقايظلك سيوفير ريسيب رطنيتة اضورله اريتاو نارزلف الهكفن الشسيم

الفصل الثالث

تأمل الاستاذ هذه الكتابة برهةً ثم نظر اليَّ وقال لاشك ان هذه الاحرف عربية ولكن كلماتها بربرية لا ارى لها معنىً

فقلت لهُ من اين لنا ان نحكم بانها عربية مع علمنا ان حروف اللغات العربية والفارسية والتركية واحدة في الرسم

قال لا فان هاتين اللغتين تشتملان على حروف اربعة لا وجود لها في اللغة العربية وهي الباء والجيم والزاي والكاف الفارسيات والحال اني لا ارى منها شيئًا في هذه الرقعة مع انها تشتمل على اربعة وثمانين حرفًا

وكان الاستاذ يعرف جميع اللغات المألوفة لا اريد بذلك لغات الارض اجمع التي يبلغ عددها نحو الالفين فضلاً عن الالسن التي تبلغ اربعة الاف بل الشهيرة منها وبينما نحن على ذلك دق ناقوس الظهر وفي ذلك الوقت فتحت مرتا الباب وقالت: سكبت الشوربا:

فاجابها عمي لعنة الله على الشوربا والف لعنة على من طبخها وعلى من ياكلها

واما مرتا فلم تسمع اخر العبارة لانها هربت من اول لعنة فتبعتها على وجل وجلست على المائدة في محلي المعتاد وبعد ان انتظرت الاستاذ برهة ولم يحضر ايقنت ان لا فائدة من انتظاره فاكلت على عجل وانا خائف من ان يفتقدني ولا يراني في مخدعه فينفذ فيَّ غائلة غضبه المسبب من الرقعة ومع ذلك فقد وجدت الطعام لذيذًا جدًا ولعل ذلك ناتج عن اللعنة التي افرغها عمي عليهِ وقبل ان افرغ من الاكل ناداني الاستاذ بصوته الجهوري فوثبت مذعورًا ودخلت مخدعه باقل من طرفة عين فسمعته يقول لا شك ان هذه الحروف عربية ولكن في هذه الكتابة سرًا لا بد لي ان اقف عليهِ ثم نظر اليَّ وقال اجلس امام هذه الطاولة واكتب

ففي الحال جلست في المحل المعين واخذت القلم بيدي وبعد برهة قال لا بد ان تكون هذه الكتابة منقلبة الوضع وان كانت كذلك فلا بد انها تشتمل على اكتشاف عظيم او سر من الاسرار الغامضة ولكن من لي بمفتاح هذا المعى وكيف الوصول الى معرفة الوضع الاصلي

اما انا فكنت ارى ان تلك الكتابة خالية من المعنى من اصل وضعها على اني لم ابدِ ذلك الرأي لاني كنت ارى اصابع الاستاذ تضطرب اضطرابًا مخيفًا

ثم ان الاستاذ اخذ الكتاب باحدى يديه والرقعة بالاخرى وبعد ان ردد الطرف بينهما برهةً قال ان الكتاب اقدم من الرقعة ولي على ذلك دليل قاطع وهو ان الرقعة مكتوبة بالخط المألوف في هذا العصر والكتاب محرر بالخط الكوفي والحال ان الكتابة العربية لم تنتقل الى الطريقة التي هي عليها الان الا في اواخر الجيل الثالث للهجرة اي بعد وفاة الجاحظ تقريبًا

قلت اجل على اي طريقة كانت الكتابة العربية قبل الخط الكوفي وكيف انتقلت الى الطريقة التي هي عليها الان

قال اول من كتب بالعربية هم اهل اليمن قوم هود وكانت تسمى كتابتهم

المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها احد الاَّ باذنهم حتى تعلمها مرامر بن مره واسلم بن سدره وعامر بن جدره وهم من عرب طي على كاتب الوحي للنبي هود عليهِ السلام فتصرفوا فيها ووضعوا الخط الكوفي وسموه بخط الجزم لانهُ جزم اي اقتطع وولد من المسند الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم سمي فيما بعد بالخط الكوفي وكان الخط غفلاً والحروف مبهمة الى ان خالطت العرب الاعاجم وتغيرت السنتهم فكثر اللحن والتصحيف في قرآة المصحف الشريف فوضع ابو الاسود الدؤلي الشكل في ايام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقط افراداً وازواجاً في ايام عبد الملك بن مروان منعاً للاشكال والابهام واستمرت الكتابة بالخط الكوفي الى اواخر القرن الثالث للهجرة اذ جاء ابن مقلة الوزير ابو علي ونقلها الى الطريقة المألوفة في ايامنا او ما يقاربها ثم جاء بعده علي بن هلال البواب الكاتب البغدادي فهذب طريقته ونقحها فصارت على ما هي عليهِ الان

فعجبت لسعة اطلاعه ورأيت حكمه في محله

ثم اضاف قائلاً يظهر من ذلك اذاً ان شخصاً من الذين تداولوا هذا الكتاب حرر هذه الرقعة السرية ولكن من هو ذلك الشخص يا ترى ألم يضع اسمه على احدى اوراق هذا الكتاب قال ذلك ثم نزع نظارته واخذ عدسية قوية وامرَّ نظره بواسطتها على الصفحة الاولى ثم الثانية من الكتاب فوجد في اسفلها كلفاً اشبه بلطخ من الحبر اذا نظر اليه بالعين المجردة فتأملهُ قليلاً وتبين لهُ انهُ كتابة معقدة لم يبقَ منها الا الاثر وبعد انعام النظر والتدقيق قرأ اسم أرن سكنوسيم مكتوباً بحروف ايسلاندية تعرف بحروف اودين وهذا رسمه

ᛅᚱᚾᛦ ᛋᛅᛁᚴᚾᚢᛋᛋᛁᛘ

ولما قرأ ذلك الاسم تهلل وجهه بالفرح ثم قال بصوت الظافر

ارن سكنوسيم هو من اهالي ايسلاندا من علماء العصر السادس عشر وهو كيماوي شهير

ثم اضاف قائلاً ان هولاء الكيماويين كابن سينا وباكون وبرسليز هم علماء زمانهم دون غيرهم فقد اكتشفوا اسرارًا علمية لا نزال نعجب منها ومن المحتمل ان يكون سكنوسيم اكتشف امرًا عظيمًا واودع سره هذه الرقعة المبهمة نعم لا بد ان يكون كذلك لان سكنوسيم كان من اشهر العلماء ولو لم يقصد اخفاء امر ذي شأن عن ابناء عصره لما اختار لغة غريبة دون اللغات الاوربية وجعل الكتابة على ما هي عليه من الاشكال

فقلت ولماذا اختار سكنوسيم اللغة العربية دون بقية اللغات الشرقية فلو كان قصده اخفاء سرٍ ما عن ابناء عصره لكان الاولى بهِ ان يكتبه بلغةٍ اقل انتشارًا من اللغة العربية

قال لا بد ان يكون لذلك داعٍ

ثم اطرق لحظةً وقال لكل لغةٍ عمر محدود وان طال فاذا انقضى اندثرت اللغة واضمحلت او انتقلت من حال الى حال الا اللغة العربية فانها آمنة من بوائق الحدثان ولا تتغير بتغير الزمان لان الله انزل فيها كتابهُ فما دام على وجه الارض مسلم فهي قائمة لا يخشى عليها من النسيان واظن ان ذلك هو السبب الذي حمل سكنوسيم على اختيارها دون بقية اللغات لانهُ لم يقصد ملاشاة امر اكتشافه بالمرة بل اخفاءه حينًا من الدهر

فقلت لا بد ان يكون الامر كما قلت ولكن ماذا عسى ان يكون حمل ذلك العالم على اخفاء اكتشاف من الاكتشافات الغريبة

قال وهل ادري ذلك أما اخفى غليليو اكتشافاته المتعلقة بزحل عن اهل زمانه ومع ذلك فستنجلي لنا الحقيقة وحرام عليَّ الطعام والمنام قبل ان اقف على سر هذه الرقعة

فتأوهت لذلك فقال وعليك ايضًا يا آكسيل

فحمدت الله الذي الهمني التهام الطعام حين كان عمي مشتغلاً برقعته يلعن الشوربا وطابخها ومن ياكلها

الفصل الرابع

بعد ان بقي الاستاذ برهة يعمل الفكرة وهو يناجي نفسه قال نعم هذه الكتابة عربية لاشك فيها ولكن احرف الكلمة الواحدة مختلطة باحرف الكلمة الاخرى ولا بد من الوصول الى فرزها

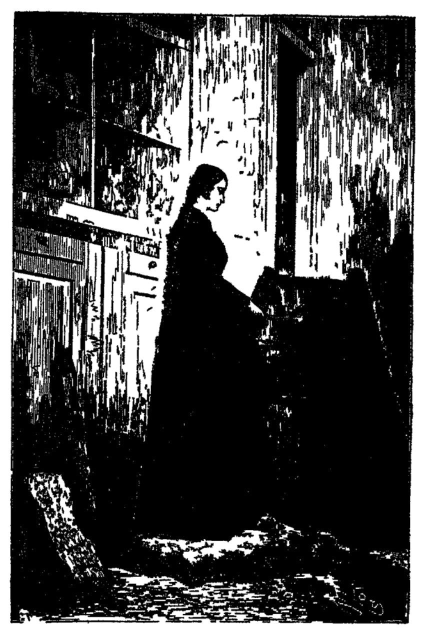
فقلت في نفسي ان تيسر لك ذلك يا عماه فانت ادهى من ابي مره

ثم رجع يخاطب نفسه فقال هذه الرقعة تحتوي على اربعة وثمانين حرفًا مختلة التركيب اختلالاً واضحًا وكل ستة منها جعلت كلمة واحدة ولا اظن ابدًا ان هذا الوضع نتيجة الصدفة بل لا بد ان الكاتب اقتفى فيهِ قاعدة ما فلا بد ان تكون العبارة كتبت اولاً كتابة صحيحة ثم انقلب وضعها بطريقة مجهولة وهي الطريقة التي يجب علينا ان نبحث عنها فمن وقف على مفتاح هذا المعنى قرأ هذه الكتابة وفهم مضمونها ولكن من لي بهذا المفتاح عسى ان تكون وجدتهُ يا آكسيل

اما انا فلم اجبه على سوآله وذلك لان نظري كان قد وقع على رسم لابنة عمي غريبة معلق على الحائط فحال النظر اليهِ والفكر في صاحبتهِ بيني وبين الاجابة وكانت يومئذٍ عند احدى اقاربها في ألتونا وهي قرية بجانب المدينة وكنت حزينًا لفراقها كئيبًا لبعادها لاني كنت كثير الشغف بها والميل اليها

ملأ القلب حبها وهواها — يعلم الله صار اكبر همي
ونسيت الوجود طرًّا فلا غر — وَ اذا ما نسيت اقوال عمي

وكنت قد خطبتها بدون علم عمي لانهُ لم يكن يدرك عواطف المحبة وعوامل الغرام اذ ان كلفه بالعلوم قد اشغل فواده وعقله عما سواها



وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين (صفحة ١٦)

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين شقراء الشعر زرقاء العينين بارزة النهد مائلة الى الجد والرصانة بعيدة عن الهزل والطيش وهي مع ذلك شديدة الولع بي فلما وقع نظري على رسمها خفق فوادي لذكراها ونسيت عمي ورقعته وسكنوسيم ورقاعته وغصت في بحار الافكار فذكرت ايام قرب حبيبتي والاوقات التي كانت تساعدني فيها في تنظيف مجموعة العم وكانت مائلةً الى علم المعادن راغبة في اتقانهِ فكم من ساعةٍ صرفناها معًا نبحث في ادق المسائل الجيولوجية وكم من مرة حسدت التذور والركزان التي كانت تقلبها يداها اللطيفتان

وهل في عالم الانسان احلى　　من العلم المعزز بالجمال ِ
لصاحبه على الارواح بطش　　فاما بالخلال او الدلال

ثم ذكرت اوقات النزهة اليومية اذ كنا نسير سويةً حيث لا عذول ولا رقيب نجوس خلال الرياض ونحن نتجاذب اطراف الحديث واعطاف الكلام ونتراوح الروايات الادبية والابحاث العلمية حتى اذا بلغنا شاطئ البحيرة اثنينا على ضفة نهر الألب فنقف هناك برهة نراقب البجع يغتسل في مياههِ ثم نعود الى المنزل على قارب بخاري

وبينما كنت اتذكر ذلك واتلهف على تلك الايام الماضية ايام السرور والهناء ضرب عمي المكتب بيده ضربة قوية فانتبهت من غفلتي مجفلاً اجفال الظبي المذعور وغاب خيال ابنة عمي عن عيني ورأيت شخص الاستاذ منتصباً امامي كانهُ مارد من مردة الجن فكنت كمن سقط من جنة النعيم الى قاع الجحيم

وكان عمي اذ ذاك يكلم نفسه قائلاً اذا اراد احد ان يخل ترتيب احرف جملةٍ ما فارى ان اول فكرٍ يطرأ عليه هو ان يضعها على خط عمودي بدلاً من ان يضعها على خط افقي

فقلت في ذلك نظر

ثم خاطبني قائلاً سنرى نتيجة هذا الامتحان فخذ يا آكسيل هذه الورقة واكتب عليها اي جملة خطرت ببالك ولكن بدلاً من ان تضع حروف الكلمات متتابعةً مرتبطةً ببعضها ضعها منفصلة على خطوطٍ عمودية ستة

فادركت قصده وفي الحال اخذت القلم وحررت بيتاً من الشعر كنت في ذلك الوقت اردده بفكري ووضعت حروفه بحسب اشارتهِ على الاسلوب الآتي

ب　م　ي　و　م　ا
ا　ي　ب　ا　ي　ك
ب　ي　ة　ن　ف　ف

ي ا ف ا و د

و غ ا و ق ا

ا ر ك ع ذ ك

ولما فرغت من الكتابة عرضت الرقعة على الاستاذ فالقى نظره عليها بدون ان يقرأها وقال احسنت فضم الان حروف كل خطٍ افقي الى بعضها بحيث يصير كل خط كلمة واحدة

ففعلت كما اشار وقرأت الالفاظ الاتية

بيوما ايبايك بيتنفف يافاود وغاوقا اركعذك

ولم اتم القرآة حتى اختطف عمي الورقة من يدي قائلاً نعم نعم هذه الالفاظ اشبه شيء بكلمات الرقعة السرية ولعل سهمي اصاب الغرض

ثم نظر اليَّ وقال اني لم اقرأ الجملة التي كتبتها فاذا اردت ذلك فليس لي الا ان آخذ الحرف الاول من كل كلمة ثم الثاني فالثالث وهلمَّ جرًّا فانال المقصود

ثم فعل كما قال وقرأ البيت الاتي ولوائح الدهشة والتعجب ظاهرة على وجههِ

بابي وامي يا غريبة فاكِ وانا وعمي فوق ذاك فدا كِ

واما انا فكنت اشد منهُ حيرةً ودهشةً لاني كتبت ذلك البيت بدون انتباه ففضحت نفسي واطلعت عمي على سري وما زاد في الطين بلة هو اني جعلتهُ فدىً لغريبة فلعنت قريحتي ووقفت موقف الخجل المذنب انتظر من عمي اشد التبكيت وامر التعنيف

واما هو فبعد ان قرأ البيت نظر اليَّ نظرة المعلم الصارم وقال بصوت المتوعد تحب غريبة وانا وانت وابوك وامك فدىً لها

فاردت المجاوبة ولكن ارتج عليَّ وارتبكت الى ركبتي فقلت لا ثم قلت نعم ثم قلت لا واما عمي فبقي يردد قولهُ تحب غريبة وتفديها بي ولكنهُ كان يقول ذلك

بدون انتباه وافكاره مشتغلة بحل كتابة الرقعة فحمدت الله الذي حوّل غضبه عني واثنيت على كاتب الرقعة التي شغلته ونسيت اني لولا تلك الرقعة لما فرط مني ما فرط وكان عمي لا يزال يردد تلك الكلمات ثم نظر اليّ وقال

ان صح ذلك فانستعمل هذه الطريقة لحل الرقعة السرية

فقلت في نفسي ان كان حل الرقعة موقوفًا على صحة محبتي لغريبة فبشر الاستاذ بفوز قريب

ثم اخذ يسرد عليّ حروف الرقعة السرية بحسب الطريقة التي وضعناها فانعكست حروفها بالكيفية الاتية

م ي س و ن ك
س ن ر ا ا ن
ا ا ه ت ك ل
س ق ي ر ط ض
ر ا ل ا ب ل
ق ي ل ا و ي
ن و ي ر ه ش
ر خ ا و ا ي
ف س ي ر ت ر
ك س ا ا ه ل
ل ظ ي ي ت ل
ا ل ف ي ن س
ا ن ا ك ر ب
ه ه و ف ن م

وفي اثناء ذلك كان الاستاذ يضطرب اضطرابًا هائلاً كالمقامر اذا راهن على جميع مالهِ دفعةً واحدة وازفت دقيقة فصل الخطاب وكانت عيناه تلمعان ويداه ترتجفان وكنت انا مشاركًا لهُ بعض المشاركة في حاساتهِ وانفعالاتهِ ولما اخذ الورقة من يدي حبست نفسي واعرتهُ اذنًا صاغية منتظرًا منهُ كشف القناع عن سر تلك الرقعة

اما هو فبعد ان تأمل الكتابة برهة قال ميسونك سنرا آن آ آ . . ما معنى هذه الالفاظ ثم اخذته الحدة وضرب المكتب بيده ضربةً هائلة فسقط القلم من يدي واندفق الحبر من الدواة وبعد ذلك اندفع الاستاذ من الباب كحجر المنجنيق وخرج من البيت وهو يرغي ويزبد كالفنيق فسكن جاشي لانصرافهِ وانفكت قيود أسري

وكانت مرتا قد سمعت قلقلة المفتاح في القفل فاسرعت نحوي وقالت أخرج عمك

فقلت نعم

قالت ولكنهُ لم ياكل بعد

قلت لن ياكل ابدًا

ففزعت من ذلك وقالت كيف هــذا

فقلت لها اعلمي يا عزيزتي مرتا ان عمي قد حرم الاكل على نفسه وعلى كل اهل بيتهِ حتى يتوصل الى حل معمى هو اعقد من ذنب الضب

فجزعت مرتا لذلك الخبر واصفر وجهها وارتعدت فرائصها وبعد ان اطرقت برهةً قالت قضي علينا اذن بالموت جوعًا

وكنت اخاف فعلاً ان يكون ذلك ما قدر علينا نظرًا لما اعهده في عمي من العناد ولما رأيته في الرقعة من الاشكال واما مرتا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بين



واما مرتا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بين (صفحة ٣٠)

الفصل الخامس

بعد انصراف عمي خطر ببالي ان اتوجه الى قرية ألتونا حيث كانت غريبة واقص عليها الامر وكنت اعلم بانها لا تستطيع ان تحوله عن عزمهِ ولكن شكوى المصاب تخفف الم العذاب

يسرّى عن الانسان ان بث حزنه ويرتاح للشكوى لمن يتعشق

غير اني خشيت من ان يعود الى البيت في اثناء غيبتي لامتحان طريقة اخرى فلا يجدني وخوفاً من العاقبة بقيت في مكاني ثم تذكرت ان صديقاً لعمي من علماء الجيولوجيا كان قد اهدانا في امس ذلك اليوم بعض قطع سليكية وهي حجارة تبلور قلبها

فاخذت اشتغل بفرزها ووضعتها في المحلات المعدة لها ولما فرغت من ذلك اتكأت على كرسي عمي واخذت ادخن ورأسي ملقىً على ظهر الكرسي وعيناي تراقبان صعود الدخان وكنت اتأمل صورة الحوارية المنقوشة على الحجر التي بعد ان كانت تحاكي الثلج بناصع بياضها اصبحت زنجية حالكة السواد بسبب فعل الدخان المستمر وكان لم يزل فكري مشتغلاً بامر الرقعة السرية وما نتج عنها فقلت يا ترى هل من عامل من العوامل الطبيعية قادر على تبديل حدة عمي بالاعتدال وشدته باللين كما تبدل بياض تلك الصورة بالسواد. وضعت ذلك السؤال ولم استطع عليه جوابًا ومهما يكن من ذلك فاني كنت معتقدًا كل الاعتقاد ولا اظنني مخطئًا ان عمي كان في تلك الساعة تائهًا في برية المدينة يقرع الشجر بعصاه ويدوس الزهور برجليه وهو يقاتل خياله ويكافح سرباله وما كنت ادري ايرجع فائزًا منصورًا ام يعود كئيبًا آيسًا من حل تلك الكتابة التي كادت تسلب عقله ثم اخذت بيدي الورقة التي حررتها بخطي وكنت بعد ان سمعت ما اقام عمي من الادلة ايقنت ان تلك الحروف لم توضع عبثًا ولا كان اختلال تركيبها جزافًا فقلت في نفسي اذا تقرر ذلك فلا بد ان يكون لهذه الكتابة شأن ولربما تحتوي على اكتشاف عظيم لان نفس تعقيدها بالكيفية التي هي عليها هو دليل كافٍ على ذلك والا لما كان يحرص محررها على ما حوته فلا شك ان تعقيدها كان بقصد حفظها وصيانتها من ايدي العامة ثم حاولت ان اركب من تلك الحروف كلمات مفيدة فلم يتيسر لي ذلك وبعد ان اشتغلت بها ساعةً اعياني التعب وكلت عيناي فرفعت نظري عن الورقة الا اني بقيت ارى الاربعة وثمانين حرفًا تحوم حولي كانها شهب نارية اوخطوط فوسفورية وكان قد كلل وجهي العرق فصرت اتروح بالورقة بحيث كان يقع نظري تارةً على وجهها وتارةً على ظهرها وبينما كان ظهرها متجهًا نحوي والكتابة تتلألأ عليها منقلبة وقع نظري على السطرين الاخيرين منها فقرأت (من فوهة بركان) فوقفت يدي عن الحركة واضطربت جميع اعضائي

مرة واحدة لاني في تلك اللحظة ادركت سر ذلك المعمى وعرفت ان العبارة كتبت حروفها اولاً على خطوط عمودية ستة يحتوي كل منها على اربعة عشر حرفاً ثم ضمت حروف كل خط افقي الى بعضها بحيث صارت كلمة واحدة ثم وضعها كاتبها على الرقعة منعكسة مبتدئاً من آخرها ومنتهياً باولها رغبةً في زيادة الاشكال فتحقق لي ان عمي محق في حكمه على لغة الكتابة بانها عربية مصيب في اختيار القاعدة التي استعملت لتغيير ترتيب الحروف بحيث صارت الكلمات مبهمة معقدة كما رأيناها وفي ذينك الامرين كانت الصعوبة الحقيقية وما كان باقياً بينهُ وبين الفوز الا شيءٌ يسير جداً فذلك الشيء اليسير الذي فات عمي ادركتهُ انا بمجرد الصدفة

ولربما كدح الحكيم لفكرةٍ وسواه ادركها باول نظرةٍ

ففي تلك الساعة كنت مضطرباً اضطراباً زائداً وقلبي يخفق خفقاناً شديداً شأن من فاجأه الظفر وابتدرتهُ الامنية فانبهر ولم يكن لي الا ان اقرأ الكتابة بالقلب مبتدئاً من آخرها لكي اقف على السر الذي تضمنتهُ ولكنني تركت الرقعة على المكتب وذهبت الى احدى نوافذ المخدع وتنسمت الهواء البارد برهةً حتى سكن روعي وهدأ اضطراب اعصابي ثم رجعت الى محلي واتكأت على المكتب فوق الرقعة وتلوتها منعكسة بدون ان اتوقف فيها البتة فجاءت عبارة عربية فصيحة صريحة وهذا نصها

(من فوهة بركان اسنيفل التي يظللها اسكرتريس في اواخر شهر يونيو الى قلب الارض طريقة سلكتها انا ارن سكنوسيم)

ولم اتم قرآة العبارة حتى اخذتني الرعشة ثم لبثت برهة لا ابدي حراكاً كمن غاب رشده وبعد ذلك انتبهت كمن يستيقظ من حلم وظننت ان ما نظرتهُ هو مجرد رؤيا فقرأت الكتابة ثانية وثالثة حتى لم يبقَ عندي ريب في الامر فاخذني العجب الشديد من جسارة ذلك الرجل ثم داخلني الريب في صدق الرواية لاني

لم اكن اتصور امكان حصول ذلك الامر الغريب ثم تذكرت عمي فوثبت من على الكرسي خائفًا مرتعدًا لاني قلت في نفسي ان عرف هذا الامر فلا بد من أن يقتفي اثر سكنوسيم فانهُ ليس دون المذكور جنونًا وهو مائل بالطبع الى الاكتشافات متهالك على مشاهدة المستغربات وكم يتحفى باستكشاف صغير فكيف بامر مثل هذا خطير فليس من سبيل الى تحويله عن عزمهِ بل لا بد لهُ من ان يأخذني بصحبته وليس بعد تلك الرحلة من رجوع وفي نفس ذلك الوقت افتكرت في غربية والعذاب الذي اقاسيه اذا فارقتها فاخذت على نفسي اخفاء الامر عن عمي وقلت ان ابقيت هذه الرقعة فلربما توصل ولو بعد مدة الى حلها كما توصلت انا الى ذلك بطريق الصدفة وفي ذاك الوقت كنت ارى حلها سهلاً جدًا كما يحصل لكل احد بعد اطلاعه على حل معمى او لغز ولذلك عزمت على احراق الرقعة التي حررتها بيدي ورقعة سكنوسيم ايضًا فاخذتهما بيدي وتقدمت نحو الموقدة واذا بالباب قد فتح فرأيت عمي داخلاً مسرعًا فارجعت الرقعتين الى محلها على عجل وسلمت الامر لله

اما الاستاذ فدخل صامتًا وجلس على كرسيه امام المكتب وهو غائص في بحار الافكار ثم اخذ القلم بيده وشرع يحرر ارقامًا حسابية ومعادلات جبرية ويداه في ارتعاش فاخذت اراقب عمله وحركاته خائفًا من ان تؤدي تلك الطريقة الجديدة الى الغاية المقصودة على ان خوفي كان في غير محلهِ اذ ان الطريقة الوحيدة التي تؤدي الى المطلوب هي التي توصلت بها الى قرآة الجملة فكل طريقة سواها فاسدة بالطبع

فبقي عمي نحوًا من ثلاث ساعات يكتب ويشطب ويثبت ويمحو يجرب طريقةً ثم يعدل عنها ويذهب الى رأي ثم يباري عنهُ فكلما عرض لهُ فكر سار معهُ كالسائر المتخبط وكنت اعلم جيدًا انهُ اذا قلب وضع احرف الرقعة بكل الكيفيات الممكنة يتوصل الى تركيب الجملة على صحتها ولكني كنت اعلم ايضًا ان عشرين حرفًا فقط تركب على ٢٤٣٢٩٠٢٠ ٨١٧٦٦٤٠٠٠٠ وجه فكيف باربعة وثمانين فلا ريب ان عدد الوجوه التي تركب عليها يكاد لا ينطق بهِ لسان الانسان ولذلك

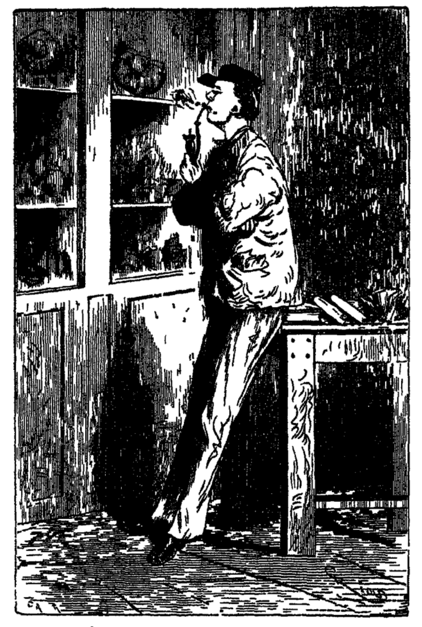
كنت مطمئناً من ذاك القبيل فجلست على كرسي بازاء عمي وتركتهُ يخبط في ارقامه خبط عشواء

وكانت قد غربت الشمس ففتحت مرتا الباب وقالت هل سيدي عازم على تناول الطعام الليلة

فلم يسمعها الاستاذ لانهُ كان غائصاً في بحار الافكار فقفلت راجعة من حيث اتت واما انا فبعد ان بقيت ساعة تأخذني الافكار وتجيء بي غلب عليَّ النعاس فنمت على الكرسي حتى الصباح اذ اقرسني البرد فاستيقظت وكان عمي لم يزل الى تلك الساعة مكبًا على عملهِ عاكفًا على شغله وعلى وجهه شحوب وفي عينيه احمرار فعلمت انهُ قاسى اشد العناء وهو يحاول المستحيل وكان من وقت رجوعه اخر مرة الى البيت لم يعاوده الغضب فقط بل لم يفه ببنت شفة فاخذتني الشفقة عليهِ وخشيت من ان يطرأ عليهِ عرض فجأةً بسبب استمرار تتيه افكاره وانحصار الانفعالات النفسانية في فواده وكان في امكاني ان انشله من الضيق الذي كان فيهِ بكلمة واحدة ولكني لم افعل ولم يكن سكوتي عن قساوة مني فاني لما شاهدت عمي في تلك الحالة كاد قلبي يتفطر ولكن الحالة قضت عليَّ بالتزام السكوت لمصلحة عمي نفسه لاني كنت معتقداً كل الاعتقاد انهُ لو اطلع على ذلك لما تأخر عن اقتفاء اثر سكنوسيم ولو كان دون ذلك اهوال ولهذا كنت مصمماً على اخفاء ذلك السر الذي اطلعتني عليه الصدفة وقلت ان اطلع عليه عمي من تلقاء نفسه فليفعل ما يشاء واما انا فلا اريد ان اكون سبباً في هلاكه وبناء على ذلك اقمت في مكاني منتظراً الفرج من الله

وفي تلك الساعة ارادت الخادمة مرتا ان تتوجه الى السوق لاجل شراء بعض المأكول فوجدت الباب مقفلاً والمفتاح منزوعاً منه واظن ان عمي فعل ذلك حين رجوعه الى البيت في اخر مرة على اني لم اعلم هل فعل ذلك عمدًا او على غير انتباه فقلت في نفسي ان كان في عزمهِ ان يحرم الاكل علينا فعلاً فذلك

عين الجور ومنتهى الظلم لانهُ اي يدٍ لي ولمرتا في السبب الذي حمل سكسوسيم على على وضع سره في صورة ذاك المعمى واي ذنبٍ لنا ان عجز عمي عن حله وكيف يحق لهُ ان يجازينا بذنب غيرنا ان كان في المسألة ذنب ثم تذكرت انهُ سبق لعمي ان ابقانا مرة بدون اكل مدى ثماني واربعين ساعة وذلك من بضع سنوات حينما كان يشتغل في ترتيب مجموعتهِ المعدنية وتذكرت ايضاً ان ذلك الصوم العلمي سبب لي آلاماً شديدة في المعدة ولما لم يكن في اليد حيلة لم ارَ اولى من الاعتصام بالصبر الجميل ووطدت العزم على كتمان سري مهما بلغ مني الجوع وكنت في ضيق من حبسي في المنزل وعدم استطاعتي الخروج اشد من ضيقي من الجوع وذلك لاسباب لا تخفى على فطنة القارئ اما مرتا فكانت في يأس شديد لا ترى من الموت مناصاً واما عمي فكان غائصاً في بحار التامل ولذلك لم يشعر بشيءٍ من الاحتياجات الطبيعية وعند الظهر اشتد بي الجوع وكنت لهوماً من طبعي الا اني سكت على مضض وكانت مرتا قد اكلت في عشية اليوم السابق كل بقايا الطعام حتى لم يبقَ المجردان ما تسد به الرمق وعند الساعة الثانية بعد الظهر اشتد جوعي حتى كدت اسقط على الارض مغشياً عليَّ وصرت ارى الاشياء على غير الوانها وحينئذٍ قلت في نفسي ان الاهمية التي رأيتها للرقعة هي وهمية او بالاقل ليست في الدرجة التي توهمتها وان عمي لا يصدق بحصول تلك الرحلة بل يعتبر المسألة من قبيل الكذب والاختلاق وعلى فرض انهُ اعتقد بصحة الرواية فلا يصعب توقيفه عن السفر ولو بالرغم عنهُ هذا اذا اراد السفر وانهُ من الممكن مع ذلك ان يقف على مفتاح المعمى من تلقاء نفسه فاكون قد تحملت عذاب الصوم على غير فائدة على ان الهلاك كان ميقوناً لو دام الامر على هذا الحال يوماً ثانياً وهو في السفر مظنون فقط فقلت موت مظنون خير من موت ميقون ولو فرضنا تساوي الدرجتين فاولى من هلاك معجل هلاك مؤجل فهذه الملحوظات لو عرضت لي في اليوم السابق لما اكترثت بها ولكن للجوع تأثيراً على الافكار فرأيتها في تلك الساعة حريةً بالاعتبار بل لمت



وبناء على ذلك اقمت في مكاني منتظرًا الفرج من الله (صفحة ٣٥)

نفسي على سكوتي لحد ذاك الوقت

وبناءً على ذلك اعتمدت ان اطلع عمي على السر الذي شغل افكاره وبينما كنت افتكر في كيفية القاء الامر عليهِ قام عن كرسيه واخذ قبعته بيده واستعد للخروج فاضطربت وجلاً وقلت ان خرج وتركنا محبوسين فسنقاسي امر العذاب لاسيما اذا طالت غيبته فلم يخطُ خطوةً نحو الباب حتى ناديتهُ قائلاً يا عماه فلم يسمعني فكررت عليه النداء قائلاً بصوت عالٍ يا عماه ليد نبروك

فالتفت نحوي كمن استيقظ من غفلةٍ وقال مالك

قلت هل وجدت المفتاح

قال اي مفتاح تعني أمفتاح الباب

قلت بل مفتاح المعمى

فنظر اليَّ بتامل ورأيت عينيه شاخصتين اليّ من وراء نظارته ولعلهُ نظر على وجهي علامةً مرت فانعطف نحوي بسرعةٍ واخذ ذراعي بيده ونظر اليَّ وهو غير قادر على الكلام الا ان نظرته كانت سوالاً غاية في الفصاحة

فجاوبته محركًا رأسي من اعلى الى اسفل

اما هو فاشار برأسه اشارة تدل على عدم اعتقاده بصدق قولي ونظر اليَّ كمن داخله الريب في سلامة عقلي الي كررت اشارتي للتأكيد فلمعت عيناه ومد يده نحوي كانه يتهددني ولولا اهمية الامر الذي كنا في صدده لضحكت من تلك المحاورة الخرساء وكنت اردت المطاولة في المسألة خوفًا من ان يؤثر الفرح الشديد بعي تأثيرًا وخيم العاقبة او ان يحملهُ السرور على معانقتي فيضمني الى صدره بعنفه المعتاد فتذهب روحي شهيدة فرحه ولكنني اضطررت اخيرًا الى الافصاح فقلت لهُ نعم مفتاح المعمى وجدتهُ بالصدفة فاضطرب وقال احق ما تقول

فقدمت لهُ الورقة التي كنت حررتها بخطي وقلت لهُ خذ واقرأ

فاخذ الورقة وجعدها باصابعه قائلاً واي معنى لهذه الكتابة لا معنى لها البتة

قلت لا معنى لها ان قرأتها كما هي ولكن اقرأها بالقلب مبتدئًا من آخرها

فما اتممت كلامي حتى صرخ صرخة دونها زئير الضراغم وكان في تلك اللحظة قد ادرك سر المسألة ثم قرأ الكتابة على صحتها بصوت مرتعش ولم يفرغ منها حتى وثب من مكانه كمن لمس سلكًا كهربائيًا واخذتهُ خفة الطرب فصار يذهب ذات اليمين ويعود ذات الشمال وهو يهمهم ويجمجم وينقل الكراسي من محلاتها ويجمع كتبه التي كانت على المكتب ثم يفرقها وكان يضرب باحدى يديه الحائط وبالاخرى الطاولة وبعد ساعة سكن هيجانه وهدأ اضطرابه فاستلقى على كرسيه

وقد اعياه التعب ثم نظر اليّ وقال في اي ساعةٍ نحن من النهار

قلت في الساعة الثالثة

قال فما بالي اذن اجوع من ذؤالة قم بنا نتناول الطعام وبعد ذلك ننظر في تحضير معدات السفر

قلت أأنت مسافر

قال نعم وانت ايضاً

قال ذلك ودخل قاعة المائدة فاخذني القلق وقلت هذا ما كنت اخشاه وكنت اعلم ان عمي لا يعدل عن السفر الا اذا اقنعتهُ البراهين العلمية بعدم امكان تلك الرحلة فاخذت انظر في تلك البراهين فرأيتها قاطعة فاطمأن بالي نوعاً

الفصل السادس

لما دخل عمي قاعة المائدة لم يرَ طعامًا على الخوان فاخذ يشتم ويلعن ففهمته ان السبب في ذلك هو تحريمه الاكل علينا منذ صباح اليوم الفائت وكان قد برح عن فكره هذا الامر فقبل العذر خلافًا لعادتهِ وسمح لمرتا بالتوجه الى السوق لشراء بعض الماكل والمشرب وبعد ذلك بساعةٍ جلسنا نتناول الطعام وكانت لوائح الطرب والسرور ظاهرة على وجهه بادية في حركاته وكان يمزح ويضحك ولما فرغنا من الاكل اومأ اليّ ان اتبعني ودخل مكتبه فتبعته ولما استقربنا المقام نظر اليّ وقال بصوت لطيف انت نبيه جدًا يا اكسيل وقد صنعت معي جميلاً لا انساه بارشادي الى طريقة حل المعمى بعد ان اعياني التعب وعزمت على ان اضرب عنهُ صفحًا فتاكد يا بني ان لك حقًا في جانب عظيم من الفخر الذي سيعود علينا

فقلت في نفسي ان الاستاذ الان في حالة صفاء ويمكنني معارضته في امر الرحلة واقامة الادلة على عدم امكانها

ثم اردف كلامه قائلاً اني اوصيك يا آكسيل بكتمان السر فان لي حسادًا واعداء كثيرين بين العلماء وان علموا بالامر سبقونا الى السفر فيجب ان لا يدري احد بامرنا الا بعد عودتنا

فقلت وهل تظن يا عماه انهُ يوجد كثيرون من الذين يقدمون على مثل هذه الرحلة

فقال من ذا الذي لا يخاطر بنفسه لاكتساب الفخر والشهرة فوالله لو عرف العلماء بوجود هذه الرقعة ومضمونها لتهافتوا على اثر سكنوسيم تهافت الفراش على السراج

قلت فيصيبهم ما يصيب الفراش

قال ماذا تعني بذلك

قلت هل تسمح لي بان ابدي كل ما لديَّ من الاعتراضات على صحة مضمون هذه الرقعة

قال لك ذلك فانك لم تعد عندي بمنزلة التلميذ بل بمنزلة المثيل

قلت اخبرني اولاً ما هو جبل اسنيفل

قال ائتني بالخارطة التي اهدانيها صديقي اوغسطس باترمان

فاتيتهُ بما طلب فقال هذه الخارطة رسمها هندرسون وهي احسن خارطة عملت لايسلاندا وستجد بها ما نروم الوقوف عليهِ

فانحنيت فوقها فقال اتبعني بنظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا فاذا نظرت قصبتها ريكياويك اصعد خطة تلك القرى التي يتخلل البحر سواحلها وقف تحت الدرجة الخامسة والستين من العرض وقل لي ماذا ترى هنالك



فانحنيت فوقها فقال انعم نظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا (صفحة ٣٠)

قلت ارى شيئًا كشبه جزيرة تخاله عظمًا جُرّد من اللحم يعلوه شيء كعظم الرضفة

قال صدقت في هذا التشبيه يا ولدي أَفلا تنظر شيئًا على ذلك العظم

قلت ارى جبلاً كأني به قام في البحر

قال هذا هو اسنيفل وارتفاعه خمسة الاف قدم عن سطح البحر وهو من اعظم جبال الجزيرة وان كان من فوهته طريق الى قلب الارض فهو لاشك اشهر جبال الكرة

فقلت وكيف الولوج به ان كان هائجًا

قال اعلم ان عدد البراكين الهائجة اليوم على وجه الارض يبلغ الثلاثمائة تقريبًا ولكن عدد البراكين المنطفئة اكثر منها بكثير فجبل اسنيفل هو من البراكين المنطفئة وقد مضى عليه اجيال عديدة لم يهج الامرة واحدة وذلك في سنة ١٢١٩ ومن ثمَّ اخذ يهدأ رويدًا رويدًا حتى انطفأ تمامًا

فاطرقت برهةً ثم قلت وما معنى كلمة اسكرتريس واي دخل لشهر يونيو في هذه القضية

فقال يظهر ان لاسنيفل فوهات كثيرة ولكن التي تؤدي الى قلب الارض واحدة ولما رأى سكنوسيم ذلك اراد ان يعين الفوهة المؤدية الى قلب الارض تعيينًا نافيًا للاشتباه والغلط فراى ان اسكرتريس وهو راس من رؤوس اسنيفل يظلل الفوهة المقصودة في الايام الاخيرة من شهر يونيو فذكر ذلك في رقعته فاذا سافرنا الى تلك الجزيرة صعدنا الجبل ونزلنا في الفوهة الموصلة الى قلب الارض بدون تردد فان اسكرتريس هناك يرشدنا اليها

فعجبت من ذكاء عمي وفطنته وقلت في نفسي لم يبقَ لي الا الاعتراضات العلمية فان كانت كافية لتحويل عزمه عن السفر كان به واما ان دحضها فلا مناص من السفر لعنة الله عليك يا سكنوسيم ولا وقيت من الشر يا هيفيلوس اليهودي

ثم نظرت الى عمي وقلت لهُ سلمت ان الرقعة هي بخط سكنوسيم وبانهُ توجه فعلاً الى جبل اسنيفل ونظر قمة اسكرتريس مظللة تلك الفوهة في الايام الاخيرة من شهر يونيو ولكني لا اصدق ابدًا انهُ توصل من تلك الفوهة الى قلب الارض حتى ولا انهُ حاول الامر بل اظن انهُ سمع من شيوخ بلده ان تلك الفوهة تؤدي الى قلب الارض فذكر الامر في رقعة مدعيًا انهُ سافر تلك السفرة المستحيلة

فقال الاستاذ ولماذا هي مستحيلة

قلت لان القواعد العلمية تنفي امكان حصولها

قال بالله اصحيح ذلك فلعن الله هذه القواعد التي اذهبت تعبنا سدى ومنعتنا من اتمام مشروعنا

فعلمت ان الاستاذ يتهكم عليَّ غير اني صممت على تثبيت قدمي في مقام الجدل فقلت انهُ لمحقق ان حرارة الارض تزداد درجةً تحت كل سبعين قدمًا من العمق وبما ان نصف قطر الارض يبلغ نحوًا من عشرين مليون قدم فالحرارة في قلبها اكثر من مائتين وثمانين الف درجة وعلى ذلك فكل المواد التي فيهِ لا بد ان تكون غازًا ملتهبًا اذ لا معدن ولا صخر قادر على احتمال حرارة هذه شدتها فقل لي بالله هل تتوق نفسك الى الاقامة في ذاك العالم

فقال يظهر لي من كلامك يا اكسيل ان الحرارة هي الشاغلة لافكارك

فقلت نعم لاننا اذا نزلنا الى عمق خمسة فراسخ فقط نصل الى حدود القشرة الارضية حيث تبلغ الحرارة نحوًا من الف وثلاثمائة درجة

قال وانت خائف من الذوبان

قلت ان كنت تزعم ان جدي سمندل فخوفي في غير محله

فاجابني الاستاذ بجد قائلاً اما رأيي يا بني فهو ان ما من احد يعلم بالتحقيق على اي حالة قلب الكرة الارضية وذلك لان العلماء لم يتوصلوا بعد الاتعاب الكلية والجد المتوالي الا الى معرفة قسم من سمكها نسبته الى نصف قطرها نسبة ١٢ الى ١٠٠٠ فالعلم لم يزل في مهد الطفولية وكلما وضعت قاعدة جاءت قاعدة اخرى فدحضتها وقد كان يظن العلماء لحين ظهور فوريه ان الفضاء الاثيري تزداد برودته كلما ازداد بعدًا واما اليوم فقد علموا ان اشد برد الطبقات الاثيرية لا يبلغ اكثر من اربعين او خمسين درجة تحت الصفر فان كان للبرودة في الطبقات الاثيرية حد لا تتعداه فلماذا لا يكون لحرارة الارض الداخلية حد تقف عنده بدلاً من ان تستمر على الازدياد حتى تذيب المعادن والمواد الاصعب ذوبانًا وقد قال بعض العلماء المشاهير ومن جملتهم بواسون انهُ لو كان في قلب

الارض حرارة تبلغ مائتي الف درجة لتمددت الغازات الناشئة عن المواد الذائبة تمدداً قوياً حتى تتفرقع قشرة الكرة الارضية كما تتفرقع حيطان الخلقين البخارية بقوة البخر

قلت، انما ذاك رأي بواسون

قال ورأي كثيرين غيره من علماء الجيولوجيا الذين يحكمون بان قلب الارض غير مكون من غازات او من مياه اذ لو كان الامر كذلك لاقتضى ان يكون ثقل الارض اقل مما هو عليه مرتين

قلت يمكنك بالارقام ان تثبت كل ما اردت فاسداً كان ام صحيحاً ولكن عند العمل يتميز المرعيّ من الهمل

قال ما لنا وللارقام فهل تنكر ان عدد البراكين المائجة قد قل كثيراً عما كان في العصر الاولى لعالمنا اوَليس في ذلك برهان على ان حرارة الارض الداخلية ان كان هنالك حرارة آخذة في التناقص

قلت ان اردت الجولان يا عماه في ميدان الاحتمالات فلا تنتظر مني جواباً

قال وانا اخبرك بان مشاهير العلماء قد وافقوا على افكاري وارتأوا رأيي أَلست تذكر ان الكيمياوي الانكليزي الشهير همفري ديفي زارني في سنة ١٨٢٥

قلت لا لاني ما ولدت الا بعد تلك الزيارة بتسع عشرة سنة

قال اعلم اذن ان همفري ديفي حين مروره بهمبرج في تلك السنة زارني مرة وتباحثنا في امور عديدة وبالجملة بحثنا في مذهب القائلين بسيلان قلب الارض فكنا كلانا متفقين على ان ذلك المذهب فاسد لسبب لا يقبل المدافعة ولا يمكن معهُ منازعة

فتعجبت بعض العجب وقلت ما هو ذلك السبب

قال هو انهُ لو كان قلب الارض سائلاً لكانت تلك المواد السائلة عرضة تأثير جاذبية القمر فيها كالاوقيانوس ولترتب على ذلك حصول مدٍ وجزرٍ

داخليين يرفعان قشرة الكرة الارضية مرتين في اليوم فيحدثان فيها زلازل دورية

قلت نعم ولكن من المعلوم ان سطح الارض كان ملتهباً فيجوز لنا ان نفرض ان القشرة الخارجية اخذت في البرودة اولاً بينما كانت الحرارة تنحصر في الداخل

قال ذلك عين الغلط فان الكرة الارضية انتها الحرارة باشتعال سطحها فقط وذلك ان سطح الارض كان يشتمل على كمية وافرة من المعادن التي تلتهب بمجرد ملامستها للهواء والماء كالبوتاسيوم والصوديوم فهذه المعادن اشتعلت حيثما تحولت الابخرة الجوية الى ماء وسقطت على الارض مطرًا ولما تخللت المياه قشرة الكرة الارضية شيئًا فشيئًا احدثت اشتعالاً في داخلها فنشأ عنهُ تفرقع وقذف وتلك هي علة البراكين وسبب كثرتها في الادوار الاولى للارض

فاستحسنت ذلك التعليل وقلت حبذا ما قلت ان كان ذلك صحيحًا

فقال ذلك صحيح لاريب فيهِ وقد اثبتهُ همفري ديفي امامي في هذا المنزل نفسهِ بطريقة بسيطة ذلك انهُ صنع كرةً معدنية على شكل كرتنا الارضية وادخل في تركيبها قسمًا كبيرًا من المعادن التي ذكرتها فكنا اذا القينا على سطحها نقطًا صغيرة من الماء كقطر الندى ينتفخ سطحها ويتاكسد فيكوّن جبلاً صغيرًا ثم ينفتح في قمته فوهة وتأخذ في القذف فتمتد الحرارة الى كل الكرة بحيث لا يعود يستطاع امساكها باليد

وكان عمي يتكلم بعزم شديد واعتقاد اكيد فاثر فيَّ كلامه وانفعلت نفسي بخطابه ورأيت الادلة التي اقامها جديرة بالاعتبار

ثم اردف كلامه قائلاً تبين لك اذن يا اكسيل ان اراء العلماء في هذه المسألة متناقضة متباينة وليس لهم برهان قاطع يثبت رأيًا منها وابعدها عن الثبوت هو رأي القائلين بسيلان قلب الارض اما انا فاحتم بعدم وجود الحرارة الداخلية اذ لا ارى وجودها ممكنًا ومع ذلك فسنقف على حقيقة الامر ونرى قلب الارض رأي العين كما فعل ارن سكنوسيم

فطربت لهذا الكلام وخفق فؤادي كأن عمي نفث فيَّ من روحه فملت الى تلك السفرة بقدر ما كنت اتقيها وكنت ارغب عنها فصرت ارغب فيها واجبت الاستاذ بحرارة قائلاً اجل لا بد من العمل وان كانت العين ترى في قلب الارض فسنرى ما هنالك

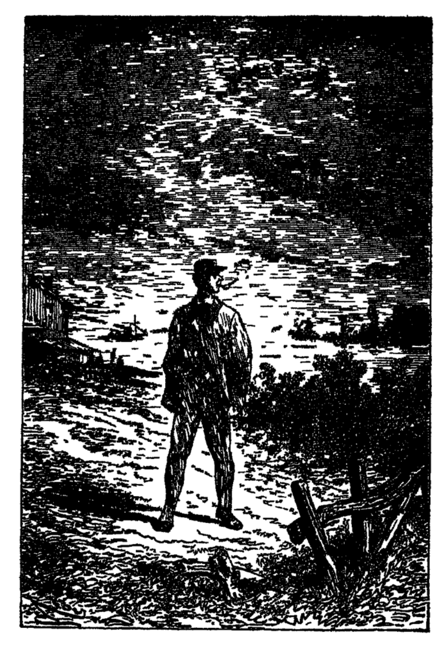
فقال ولماذا لا نرى فهل يستحيل وجود ظواهر كهربائية تنير قلب الارض وفضلاً عن ذلك فان الهواء نفسه عند قلب الارض ربما كان كافياً للانارة بسبب شدة الضغط الذي عليه

قلت نعم نعم ذلك ممكن

قال لا تقل ذلك ممكن بل قل ذلك واجب حتماً ولكن اياك ان تفوه بكلمة واحدة عن امر هذه الرحلة فالتزم الصمت التام لئلا يسبقنا احد الى هذا الاكتشاف

الفصل السابع

علمت ما كان من تلك المحاورة وما انتهى اليهِ امرها فلو دعاني الاستاذ الى الرحيل على اثرها لعمدت الى ذلك بنشاط وابتهاج ولكني بعد ان تركته رأيت نفسي في حاجة الى استنشاق الهواء البارد وكانت شوارع المدينة ضيقة في عينيَّ فطلبت البر الفسيح متوجهاً نحو نهر الالب وريثما هداء غليان دمي وسكن تنبيه افكاري تذكرت المحاورة التي سردناها ونظرت اليها بعين التدبر فراجعني الريب في صحة الامر ثم تذكرت الادلة التي اقامها الاستاذ فملت الى رأيه بعض الميل ثم عدلت ايضاً الى الريب وبقيت ساعةً بين الشك واليقين حتى زال ما كان باقياً بي من هيجان الافكار فتغير حكمي في المسألة تغيراً كلياً فتراءى لي ان عمي على شطط بيّن وان عزمة على السفر لا يوافقهُ عليه الا كل مجنون ثم داخلني الريب في سلامة عقله وبعد برهة داخلني الريب في حصول المحاورة



فطلت البر الفسيح (صفحة٣٦)

نفسها فقلت كل ما سمعته ورأيته كان في الحلم لا في اليقظة وفي أثناء ذلك كانت رجلاي تذهب بي على غير قصد مني على طريق ألتونا ولما رجعت الى نفسي رأيت ابنة عمي غريبة على قيد رمحين مني عائدة الي همبرج فحال ما ابصرتها ناديتها باسمها ووثبت نحوها فنظرت اليّ باسمة وقالت مرحبًا بك يا اكسيل فان كنت اتيت لاستقبالي فلك مني مزيد الشكر

ثم نظرت على وجهي دلائل الاضطراب ولوائح الحيرة فقالت مالي اراك حائرًا مضطربًا

فاطلعتها بوجيز العبارة على وقائع المسألة واوقفتها على عزم عمي وكنت اخال انها لا توافق على رأيه غير انها بعد ان اطرقت برهة تتروى في الامر نظارت اليَّ وقالت نعم الرأي يا آكسيل ونعمت الرحلة

فوثبت من محلي عند سماعي هذه الكلمات من فم محبوبتي فاردفت كلامها قائلة نعم يا اكسيل ان هذه الرحلة جميلة وسينالك منها شرف رفيع وعز منيع واعلم انه يحسن بالمرء ان يشتهر بين الخاص والعام بامر من الامور العظام فاذا ذكرت طبقات الناس دخل في عداد الرجال والتحق بطائفة من الابطال واذا نشبت بجسمه مخالب المنون بقي اسمه في منتديات الفنون على ان المجد لا سبيل اليه الا بالمخاطره ولا مجال لادراك المنى بسوى الدأب والمثابره أنسيت قول الشاعر العربي

لا تحسب المجد تمرًا انت آكلهُ لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فاجبتها أهذا ما تقولين وقد كنت انتظر منك لو وجدتني مصممًا على السفر ان تحوليني عن عزمي

قالت معاذ الله ان احول عزمك عن مشروع عظيم نبيل الغاية ولو لم يكن بوجودي معكما تثقيل عليكما لصحبتكما في هذه الرحلة

قلت أتقولين الجد ام انت تمزحين

قالت لا اقول الا الجد

فلما رأيت تلك الفتاة تشجعني على رحلةٍ كنت منها في وحل علا وجهي احمرار الخجل وفكرت في امر النساء وعلمت ان فيهن سرًّا لا يدرك فقد جمعنَ في طبيعتهنَّ كل نقيض فاما ان تكون المرأة اجبن المخلوقات واما اجسرها وكانت غريبة مع ذلك تحبني محبة شديدة فقلت لها سننظر يا غريبة أتبقين على هذا الراي ام تعدلين عنهُ في الغد

فقالت ان رأيي غدًا يا عزيزي آكسيل هو رأيي اليوم

ثم توجهنا نحو المنزل صامتين وكنت في تلك الاثناء انفكر في الرحلة وما يكون من امرها ثم قلت في نفسي بيننا وبين آخر يونيو زمن طويل فعسى الايام تشفي عمي من جنونهِ غير ان الاستاذ كان قد صرف بقية النهار منذ فارقه بمشترى الادوات اللازمة للرحلة من حبالٍ وفؤوس ومعاول وغير ذلك فلما دخلت الدار رأيته بين جماعةٍ من العتالين مشتغلاً بوضع تلك الادوات في دهليز المنزل وهو يذهب يميناً ثم يعود شمالاً فلا يستقر لهُ قدم والغبار قد كسا رأسه وعارضيه وعلا على اهدابه وحاجبيه وكانت مرتا حائرة مندهشة لانها لم تكن تدري لذلك التأهب من سبب

فحالما وقع نظر الاستاذ عليَّ ناداني عن بعدٍ قائلاً اسرع يا اكسيل ودع عنك التواني فهل حضَّرت امتعتك وثيابك وهل تجهل ان اوراقي تحتاج الى الترتيب ابحث عن مفتاح صندوقي فاني قد اضعته وكذلك لا ادري اين وضعت نعل السفر

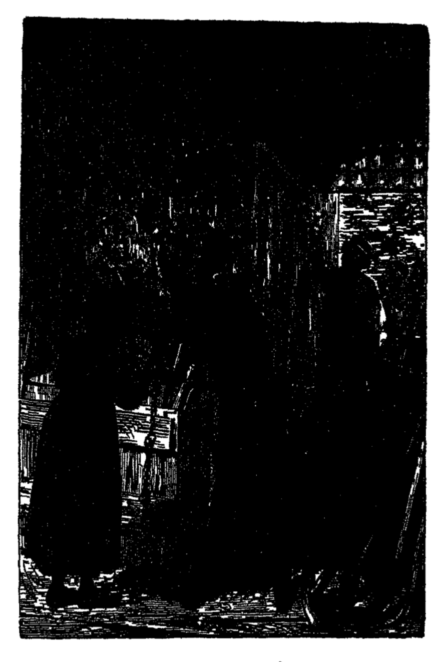
فاخذتني الحيرة وتقيد لساني عن الكلام ولم احر جواباً ثم قلت بترددٍ وصوت منخفض اذن نحن على اهبة السفر

قال اي وربك لامحيص عنه ولا مناص منه واراك بدلاً من ان تصرف هذا الوقت الثمين في الاستعداد للرحيل صرفتهُ في التنزه والتجول

قلت في اي يوم نسافر

قال بعد غدٍ صباحاً

فلما سمعت هذه الكلمات علمت ان قد قضي الامر وصعدت الى غرفتي فصرفت تلك الليلة في قلق شديد ولم يغمض لي جفن حتى الصباح اذ سمعت ابنة عمي تناديني بصوتها الرخيم فخرجت اليها فقالت لي اعلم يا عزيزي اكسيل اني تباحثت طويلاً مع عمك في شأن المسألة وقد رأيت منهُ عالماً جسوراً فاذكر ان دمه يسري في عروقك وقد اطلعني على افكاره وامانيه والاسباب التي بنى عليها آماله



فلما دخلت الدار رأيته بين جماعةٍ من العتالين (صفحة ٣٩)

فلم يعد عندي شك في نجاح المشروع فما اجمل خدمة العلم وما اعظم الشرف الذي سينال الاستاذ ليدنبروك ورفيقه فاذهب اذن يا اكسيل وارجع سالمًا ليطير صيتك في الآفاق وتصبح من اقران عمك فيصير لك الحق اذ ذاك في التكلم والتصرف ويمكنك حينئذٍ ان . . . .

وهنا وقفت عن الكلام وامسكت عن الاتمام وقد احمر وجهها فكان لكلامها وقع حسن في فوادي فقلت شهد الله يا غريبة ان الموت هين في سبيل رضاكِ

ان كان في موتي رضاكِ فحبذا   قتلي وما قتل المحب حرامُ

ولكنني لا طاقة لي على فراقك فامرك مطاع الا بالبعد عنكِ واذا فرضنا ان عمي مصيب في رأيه ولم تحرقنا النار المأججة في قلب الارض فهل اسلم من حريق النار المستعرة في فوادي واقل ما اخشى فقد البصر من فرط البكاء شوقاً اليكِ

اخشى على عينيّ من فرط البكا   واخاف فقدها واو بهواكِ
ما الخوف من فقد العيون وانما   خوفي بأني لا اعود اراكِ

فقالت مهلاً يا آكسيل ما هذه الاّ تصورات شعرية والشعراء اكذب من على البسيطة الم تقل لي مرة انك لو تنفست في البحر لتحول ماؤه الى بخار بسبب النار التي في قلبك ومع ذلك لم تحترق بل بقيت والحمد لله متمتعاً بالصحة التامة وقد كتبت اليّ مرة تقول

ما كنت اعلم كيف عمّ مقدماً   طوفان نوحٍ سائر الآفاقِ
فعلمت حقاً بعد نأيك انهُ   ما كان الاّ من بكا العشاقِ

فان كنت صادقاً في القولين فلتبرد دموعك لظى فوادك

فاطرقت مفحماً عن الجواب على انني كنت لم ازل اعلل نفسي بامل عدول عمي عن عزمه فدخلت مخدعه برفقة غريبة وقلت لهُ هل عزمت اذن كل العزم على السفر

فقال ويك يا آكسيل وهل عندك ريب في ذلك

فقلت لا ولكنني لا ارى موجباً لهذه السرعة اذ انا في ٢٥ مايو وامامنا شهر يونيو بطوله

قال اظن ان السفر الى ايسلاندا سهل وما تدري انهُ لا يقوم من كوبنهاغن الى ريكياويك الا مركب واحد في كل شهر وذلك في اليوم الثاني والعشرين منه فان لم نسافر فى الشهر القادم ونبلغ الجبل قبل دخول شهر يوليو فانى لنا معرفة الفوهة المقصودة .

فلما لم ارَ سبيلاً الى المحاولة رجعت الى غرفتي وكانت غريبة قد تبعتني فوضعت الثياب اللازمة لسفري في صندوق صغير وكانت في اثناء ذلك تقيم الادلة المؤيدة لمذهب عمي وهي مع ذلك باسمة لا يخالجها اضطراب ولا يعروها انبهار كأنما نحن على اهبة سفر الى البحيرة او الى ضفة نهر الألب

واما انا فكان يأخذني الحنق احياناً على انها لم تكن تكترث بذلك ولما فرغنا من اعداد لوازمي نزلت الى صحن الدار فرأيت عمي كما في مساء الامس بين جماعة من الحمالين حاملاً بعضهم اسلحة وبعضهم آلاتٍ علمية واجهزة كهربائية وكانت مرتا في غاية الحيرة والاندهاش فلما نظرتني اقبلت عليَّ وقالت لي همساً هل طرأ عارض على عقل الاستاذ

فاومأت براسي ان نعم

فقالت وهل يصحبك في رحلته

فابديت اشارة ايجابية

قالت الى اين

فاشرت بيدي الى قلب الارض

فقالت ألى السرداب

قلت الى اعمق من ذلك

قالت اذن الى الجحيم

قلت اي وابيكِ

وبعد ان وضع عمي الادوات والآلات التي اشتراها في الصناديق المعدة لها دخلنا قاعة المنزل فقال لي موعدنا بالرحيل صباح غد فكن على استعداد

وكانت غريبة بجانبي فنظرت اليها متنفساً الصعداء وقلت همساً

لا مرحباً بغدٍ ولا اهلاً بهِ ان كان تفريق الاحبة في غدِ

وكان كلام الاستاذ في تلك الليلة يشف عن شدة شوقه الى الرحيل وفروغ



وبينما دخلت العربة سارت بنا الخيل خبباً على طريق ألبوبا (صفحة ٤٤)

صبره من الانتظار فكان لسان حاله يعارضني قائلاً

قالوا اللقاء غداً بمنعرج اللوى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ واطول شوق المستهام الى غدِ

وعند الساعة العاشرة اضطجعت على فراشي فكان نومي متقطعاً وقضيت ليلي احلم بهوايا مخيفة فاستيقظ مذعوراً ثم انام فيأتيني طيف الاستاذ بانياب حداد واظافر كالمناجل ويتشلني بمخالبه كما ينتشل العقاب فريسته ثم يهوي بي الى هوية لا قعر لها فافيق مرعوباً وبقيت على ذلك حتى الساعة الخامسة بعد نصف الليل فخرجت من غرفتي وتوجهت الى قاعة المائدة فوجدت عمي يتناول الطعام وغريبة

بجانبه وكنت لم ازل تحت تأثير الحلم فاقشعر بدني لما رأيتهُ ثم خالسته نظرةً شرسة وجلست بعيدًا عنه وعن الطعام وبعد برهة سمعنا دوي عربة وقفت امام باب المنزل وكان قد طلبها عمي لنقلنا ونقل لوازمنا الى محطة السكة الحديدية فخرجنا من قاعة المائدة وفي برهة قصيرة شحن عمي العربة بامتعة السفر ثم التفت اليَّ وقال اين صندوقك

فقلت انهُ حاضر وبقيت في مكاني لا استطيع حراكًا

فدفعني بيدهِ دفعة عنيفة وقال ائتِ بهِ حالاً لئلا يفوتنا القطار

فقلت لم يبقَ الى النجاة من سبيل وعلمت ان الله قضى عليَّ بشر ميتة فصعدت الى غرفتي واحضرت صندوقي ووكلت امري الى الله وكان عمي اذ ذاك يسلم ادارة منزله لغربية وبعد ان فوضها في امر بيته تفويضًا مطلقًا ودعها فقبلت وجهه ثم دنت اليَّ فعانقتني وقد اغرورقت عيناها بالدموع فضممتها الى صدري وقد خنقتني العبرة ثم نفرت منها تخلصًا من عذاب الوداع وريثما دخلت العربة سارت بنا الخيل خببًا على طريق ألتونا

الفصل الثامن

ألتونا قرية بضواحي مدينة همبرج وفيها المحطة الاولى من خط السكة الحديدية المعروفة بسكة كيال وكان وصولنا اليها في منتصف الساعة السابعة فنقلنا امتعتنا الى احدى العربات وعند ابتداء الساعة الثامنة سار بنا القطار قاصدًا سواحل البلت من مملكة الدانمرك

يطوي الفدافد لا يرام غباره سهم الى كبد الفلاة مفوقُ
كالشمس افق الغرب ودعها ولم يمض الدجى حتى حواها المشرقُ

وكنت لم ازل كارهًا تلك الرحلة غير جازم بنجاحها الا ان النسيم اللطيف الذي كان يلعب بشعري وانا متكيء على نافذة العربة والمناظر البديعة التي

كانت تنتشر وتنطوي امام عيني الهتني عن المصيبة التي كنت فيها

واما عمي فكان غير مكترث بهذه المناظر لا يبتغي الا سرعة الوصول واظن انهُ كان يرفس العربة برجلهِ حيناً بعد حين لكي يعجل سير القطار وبعد مسير ثلاث ساعات وقف بنا القطار في محطة كيال القائمه على شاطيء البحر وفي الحال نقلنا امتعتنا الى المركب البخاري المدعو آليونورا وكان وصولنا في الساعة العاشرة صباحاً وموعد سفر المركب في الساعة العاشرة مساء

ولما علم عمي بذلك اخذه الغضب فصار يلعن الوابورات وادارتها ويذم الحكومة التي تغض النظر عن مثل ذلك الاهمال فضحكت في سري من حدة عمي ومذهبه في الملاحة الا اني وافقتهُ على رأيه في الظاهر ونددت بتصرف مصلحة الوابورات التي تضيع الوقت سدًى غير مكترثة بمصالح العموم اما الاستاذ فقصد الربان وهو محتدم غيظاً واراد ان يقنعه بوجوب السفر حالاً فظنه الربان مجنوناً واعرض عنهُ غير مكترث بكلامه فعاد وقد ازداد غيظه وبقي حتى وقت السفر يقوم ويقعد وينظر تارة الى الشمس وطوراً الى الساعة ويلعن كل ربانٍ على العموم وربان الآليونورا على الخصوص

ولما ازفت ساعة الرحيل رفعت مرساة السفينة وكان قد اشتد ضغط بخارها فسارت تشق عباب الماء وعمي يجول على ظهرها وعيناه متجهتان نحو سواحل سيلاندا الغربية التي كنا شاخصين اليها وكان الليل حالك السواد فلم أرَ من مدينة كيال بعد ان ابتعدنا عنها ميلاً الا بعض انوار متفرقة وفي تلك الليلة شاهدت منارة ساطعة النور في اثناء مسيرنا وذلك كل ما اتذكره من تلك السفرة

وعند الساعة السادسة من الصباح رست بنا السفينة بالقرب من شاطيء مدينة كورسور وفي الحال نزلنا اليها وكان شحن السفينة قليلاً فلم يمضِ الا ساعة من الزمن حتى نقلت امتعتنا الى احدى عربات قطار السكة الحديدية الممتدة بين

تلك المدنة وعاصمة الدانمرك وكانت المسافة بين المدينتين ثلاث ساعات فقط وبعد ان سار بنا القطار ساعةً اشرفنا على حون فصرخ عمي هوذا السوند

وكان على شمالنا بناية متسعة اشبه بمستشفى فاشار اليها احد المسافرين وقال هذا بيمارستان

فقلت في نفسي هذا هو المأوى الذي يحق بي وبعمي ان نصرف بقية ايامنا فيه ومهما كان اتساعه فهو ضيق في جانب عظم جنون الاستاذ ليدنبروك

وفي الساعة العاشرة وصلنا الى كوبنهاغن وفي الحال نقلنا الامتعة على عربة الى فندق يعرف بنزل فينيكس وبعد ان صرفنا ساعة في ترتيبها وتغيير ملابسنا خرجنا من الفندق قاصدين دار الانسيكخانه لان مديرها كان صديقًا لقنصل همبرج وكان عمي مصحوبًا بكتاب توصية اليه

اما الانسيكخانه المومأ اليها فتعرف بالانتيكخانة الشمالية وهي شهيرة تحتوي على آثار ثمينة من الدورين الحجري والبرنزي نادرة الوجود وكان مديرها من العلماء المعتبرين وكنت اعلم ان العلماء على وجه العموم لا يحسنون استقبال بعضهم الاان مدير الانسيكخانه استقبلنا بخلاف ما كنت انتظر فاخبره عمي باننا قاصدون الرحيل الى جزيرة ايسلاندا للتسوح فيها فقام في الحال معنا الى المينا على امل ان نجد مركبًا على عزم السفر الى تلك الجزيرة فقيل لنا ان سفينةً شراعيةً دانمركية تعرف باسم فلكيريا ستقلع من كوبنهاغن شاخصة الى ريكياويك قصبة ايسلاندا في اليوم الثاني من شهر يونيو فقصدناها وقابلنا ربانها الموسيو بجرن وبعد ان تحقق الاستاذ منهُ صحة الخبر اعتنقهُ وضمه الى صدره بطرب وسرور فتعجب الربان من ذلك لانهُ لم يأتِ امرًا يستوجب الثناء اذ ان الملاحة بين الدانمرك وايسلاندا مهنته اما عمي فكان يرى ذلك منهُ عظيما خارقًا للعادة فلما رأى منا الربان تلك الرغبة اخذ منا اجرة اظنها ضعف الاجرة الاعتيادية ثم اخبرنا ان السفر يكون في الساعة السابعة من صباح الاثنين وبعد ذلك انصرفنا وعمي يشكر لمدير

الانسكلانه سعيه المبرور ويثني على نشاط الربان وهمته وكان وجهه متهللاً فرحاً فبتي يحمد الصدفة التي اسعفت بحاجته حتى وصلنا الى لوكندة فرنساوية بالقرب من نقطة عسكرية عند الساحة المعروفة بميدان كونجنس نيتورو وفي تلك النقطة مدفعان قديمان لم يوضعا الا للزينة او للتهويل فقط لانهما معطلان فتناولنا الطعام في تلك اللوكندة بلذة وقابلية واعترفنا بفضل طباخها المدعو فينسان ثم اخذنا نجول في اطراف المدينة وشوارعها وكان عمي يتبعني اينما سرت وهو غائص في بحار افكاره مشغول بها عن ابنية المدينة ومعاهدها الا انه بعد ساعة وقع نظره على قبة كنيسة في جزيرة أماك القائم عليها القسم الجنوبي الغربي من المدينة فانعم النظر فيها برهةً ثم قال اتبعني وسار نحوها على عجل ولما وصلنا الى المعدية اخذنا سفينة تجارية وفي اقل من خمس دقائق حللنا بالجزيرة وسرنا في ازقة ضيقة حرجة فرأيت فيها بعض المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة يشتغلون باصلاح الطرق وتمهيدها وكانت اثوابهم طرزاً واحداً نصفها اصفر والنصف الآخر رمادي اللون ورأيت حولهم جماعة من العساكر الموطنين بحفظهم وكانوا اذا تمهل احد منهم في شغله او اسرع يضربونه بالسوط ضرباً اليماً فأثر فيَّ ذلك المنظر واشمأزت نفسي من اولئك العساكر بقدر توجعها على حالة هولاء المجرمين فحولت نظري عنهم وبعد برهة وصلنا الى الكنيسة المقصودة وكان بناوها بسيطاً عادياً الا ان قبتها تزاحم الكواكب في احيازها وتباري النجوم بهلالها وسلمها الخارجي يلتف عليها من اسفلها الى اعلاها على شكل حلزوني وذلك ما استدعى عمي الى الالتفات اليها فلما وصلنا اليها دعاني عمي الى الصعود فامتنعت خوفاً من الدوار

فقال لا بد من ذلك لانهُ يجب عليك ان تتغلب على الدوار بالعادة فتوقفت برهة ولكن الاستاذ اخذني بيده وسار امامي لا يلتفت اليَّ ولا يصغي لكلامي فتبعته على وجل وكان قلبي يخفق ورجلاي ترتجفان على اننا كنا لم نزل

في السلم الداخلي فبعد ان صعدنا نحو مائة وخمسين درجة وصلنا الى السلم الخارجي فوقفت هناك برهة اتنسم الهواء البارد ونظرت الى اعلى القبة فرأيتها باسقة ينطح راسها اعلى السحاب وسلمها يزداد ضيقاً كلما ازداد ارتفاعاً وخيل لي ان لا نهاية له فوقفت مرتاعاً وامتنعت عن التقدم فوبخني الاستاذ ووصفني بالجبن ثم اخذ يدي بيده وجرني بعنف وسرعة فلم يمكني الا الانقياد فقبضت على يده باحدى يديَّ وعلى متكاء السلم بالاخرى وسرت وراءه ملتصقاً بعمود القبة مبتعداً عن طرف السلم جهد امكاني وفي تلك الاثناء حانت مني التفاتة الى الارض فرأيت بيني وبينها مسافة شاسعة راعتني فاشتد بي الدوار وخيل لي ان الارض تميد بي ورأيت القبة تميل ذات اليمين وذات الشمال فوهن عزمي وطاش لبي واقبلت زحفاً على الركبتين ادب دبيباً وعيناي مغمضتان وكان الاستاذ يجرني بيده وهو يسير امامي منتصباً كأنه يسير في شوارع همبرج فلما بلغنا قمة القبة نزع يده من يدي وكنت احسب اننا لم نزل في صعود فاخذني الخوف وقبضت على رجليه قبضة اعمى او غريق فجذبني من اذني فانتصبت واقفاً رغماً عني فنظر اليَّ باسماً وقال انظر الى ما دونك بتؤدة وسكون وسرح الطرف براً وبحراً فانت في حاجة الى هذا التمرين لانك ستسير عما قليل على سلالم لا متكاء لها ودونك اعماق لا يسبر النظر غورها

فسكنت جاشي وثبتُّ قدمي ونظرت الى المدينة وكان ضباب المداخن منتشراً فوقها كالرواق الممدود فرأيت بيوتها معربة بالخفض لا سيما التي كانت بالقرب من الكنيسة فاني كنت اراها غائرة جداً ثم نظرت الى السماء فرايت فوق رأسي غيوماً خفيفة غير متصلة خيّل لي انها ثابتة وان القبة سائرة بي وبعي بسرعة الطير ثم سرحت طرفي يميناً فرأيت سهولاً شاسعة ورياضاً نضرة وجنات بهجة قد كساها الربيع حللاً مدبجة بالازهار مطرزة بالانوار ونظرت شمالاً فرأيت البحر ازرق صافياً واشعة الشمس تنعكس عليه ساطعة والسفن الشراعية تتمايل



واقبلت زحفاً على الركبتين ادب دبيباً (صفحة ٤٨)

على مياه جون السوند مع الهواء كأنها طيور بحر نشرت اجنحتها وكانت سواحل اسوج تلوح على بعد من جهة الشرق كالغمامة السوداء وبعد ساعة نزلنا من القبة وبينما كنت احمد الله على خلاصي اخبرني عمي باننا سنعيد هذا التمرين في الغد وكان ما قال وبقينا على ذلك خمسة ايام متوالية حتى نجحت في ذلك الفن الجديد الذي كان يسميه الاستاذ فن التحلي وحينئذٍ كف شره عني

الفصل التاسع

لما جاء وقت السفر ودعنا مدير الانتيكخانة وكان قد اصحبنا بكتب للكونت ترامب حاكم ايسلاندا وللقس بكترسون النائب الاسقفي وللمسيو فنسين شيخ صلح مدينة ريكياويك قصبة الجزيرة توصيةً بنا فشكر لهُ عمي صنيعهُ واثنى عليه ثناء جميلاً وقبل حلول الساعة السادسة انتقلنا الى السفينة بامتعتنا وبوصولنا تقدم عمي الى الربان وسألهُ عن الريح

فاجابه هي ريح الأزيب وليس اوفق منها لرحلتنا

سأَل متى نصل الى ايسلاندا فيما تظن

قال بعد عشرة ايام ان لم تقاومنا ريح الجربياء وراء جزائر فيروي

سأَل هل اتفق لك فيما مضى ان تتأخر عن الوصول اكثر من عشرين يومًا

قال لا ياموسيو ليدنبروك فكن مطمئن البال

وبعد ذلك بقليل اقلعت السفينة وساعفتها الريح فسارت كالطير في السماء او السهم في الهواء ولم تنقض ساعة حتى توارت كوبنهاغن عن اعيننا وراء الامواج ومرت بنا السفينة بالقرب من سواحل السونور وفي المساء مررنا امام رأس اسكاجن وهي النقطة الشمالية من بلاد الدانمرك وفي الليل تجاوزنا اسكاجراك ثم رأس ليدنيس من اراضي مملكة نروج ودخلنا البحر الشمالي وبعد يومين مررنا بالقرب من سواحل اسكوتسيا على قيد ميل من رأس بيترهيد ومن ثمَّ سارت بنا السفينة نحو جزائر فيروي مارةً بين جزائر اوركاد وسيتلاند وكنا قد احتللنا مياه الاوقيانوس الاتلنتيكي فهناك هبت ريح شمالية قوية وجرت بما لا تشتهيه سفينتنا فعارضتنا معارضة شديدة فما بلغنا جزائر فيروي الا بعد اللتيا والتي وفي اليوم الثامن من الشهر مررنا ازاء جزيرة ميكانيس ومن ثم سارت بنا السفينة نحو رأس بورتلند في جنوبي ايسلاندا فاقبلنا عليه في اليوم الحادي عشر ولما كانت تلك الشواطئ خطرة المسالك لم تقترب السفينة منها بل بقيت سائرةً نحو الغرب

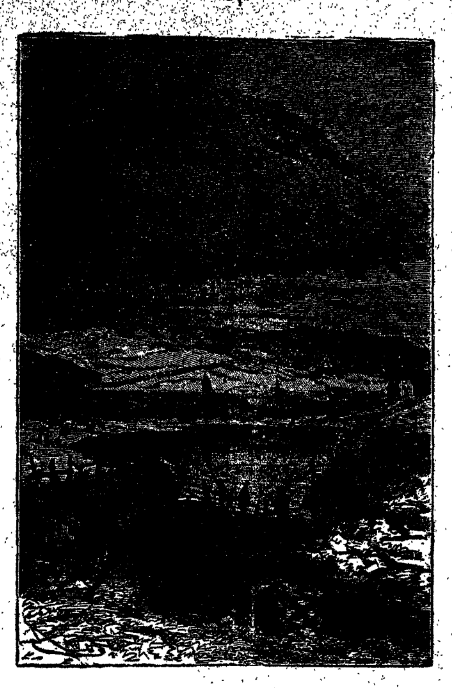
على خط مستقيم والحيتان تسايرها من اليمين واليسار واحيانًا تقابلها من الامام واذنابها قائمة قيام دفة السفينة فصرت اتأمل في اشكالها البديعة ومناظرها المريعة وتحقق لي ما كنت اسمعهُ قبلاً من ان الانسان اهتدى الى اتخاذ السفن باشكال الحيتان

وبعد ساعةٍ اشرفنــا على جزائر ويستمن فقرضناها ذات اليمين ثم ازورَّت بنا السفينة نحو الجهة الشمالية مارةً امام رأس ريكيانيس وهو الزاوية الغربية لايسلاندا وبعد ثماني واربعين ساعة وقفت بازاء مدينة ريكياويك على بعد ثلاث ساعات من الشاطي حذرًا من الصخور الممتدة تحت المياه عند رأس اسكاجن فاتى اليها ملاح ايسلاندي يقودها بين تلك الصخور الخطرة وبعد ثلاث ساعات رست بنا امام المدينة في فرضة فيكسا

فخرج حينئذ الاستاذ من مخدعه وكان لا يصدق بالخلاص من سجنه لانهُ فضلاً عن شدة شوقهِ الى الوصول قاسى في تلك الرحْلة من الم الدوار اشده غير انهُ قبل ان يبارح السفينة اخذني على ناحية منها واشار بيده الى جبلٍ عالٍ وقال بصوتٍ منخفض ذاك هو اسنيفل مر عليه حين من الدهر زمن الشبوبية يقذف النيران من جوفه ثم جاءت ايام الشيخوخة فامست ناره رمادًا واشتعل راسه شيبًا فرأيت جبلاً شاهقًا كساه الثلج حلةً بيضاء وله راسان مخروطيا الشكل كانهما قرنان

انافا باعنــاء السماء واشرفا على الجو اشراف السماك او النسر

وبعيد دخولنا ريكياويك قابلنا الكونت ترامب حاكم الجزيرة والموسيو فنسين شيخ صلح قصبتها وسلمها عمي كتب مدير الانتيكخانة الشمالية فترحبا بنــا ورفعا مقامنا ووعدا الاستاذ بمساعدته في كل ما يحتاج اليه واما النائب الاسقفي فلم نتمكن من مقابلته لانهُ كان غائبًا عن المدينة يتجول في انحاء ابرشيته وفي ذلك النهار زارنا احد اساتذة مدرسة ريكياويك وهو شاب لطيف يدعى فريدريكسون



رست بنا امام المدينة في فرضة فيكسا (صفحة ٥١)

وكان لا يتكلم الا باللاتينية والايسلاندية فحالما نظرته مال قلبي اليه ولم نلبث ان ارتبطنا بعرى المودة الحقيقية فكان انيسي الوحيد في كل المدة التي اقمناها في ريكياويك وكان لفريدريكسون بيت يشتمل على ثلاث غرف فاخلى لنا اثنتين منها والح علينا بالاقامة عنده فاجبناه الى طلبه شاكرين صنيعه وتقلنا متاعنا الى منزله في ذلك اليوم نفسه

ولما خلا المكان بي وبعمي نظر اليّ بوجه متهلل فرحاً وقال هان الامر يا اكسيل

قلت ماذا تريد بذلك

قال اريد انهُ لم يبق علينا الا النزول الى قلب الارض

قلت وهل الرجوع الى ظاهرها ليس عندك بامر ذي بال او تريد ان نقيم في قلب الأرض ابداً

قال لا يهمني الان امر الرجوع فمتى تم لنا الذهاب ننظر في الاياب ثم اخذ قبعته وعصاه وقال انا ذاهب الى المكتبة علّي اجد بها شيئًا لسكنوسيم

قلت وانا ذاهب اتجول في المدينة واتعهد معاهدها فهل لك ان تفعل مثل ذلك يا عماه

قال لا فان الذي تتوق نفسي اليه انما هو قلب ايسلاندا لا وجهها

ثم خرجت اتجول في اسواق المدينة سائراً حيثما ساقتني قدمي اما ريكياويك فهي مدينة صغيرة قائمة بين رابيتين وعلى احد جانبيها كثيب تألف من المواد البركانية ينتهي الى البحر ومن الجانب الآخر فرضة فيكسا التي تمتد من الجهة الشمالية حتى قاعدة جبل اسنيفل ولم يكن فيها وقتئذٍ من السفن غير السفينة فلكيريا التي حملتنا الى تلك الديار ولريكياويك شارعان فقط احدهما يمتد على خط موازٍ للشاطئ وهو مقر التجار وارباب الحرف والصنائع والآخر واقع في الجهة الغربية منها وفيه دار الاسقفية ومنازل بقية الاهالي الذين لا يتعاطون التجارة وهو اصغر من الشارع الاول فتجولت برهةً في ذينك الشارعين فرأيت منظرها تنقبض لهُ الارواح وتشمئز منهُ النفوس

لا تكاد العيون تبصر فيه قط غصناً يهفو اليه النسيمُ
ومتى انتجبت الى العين انساً بلدة محلــة وأرض عقيمُ

ولما وصلت الى نصف الشارع الثاني رأيت الجبانة العمومية وهي ارض فسيحة يحيط بها سور من تراب ومعظمها خالٍ من القبور وعلى مسافةٍ قريبة منها سراي الحاكم وهي دار بديعة بالنسبة الى اكواخ الاهالي كما انها اشبه بكوخ في جانب سراي همبرج وللمدينة كنيسة واحدة قائمة بين ذاك الشارع وبحيرة صغيرة



بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربةً (صفحة ٥٢)

واقعة في الجهة الغربية وهي مبنية بحجار متكلسة قذفتها البراكين من افواهها الملتهبة وسطحها مسقوف بالطوب الاحمر واظن ان سقفها يتجدد مرةً في كل عام لان الرياح بالطبع تبدده في فصل الشتاء واما المدرسة الوطنية فهي مبنية على كثيب بالقرب من الكنيسة وهي تحتوي على اربعين تلميذاً ويدرس فيها اربع لغات فضلاً عن العلوم وهي اللاتينية والانكليزية والفرنساوية والدانمركية

وبيوت الاهالي مبنية باللبن وحيطانها قليلة الارتفاع منحنية الى الداخل

وسطوحها مكسوة بالعشب لان حرارة المنزل الداخلية تساعد على نموه وقد علمت ان الاهالي يقطعون ذلك العشب ويقدمونه علفًا لمواشيهم اذ ان تربة المدينة صلعاء جدباء لا يكثر فيها الا ما قذفته البراكين من الصخور النارية والمواد الكبريتية بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربةً وعند رجوعي الى شارع التجار رأيت كثيرين من الاهالي يشتغلون بتقديد السمك ومعظم تجارة المدينة بالسمك القديد

اما الاهالي فالرجال منهم اقوياء البنية ولكنهم بطيئو الحركة فهم اشبه بالالمان من سواهم واللون الاشقر عمومي فيهم وهم ابعد الناس عن الهزل والمجون فلا ترى فيهم خفةً ولا تسمع لضاحكهم قهقهةً فكأن قلوبهم في حزن دائم وما ذاك الا لانفرادهم عن بقية العالمين في بلاد واقعة على حدود دائرة القطب واما لباسهم فقبعة واسعة وعباء (سترة) من صوف وسروال (بنطلون) مخطط بشريط احمر ونعل ذات قبال واما النساء فمظرهنَّ مقبول وعلى وجوههنَّ سمات الحزن وانكسار النفس والبنات منهنَّ يثنين الشعر ذوائب ويلبسن عراقية سمراء تحيكها ايديهن واما من كانت ذات بعل فتعصب الرأس بعصابة ملونة تعلوها قطعة من نسيج الكتان بهيئة ريشة نعام

وفي مساء ذلك اليوم بينما نحن على المائدة نتناول الطعام دار الكلام بين الاستاذ والموسيو فريدريكسون على مواضيع علمية وكان الاستاذ ينقدني بعينه تنبيهًا لي الى التزام السكوت عما يتعلق برحلتنا

وفي اثناء ذلك سألهُ الموسيو فريدريكسون عما وجده في المكتبة من الكتب النفيسة فاجابه الاستاذ بانهُ لم يجد فيها كتابًا واحدًا جديرًا بالالتفات فاخبرنا الموسيو فريدريكسون ان المكتبة غنية تشتمل على ثمانية الاف كتاب قديمة العهد اكثرها نادر الوجود فضلاً عن الكتب الجديدة التي يزداد عددها سنةً عن سنة غير ان الايسلانديين لما كانوا مائلين بالطبع الى العلم لا يجهل احد منهم القرآءة

فهم يتداولونها لمطالعتها ويرون ان تلفها بين ايديهم خير من ان تقضها الجرذان وهي في طبقات المكتبة ثم سأل الاستاذ عن الكتب التي يروم الاطلاع عليها

فاجابه الاستاذ هي مؤلفات آرن سكنوسيم

فقال فريدريكسون آرن سكنوسيم ذلك العالم الذي عاش في الجيل السادس عشر امام العارفين بالعلوم الطبيعية واستاذ الكيماويين واجسر السواح

قال نعم هو بنفسه

قال فخر ايسلاندا واشهر رجال عصره

قال هو هو بعينه فأين مؤلفاته

وكان وجه الاستاذ متهللاً فرحاً عند سماعه مديح سكنوسيم فاجابه فريدريكسون ان مؤلفات ذلك العالم غير موجودة

فتعجب الاستاذ وقال كيف لا توجد مؤلفات هذا العالم الشهيرُ في ايسلاندا وطنه

فقال فريدريكسون لا يوجد منها شيء لا في ايسلاندا ولا في سواها من البلدان وسبب ذلك ان آرن سكنوسيم اتهم بالكفر واضطهد من اجل ذلك وفي سنة ١٥٧٣ احرقت مؤلفاتهُ في كوبنهاغن بيد الجلاد

فانبسط وجه الاستاذ وقال الآن انكشف لي سر المسألة وعرفت السبب الذي حمل سكنوسيم على اخفاء اكتشافه . . . .

فسألهُ فريدريكسون بتشوقٍ قائلاً اي سر واي اكتشاف أوقفت على شيء من آثار هذا العالم

فبدت على وجه الاستاذ علائم الارتباك وقال لا . . . ولكني . . . افرض . . .

فقلت مخاطباً فريدريكسون دار الكلام مرةً بيني وبين عمي على سكنوسيم وعجبنا من كونه لم يترك شيئاً من المؤلفات مع تضلعهِ من العلوم وانفراده بين رجال

عصره بفنون كثيرة

فقال الاستاذ نعم نعم كنت اعجب كيف ان هذا العالم لم يترك اثرًا يذكر به فانكشف لي الان سر المسأَلة وعرفت السبب الذي قضى باخفاء اكتشافاتهِ العلمية

فاكتفى فريدريكسون بهذا الجواب واقتصر عن استقصاء الحقيقة تأَدبًا وبعد برهة قال للاستاذ اظن انك لا تبارح جزيرتنا قبل ان تأخذ مجموعة من معادنها

اجاب لا بد لي من ذلك ولكن قل لي هل غادر العلماء الذين سبقوني اليها بقعةً لم يستوفوا البحث فيها

فقال لم يأتِ جزيرتنا من العلماء حتى الآن الا عدد قليل جدًا وابحاثهم قاصرة على قسم منها وعندنا كثير من الجبال المتخالدة والبراكين المنطفئة لم تطأْه ارجل العلماء حتى الآن وههنا جبل بركاني يدعى اسنيفل ذاك الذي تراه ينطح السحاب بقرنيه لا يقصده السواح الا في النادر مع انهُ اولى من غيره بالبحث والاستقراء

فتجاهل الاستاذ وقال هل هو منطفئ

قال منذ نيف وخمسمائة سنة

فاطرق الاستاذ برهةً ثم قال نفسي تحدثني بان ابدأ باستقراء هذا الجبل السنفل ... الفسل ... كيف دعوته

قال اسنيفل

اما انا فكنت اغالب الضحك ويغالبني حتى دمعت عيناي واحمر وجهي واهتز جسمي وكاد يستخفني العجب لما رأَيت عمي يتظاهر بالجهل والسذاجة وهو يقعنسس على كرسيهِ مجهدًا نفسه في اخفاء ظواهر الفرح التي كانت بادية في حركاتهِ وسكناتهِ

ثم نظر الاستاذ الى الموسيو فريدريكسون وقال قد اعتمدتُ على اتباع

مستورتك وبودي السفر غداً بالنفس ان كان ذلك ممكنًا

قال فريدريكسون يا حبذا لو كانت تسمح لي اشغالي بان اصحبك في هذه الرحلة ولكن . . . .

فقطع الاستاذ كلامه قائلاً لا لا فاني لا اريد ان اتعب احدًا على اني لن انسى لطفك ابدًا

قال فريدريكسون لا شك انك سترى في هذا الجبل ما تقر بهِ عينك ولكن على اي طريق تذهب اليهِ

قال الاستاذ اظن ان السفر بحرًا اقرب الطرق واسهلها

قال نعم لو كان ذلك في الامكان ولكنك لن تجد في كل المدينة قاربًا واحدًا خلا السفن الميرية المخصصة لخدمة المينا

قال كيف ذلك أيخلو ثغر تجاري من قارب

قال فريدريكسون تلك هي الحقيقة فليس لك اذن الا السفر برًّا

قال ان لم يكن في اليد حيلة فعلينا ان نبحث عن دليل يصحبنا

قال اطمئن بالاً من هذا القبيل فانا آتيك غدًا بدليل امين نبيه يعوَّل عليه في كل امر

فشكر لهُ الاستاذ غيرته شكرًا جزيلاً وكان قلبه طافحًا فرحًا لانهُ وقف في ذلك اليوم على عدة امور يهمهُ الوقوف عليها منها قصة سكنوسيم وسبب كتبه الرقعة السرية وعدم امكان الموسيو فريدريكسون مرافقتهُ في سفره وحصولهُ على دليل موافق في وقت قريب ثم انصرف كل منا الى مضجعهِ

الفصل العاشر

لما كان اليوم الثاني جاء الدليل الذي وعدنا بهِ فريدريكسون وهو رجل طويل القامة عريض الصدر والكتفين تلوح على وجههِ علائم الهدو والسكينة



وهو قوي البنية جداً (صفحة ٥٩)

وهو قوي البنية جداً بعينين زرقاوين صغيرتين فيهما نور الذكاء والنباهة وشعر طويل ضارب الى الحمرة مرسل على اكتافه وصنعته العادية جمع ريش الايدر الذي هو من اعظم اسباب ثروة الجزيرة واقوى وسائط رياشها والايدر طير شبيه بالاوز يالف الاقطار الشمالية يطلبون ريشه لنعومته وهم يجمعونه بالكيفية الآتية

تبتني انثى الايدر وكرها في اوائل الصيف في الصخور القائمة على شطوط الخلجان الضيقة ثم تكسوه بريش تنزعه من بطنها فيجمع الصياد ذلك الريش اختلاساً فتعود الانثى الى نزع غيره والصياد الى سرقته حتى اذا صار بطنها

املط جاء الذكر ونزع من ريش بطنه ما يكسو بهِ الوكر فيعرض عنهُ الصياد لانهُ خشن لا قيمة لهُ فتبيض الانثى بيضها فيهِ وتربي فراخها فاذا جاءَت السنة التالية عادت الى العمل وعاد الصيادون الى الاختلاس

وكان اسم دليلنا هنس ابيالك وقد رأَيت منهُ حين محاورته مع عمي رجلاً قليل الكلام بعيدًا عن الحدة ضنينًا بالحركة جامعًا بين السكون والسكوت وهذه الطباع بعيدة عن طباع عمي بعد الضب عن الحوت الا انهما رغمًا عن مباينة طباعهما توافقا بسهولة فتعاهدا على ان الدليل يقدم لنا اربعة افراس لنقلنا ونقل لوازمنا الى قرية استابي التي بسفح الجبل ويبقى هو برفقتنا ما دام الاستاذ يرى لوجوده معنا لزومًا وذلك بمقابل ثلاثة ريالات في الاسبوع يدفعها لهُ الاستاذ آجلاً في مساء يوم السبت ثم اوصاه عمي بالتأهب للرحيل بعد يومين وقبل انصرافه عرض عليه شيئًا من النقود فأبى قائلاً ان ذلك مخالف للشروط

ولما خلا بنا المكان قال الاستاذ ان هذا الرجل قد جمع بين النباهة وقوة البنية فسيكون لنا منهُ فائدة كبرى في رحلتنا

قلت أتزعم ان تصحبه الى حيث تؤمل الوصول

قال نعم الى قلب الارض

ثم اخذنا نتفقد الآلات والادوات التي اشتراها الاستاذ قبل قيامه من همبرج فوجدناها سليمة صحيحة خالية من الشوائب والعيوب فصرفنا قسمًا كبيرًا من النهار نشتغل في ترتيبها وربط كل نوع منها على حدة وهي كثيرة العدد مختلفة الانواع اقتصر على ذكر الاهم منها

اولاً ترمومتر (مقياس الحرارة) سنتيكراد من عمل ايجل ينقسم الى ١٥٠ درجة وهذا العدد فيما ارى اما زائد عن اللزوم وذلك اذا كان المقصود منهُ معرفة درجة حرارة الهواء لاننا قبل الوصول الى ذاك الحد من الحرارة ننضج كما ينضج الطعام واما اقل من اللازم وذلك اذا اردنا معرفة درجة حرارة الينابيع

الحارة او غير ذلك من المواد الذائبة

ثانيًا مانومتر (مقياس الضغط) قائم على الهواء المضغوط وموقع بكيفية يتيسر بها تعيين درجات ضغط الهواء متى فاقت على درجة الضغط على سطح الاوقيانوس وكانت هذه الآلة ضرورية لنا لانهُ من المعلوم ان الهواء تزداد كثافته كلما تعمقنا في قلب الارض فالبارومتر العادي لم يكن وافيًا بالغرض

ثالثًا كرونومتر (ساعة تعرف بمقياس الوقت) موقع بغاية الضبط على خط الطول المار بهمبرج

رابعًا ابرة مغنطيسية

خامسًا نظارة ليلية

سادسًا مصباحان كهربائيان من مصابيح رومكورف وهي ساطعة النور سهلة النقل مأمونة الخطر

سابعًا بندقيتان من معمل بورليمور وغدارنان من ذوات الست طلقات وكمية وافرة من البارود والقطن البارودي الذي لا يتلف بالرطوبة وقوة ذلك القطن الدافعة عند الالتهاب اشد كثيرًا من قوة البارود المعروف

ثامنًا سلم من حرير طوله ثلاثمائة قدم وعدة حبال طويلة ذات عقد منظمة على ابعاد متساوية

هذا فضلاً عن الفؤوس والسكاكين والمعاول والازاميل والمسافن والاسافين والمطارق والمسامير على اختلاف انواعها والآلات الجراحية بين مقصات ومشاريط ومجسات وغير ذلك والادوية المختلفة من الكحول عطري ومحلول خلات الرصاص وإيثير وخل ونشادر وبركلورور الحديد وما اشبه وكان معنا من اللحم القديد والبقسماط مؤونة ستة اشهر الا ان قربنا كانت خالية من الماء وكان يقول الاستاذ انه سيملأها من قلب الارض ولم يكترث بما قلته عن حرارة المياه الداخلية التي تكون كافية لسلق امعائنا وعن امكان عدم وجود

ماء على الاطلاق

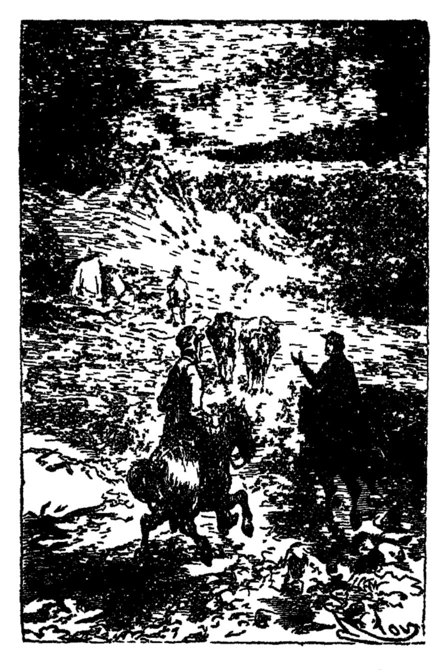
وفي مساء ذلك اليوم أدب لنا الكونت ترامب مأدبة حضرها كثيرون من وجهاء المدينة واعيانها وكان كلامهم باللغة الدانمركية فلم افهم شيئًا من الحديث سوى ان الاستاذ تكلم طول الوقت

وفي اليوم الثاني اهدانا الموسيو فريدريكسون خارطة لجزيرة ايسلاندا مصغرة الى ٤٨٠٠٠٠/١ وهي اوفى واحسن من خارطة هندرسون فسرّ بها الاستاذ كثيرًا واثنى على الموسيو فريدريكسون ثناءً جميلاً

ولما جاء يوم السفر ودعنا الموسيو فريدريكسون وداع الصديق الحميم وانطلقنا على اثر هنس وكان خبيرًا بمسالك الجزيرة عالمًا بمفاوزها ومجاهلها فسار بنا على اقرب الطرق واسهلها وكانت مطايانا قوية على التعب متدربة على المسير في الاراضي المحجرة الا انها قصيرة جدًا فكان الاستاذ يخط الارض بقدميه وهو منتصب فوق جواده كانهُ مارد من مردة الجان

فبعد ان سرنا ساعتين على شاطىء البحر في اراضٍ مجدبة صلعاء وصلنا الى قرية تعرف باسم جوفون فاقمنا فيها ريثما تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير على طريق صعبة تحفها الصخور من جانب والبحر من الجانب الاخر

فوصلنا في مبتدأ الساعة الرابعة بعد الظهر الى قرية سوربيور التي على شاطىء خور الولفيود وهو مرفأ طبيعي محاط بصخور هائلة يبلغ علو بعضها ثلاثة الاف قدم ولاصطدام الامواج عليها هدير مستمر ودوي مستديم وعرض الخور من الجهة التي كنا فيها الى الجهة الاخرى يبلغ نصف ميل وكان لا بد لنا من اجتيازه الا انهُ لم يكن هناك الا قارب شراعي لا قوة له على مقاومة المد والجزر فلا يمكنه المسير الا اذا بلغ المد حده اذ يحصل فترة لا يكون فيها للمد والجزر فعل محسوس ولكن الاستاذ لم يشأ ان ينتظر الوقت المناسب فتقدم بفرسه في المياه زاعمًا اجتياز الخليج على ظهره فأبى الفرس الانقياد فحثه الاستاذ



وكان الاستاذ يحط الارض بقدميه (صفحة ٦٣)

بالمهاز فجمح به حتى كاد يلقيه الى الارض فاخذته الحدة والهب الفرس بالسوط ضربًا فازداد جموحًا ثم انسل من تحته وتركه واقفًا فوق صخرين في وسط المياه كأنه صنم رودس فاخذ الاستاذ يشتم ويلعن وقد غشى وجهه الخجل فلم يمكني ان املك نفسي عن الضحك لما رأيته على تلك الحالة ثم انتقلنا بخيلنا وادواتنا الى القارب وعند الساعة السادسة بعد الظهر بلغ المد الغاية المطلوبة فسار بنا القارب سيرًا بطيئًا جدًا فلم نبلغ الشاطئ الاخر الا بعد مضي ساعة ونصف وبعد ذلك بنصف ساعة وصلنا الى قرية تعرف باسم جردار

وكان وصولنا في الساعة الثامنة مساء على ان الشمس كانت لم تزل ظاهرة في الافق ولا عجب فان جزيرة ايسلاندا واقعة في منطقة الخط الخامس والستين من العرض فلا ليل فيها مدى شهري يونيو ولوليو غير اني شعرت بالبرد ولا سيما بالجوع فطرقنا باب اول منزل وصلنا اليه وهو لاحد الفلاحين فاستقبلنا الرجل بهشاشة عربية وادخلنا قاعة الضيوف وهي احسن قاعات المنزل الا ان سقفها قريب من الارض جدًا فكان الاستاذ اذا قام فيها لا يمشي الا مطأطئًا رأسه ولتلك القاعة نوافذ قامت فيها جلود الغنم مقام الزجاج فكان النور ينبعث منها الى الداخل ضعيفًا وللبيت باجمعه رائحة السمك القديد وحامض اللبن فبعد ان وضعنا حقائبنا في زاوية دعانا صاحب المنزل الى المطبخ لنصطلي فتبعناه الى حجرة تحجبت من الدخان وجلسنا حول نار وقودها السرجين والفحم الحجري وعظام الاسماك المجففة وحينئذٍ اتى الينا صاحب المنزل وقبل كلا منا بوجهه مستأنفًا السلام كانه لم يرنا من قبل ثم جاءت امرأته وفعلت كفعله تلك عادة عندهم من تلقي الضيفان ما عرفتها قبل

ومن لم يسر بين البلاد واهلها يفته كثير من شهود الغرائب

وفي هذا المقام اقول ان المرأة كانت امًا لتسعة عشر ولدًا جمعتنا واياهم النار نار المطبخ وكلهم دون سن البلوغ فهم اشبه بلفيف من الملائكة بشرط ان يكون مضى عليهم مدة لم يغتسلوا في مياه الكوثر فبششنا بوجه هولاء الاطفال فاستأنسوا وبعد برهة صعد ثلاثة او اربعة منهم على اكتافنا ومثلهم على ركبنا واقام الباقون بين ارجلنا وكان القادرون منهم على الكلام يترحبون بنا كل منهم بنغمة غير نغمة الآخر واما الاطفال فكانوا يصيحون صياح الفرح فعلت ضجتهم حتى لم يعد لغيرهم سبيل الى الكلام وما زالوا على ذلك حتى جاء صاحب المنزل ودعانا الى تناول الطعام فسكنت الضوضاء دفعة واحدة وفي ذلك الوقت دخل هنس وكان قد اطلق الخيل في تلك السهول المجدبة على امل ان تجد شيئًا من العشب



والهب الفرس السوط ضربًا فازداد جموحًا (صفحة ٦٢)

تسد به الرمق ولما دخل حيي صاحب المنزل وامرأته وقبل وجهيهما ثم انعكف يقبل اولادهما التسعة عشر ولما فرغ من عمله هذا الذي استغرق مدة من الزمن جلسنا على المائدة وكان عددنا اربعة وعشرين شخصًا اما عدد الكراسي فكان اقل من ذلك بكثير لان اكثر الاولاد جلس على ركبنا فاصاب الواحد منا اثنين على الاقل فاكلنا المرق اولاً ثم جيء بجفنة رذوم من السمن القديم والسمك القديد والايسلانديون يفضلون السمن القديم على الجديد لحرافة طعمه وبعد ذلك جيء بطاجن يشتمل على نيف وثلاثين بيضة من بيض الدجاج قليت

بالسمن يتبعه قصعة من اللبن الرائب

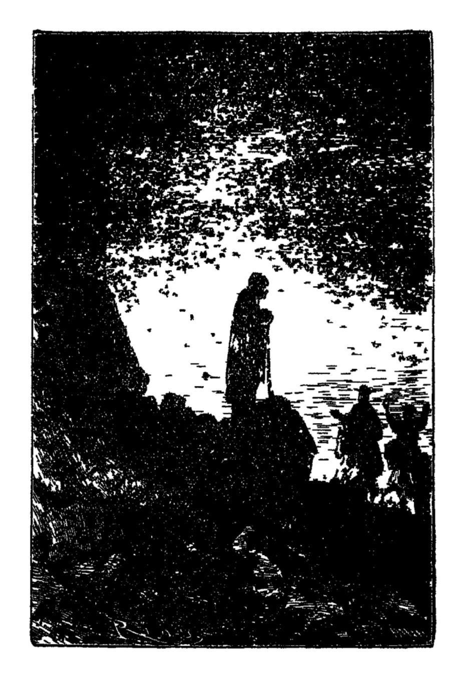
وبعد الاكل ذهب الاولاد الى مخدعهم وبقينا نحن وصاحبا المنزل حول الموقدة ساعة من الزمان نصوب من شدة البرد رأي المجوس في عبادة النيران ثم قمنا الى القاعه لاننا كنا في حاجة الى الراحة فجاءت صاحبة المنزل لتنزع احذيتنا وسراويلنا بحسب العادة المألوفة عندهم فامتنعنا بلطف ساكرين لها مزيد التفاتها فانصرفت وكان قد اعد صاحب المنزل لكل منا فراشاً من قش وغطاء من صوف فنمنا جميعا نومة هنيئة

وفي صباح اليوم التاني ودعنا صاحب المنزل وعرض عليه عمي شيئاً من النقود فأبى اخذه رغما عن الحاحه فدفع المبلغ مسالمةً الى احد اولاده وانصرفنا شاكرين لذلك الرجل كرمه

ولم نبتعد عن حدود قرية غارة حتى دخلنا في برهة على كثرة مياهها خالية من النبات ومسالكها متشعبة فكنا في كل برهة نلاقي جدولاً نضطر الى الخوض فيه محترسين على المؤونة والذخائر من البلل

اما المناظر التي شاهدناها في ذلك اليوم فمحزنة تنقبض لها النفس فان الارض التي مررنا فيها جدباء صلعاء خالية من العشب اليابس فضلاً عن الاخضر وكنا نصادف حيناً بعد حين اناساً رماهم حادث البرد بداء البرص فهجروا العالم واهلوا تلك البرية المقفرة وكان هولاء المساكين اذا ابصرونا عن بعد مقبلين عليهم يتوغلون بين الصخور القائمة على جوانب الطريق لكي يحتجبوا عن نظرنا واما اذا اشرفنا على احد منهم قبل ان يبصرنا فكنت ارى رجلاً منتفخ الرأس لامع البشرة امعط الوجه وكنت اشاهد من خلال اثوابه الرثة قروحاً دامية صديدية منتشرة في كل بدنه يؤثر مظرها في النفس واي تأثير

وعند المساء نزلنا في حظيرة مهجورة بعد ان تجاوزنا نهرين هناك يعرفان بالألفا والهيتا ولعل في هاته التسمية حكمة تاريخية غير معلومة اليوم بين القوم



فكنت ارى رحالاً منتح الرأس لامع البشرة امعط الوجه (صفحة ٦٦)

فقضينا في تلك الحظيرة ليلة شديدة القر

وفي اليوم الثاني لم نصادف في طريقنا غير ما صادفناه في ذلك اليوم وكان مبيتنا في قرية كروزولبت

وفي يوم ١٩ يونيو قمنا من تلك القرية صباحاً وما ابتعدنا عنها ميلاً حتى دخلنا ارضاً كستها البراكين المجاورة ايام هيجانها مواد بركانية وقد تجمدت تلك السوائل على شكلها الاصلي فهي اشبه شيء بالامواج وبعضها ملتف على نفسه كالحبال وفي ذلك اليوم صادفنا على طريقنا عدة ينابيع حارة ولما كان الاستاذ لا يطلب

الاسرعة الوصول الى فوهة استيفل لم يلتفت الى تلك المواد بل بقي سائراً الى الامام لا يلوي عناناً ولم نزل نجد السير حتى وصلنا الى قرية بُدر القائمة على شاطيء البحر فقضينا ليلنا فيها وكان نزولنا في بيت من اولاد عم دليلنا هنس فاكرمنا صاحب المنزل غاية الاكرام وكان بودي الاقامة عنده يوماً او يومين لاني كنت في اشد الاحتياج الى الراحة من نصب المسير وتعب الركوب واجتياز الاغوار والانجاد فاشرت على الاستاذ بذلك ولكنهُ لم يلتفت الى كلامي

وفي صباح اليوم الثاني قمنا من بدر قاصدين قرية استابي وكان بيننا وبينها مسافة اربع ساعات فدخلناها عند منتصف النهار ووقفت بنا الخيل من تلقاء نفسها امام دار القس

الفصل الحادي عشر

استابي قرية تشتمل على نحو من ثلاثين بيتاً وهي قائمة في سفح جبل اسنيفل على اكمة تألفت من المواد البركانية وبجانبها فرضة صغيرة يحيط بها سور طبيعي من البازلت غريب الشكل عجيب التركيب

البازلت صخر اسمر اللون ناري الاصل وهو يتكوّن احياناً على اشكال منظمة تنظيماً هندسياً تقضي بالعجب فقد قرأت عن عجائب بابل وسمعت وصف غرائب ابنية اليونان ولكنها ليست بشيء في جانب ما شاهدته ذلك اليوم في استابي فان الطبيعة قد اقامت على شاطيء البحر سلسلة من العمد البازلتية علوها ثلاثون قدماً وعددها لا يكاد يحصى وهي في غاية الضبط والتناسب وضعاً وشكلاً ولها سقف ممتد من اولها الى اخرها في غاية الاحكام والاتقان وكلها قطعة واحدة

اما بيوت القرية فبناؤها بسيط وجدرانها قصيرة كبيوت غيرها من قرى الفلاحين وبيت القس لا يختلف عن غيره بشيء فلما وقفت بنا الخيل في عرصة الدار رأيت رجلاً ينعل فرساً وقد شمر عن ساعديه حتى بان سواد ابطيه



وهي في غاية الضبط والتناسب وضعاً وشكلاً (صحيفة ٦٨)

وتمنطق بمنطقة من جلد تدلت على حجره فحياه الدليل بالسلام وكان ذلك الرجل القس بنفسه فبعد ان ناجى الدليل برهة ادخل اصابعه الوسطى والسبابة من كلتي يديه في فيه وصفر صفرة ثم برزت في الحال امرأة جاحظة العينين قبيحة المنظر مهزولة الجسم وهي اطول ما رأيت من النساء فخفت من ان تقبلنا قبلة الترحاب ولكنها لم تفعل والحمد لله بل قطبت حاجبيها لما بصرت بنا وعبست

بوجه تستعيذ الجن منهُ   وتنفر من بشاعته السعالى

ثم ادخلتنا المنزل كارهةً وبقي القس يباشر عمله

اما قاعة الضيوف وأردأ قاعات المنزل فهي قذرة منتنة ليس فيها شيء من الاثاث سوى حصير تقادم عهده ومقعدة من خشب اظنها من بقايا سفينة نوح فعلمت ان بيت القس ليس ببيت ضيافة وربما فرغ الكاهن من انعال الفرس شرع في تصليح قفل لبعض الاهالي ثم انقلب نجارًا ثم حدادا ثم صيادًا ولم أره ساعة واحدة كاهنًا

نعم ان الشغل العالي غير محرم على القسس لاسيما اذا كانوا في حاجة الى السعي في طلب الرزق ولكن معاطاة بعض الحرف تستلزم غالبًا الاتصاف بصفة اربابها فالبيطرة مثلاً تستلزم زجر الخيل في كل آنٍ زجرًا عنيفًا فاذا اعتاد المرء ذلك صارت فيه الشراسة ملكةً وقد ذهب بعضهم الى ان الزجر لا يجدي نفعًا الا اذا كان مصحوبًا بلعنة وقد ثبت لي في تلك الليلة اذ اجتمعنا بالقس ان الامر انتهى به الى تلك الحال

وكان في عزم الاستاذ ان يقيم بضعة ايام في استابي لاجل الراحة من عناء السفر ولكنه لما علم بما هو عليه ذلك القس من قبح الطباع وسوء الاخلاق صمم على ان يعاجله بالفراق فاوعز الى هنس بالتأهب للسفر في صباح يوم ٢٢ يونيو اي بعد وصولنا بيومين فاستأجر الدليل ثلاثة رجال من اهالي القرية لتنقل على ظهرها الامتعة الى ضهر الجبل لان الطريق غير صالحة لمسير الخيل عليها

وفي نفس ذلك اليوم اي يوم وصولنا الى استابي انذر الاستاذ هنسًا بانهُ عازم على استقصاء البركان الى اقصى حدوده الداخلية فحنى الدليل راسه بمعنى انه مستعد لذلك اما انا فادركني الخوف والوجل وعاودتني الحال التي كنت بها في مبتداء الامر بعد ما كان شغلني عنها السفر منذ شخوصنا من همبرج فاخذت اتفكر في الاخطار التي نكون عرضةً لها اذا دخلنا في جوف الارض فخطر ببالي امر لم يجل في خلدي من قبل زادني قلقًا واضطرابًا ذلك اني تذكرت انه مر على بركان اسنيفل في العصر الخالية حين من الدهر هادئًا مستكنًا حتى جعل في عداد

البراكين المنطفئة ثم عاد في سنة ١٢١٩ الى القذف والهيجان فاي شيء يثبت لنا الآن ان ناره انطفأت حقيقةً واي بلاء نلاقيه اومكروه نقع فيه اذا كانت ناره كامنة تحت الرماد واججها عامل من العوامل الطبيعية بينما نحن متوغلون في قلب الارض سائرون في مجاريها

وكنت اعلم ان الاستاذ لا يحول عن عزمه ولو حالت دون غايته طوائف الانس والجن لاسيما بعد ان صار عند قاعدة جبل اسنيفل على اني اتيت اليه في صباح اليوم الثاني والقيت عليه المسألة بصفة فرض بسيط بعيد الاحتمال

فاجابني قائلاً ان هذه المسألة جديرة بالالتفات وقد ترويت فيها البارحة طويلاً اذ لا ينبغي للعاقل ان يتورط في امر قبل التبصر في عقباه والتدبر في منتهاه

وكان الاستاذ يتكلم بجد فقلت لعلهُ ترك العناد واتبع طريق الرشاد

ثم استطرد الكلام قائلاً نعم انهُ مضى على هذا البركان ستة اجيال ولسانهُ منعجم ولكن من الممكن ان ينطلق يومًا ما غير ان لذلك دلائل معروفة ومظاهر معينة تنذر بقرب الهيجان فقد استقصيت الاخبار من بعض الاهالي وبحثت في الارض وراقبت المظاهر الجيولوجية فلم ارَ شيئًا من تلك الدلائل فعلمت انهُ لا خوف علينا مما نخشى

فلما سمعت منهُ ذلك الكلام وقفت حائرًا فقال ان كان عندك ريب في كلامي فاتبعني ثم خرجنا من القرية وسرنا صعدًا حتى بلغنا رابيةً اشرفنا منها على سهول شاسعة ترصعت بالصخور النارية من بازلت وصوان وتراشيت وغير ذلك من المواد البركانية كانها برد امطرته عليها السماء او عصابة من حبب بستها الصهباء وقد شج جبينها بالماء ورأيت عن يميني وشمالي عدة ينابيع حارة يتصاعد منها بخار ابيض كثيف فاشار اليها الاستاذ وقال أرايت هذا الدخان يا اكسيل



يتصاعد منها بخار اسود كثيف (صحيفة ٧١)

قلت نعم وكفى به دليلا على ان خمودها في محله

قال لا بل هو الدليل القاطع على ان سموها في غير محله

فاخذني العجب من كلامه وقلت كيف ستنتج هذه النتيجة مع انهُ لا شيء ينبيء عن وجود النيران اكثر من تصاعد الدخان

حقق الامر الدليل يذكر ... دخان من غير نارٍ محال

فقال هذه اقوال تركن اليها الرعاديد لا تليق بمثلك من الصناديد ولقد حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء أما تعلم انهُ من المحقق للعيان إن الثابت

بالمشاهدة في كل زمان ان مثل هذا الدخان اذا اقترب وقت هيجان البركان يزداد كثافةً من دقيقة الى اخرى حتى اذا ابتداء القذف يقطع كليًا وذلك لان البخار ينبعث اذ ذاك من مجرى البركان بدلاً من ان يتخلل قشرة الكرة الارضية وفضلاً عن ذلك اذا ازفت ساعة الهيجان انقطع المطر وسكنت الريح وثقل الهواء والحال انا لا نرى شيئًا من هذه الدلائل فاذن يمكننا ان نحكم بانهُ لا خوف من هيجان قريب

فعجزت عن الجواب ورجعت الى القرية حزينًا كئيبًا آيسًا من السلامة وكنت قد عللت نفسي بامل فارغ فقضيت تلك الليلة في قلق واضطراب تروعني الاحلام وتفزعني الخيالات وكنت اذا غفوت رأيت نفسي مقذفًا من فوهة البركان الى اقصى كواكب النظام الشمسي تارةً بصورة صخر ناري وطوراً بصورة سائل ملتهب واذا استيقظت لا ازال ارى لسان اللهيب مندلعًا نصب عيني

ولما جاء اليوم الثاني خرجنا مشاة طالبين رأس الجبل وكان القس وامرأته ينتظراننا في فناء المنزل فلما اقبلنا نودعهما قدما لنا قائمة المصاريف التي تكبداها بسببنا وهي تشتمل على قيمة الهواء الفاسد الذي تنشقناه في قاعة الضيوف فضلاً عن قيمة ما لحق بالحصير والمقعدة من التلف بسبب جلوسنا عليهما فنقدهما عمي المبلغ بدون ان يبدي اعتراضًا وانطلقنا على اترهس والاشخاص الثلاثة الحاملين لادواتنا وقد تأبط كل منا قربة ممتلئة ماء وتقلد عصا ملبسة حديداً وما ابتعدنا عن القرية قيد فرسخ حتى دخلنا منجمًا من الفحم الحجري تخلف عن الغياض القديمة وهو يشغل بقعة طويلة عريضة وسمكه في بعض المحلات يبلغ السبعين قدمًا وفيهِ من الفحم ما يقوم باحتياج الجزيرة جيلاً كاملا على انهُ لم يزل بكرا ومن ثم انتهينا الى طريق حجرة حرجة فسرنا عليها الواحد وراء الآخر بحيث كان يتعذر علينا المحادثة فاخذت افتكر في تاريخ الجزيرة الجيولوجي وفعل البراكين فيها وتذكرت ما ذهب اليه اكثر مشاهير العلماء من أن جزيرة ايسلاندا حديثة

العهد اي انها برزت من تحت المياه من مدة قريبة وارتأى بعضهم انها لم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى الآن بحركة غير محسوسة فان صدق قولهم فهي ناشئة عن فعل النيران الداخلية وان صح ذلك فقد ثبت فساد مذهب همفري ديفي وكذبت رقعة سكنوسيم واتضح خطاء الاستاذ

اما اكتشافها فكان في سنة ٨٦٠ وهي واقعة بين ٢٤َ ٦٣ْ و ٣٣َ ٦٦ْ من العرض الشمالي و ٣١َ ١٣ْ و ١٧َ ٢٤ من الطول الغربي وقد وافق اسمها مسماها وطابق لفظها معناها لان ايسلاندا معناها ارض الجليد ومساحتها ٣٠٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٠٠٠٠ نفس وهي ارض بركانية يشغل القسم الاكبر من سطحها سلسلة رسوبات كلسية بالاغونيتية مرتفعة يتخللها تراشيت وفي جوانبها كثير من البازلت والبازلت اقدم تلك التراكيب ويليه البالاغونيت ثم السوائل البركانية المتجمدة وينطوي تحتها الطبقات التي تكونت بفعل البراكين الحديثة وبعض جبالها مكلل ابداً بالثلج كجبل اسنيفل وفي داخلها برية كبيرة مغطاة بمواد بركانية والفعل البركاني ظاهر في بقعة عريضة منها ممتدة من رأس ريكجانس في الجنوب الغربي الى كرفلا في الشمال وفيها من المعادن النحاس والحديد والرصاص والفضة والكبريت والفلدسبار والكورتز والخلكيدوني والبنفش والزبرجد والدهنج والحجر السماقي والاوبال وغير ذلك

فبعد ان راجعت جميع ذلك في فكري ودققت النظر في تربة الارض التي كنا نسير عليها اقتنعت كل الاقتناع بصحة رأي اولئك العلماء وايقنت ان قلب الجزيرة لم يزل ملتهباً وان كل المواد التي فيه سائلة فاطمأن بالي نوعاً من الاطمئنان وعلمت ان الاستاذ سيكره على الرجوع بخفي حنين اذا توغل بضعة اميال في جوف الارض اذ تبلغ درجة الحرارة مبلغاً لا تسمح له بالتقدم هذا اذا كان من فوهة البركان طريق الى قلب الارض

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات في صعود مستمر وصلنا الى قاعدة الجبل



فاخذنا نتسلق الصخور الباذخة ونتسور الجنادل الشامخة (صفحة ٧٥)

الحقيقية فاقمنا هناك ريثما تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير بهمة ونشاط وكانت طريقنا هذه اوعر من طريقنا الاولى فاخذنا نتسلق الصخور الباذخة ونتسور الجنادل الشامخة مستعينين بالعصي التي بايدينا وكان الايسلانديون الذين صحبونا يسيرون امامنا بسهولة غريبة مع انهم حاملون من الاثقال احمالا ومن الاحمال اثقالا وكذلك الاستاذ مع انهُ غير معتاد على المسير في الاراضي الوعرة وكان سائراً بالقرب مني لا يغفل عني طرفة عين ولولاه لسقطت مرة او مرتين في هوايا بعيدة القعر

ولم نزل نتسنم غوارب الصخور حاذرين من سقوطها بنا الى ان وصلنا بعد مسير ساعة الى منطقة الجليد المنتشر على القسم الاعلى من الجبل فسهل علينا المسير لان الجليد تجمد على الحجارة فصيرها كالدرج المشيد وعند الساعة السابعة وصلنا الى قاعدة المخروط القائم على رأس الجبل

وكان قد اعياني التعب واضناني النصب حتى لم يعد لي قدرة على نقل رجلي الا بمشقة عظيمة ولما رأى الاستاذ مني ذلك اشار الى هنس بالوقوف فابى الدليل الا المسير فسأله الاستاذ عن السبب فاشار بيده الى السهول الممتدة في اسفل الجبل وقال (اعصار) فرأيت عجاجة سوداء تألفت من الرمل الاسود ودقيق الحصى وقد انتصبت كالعمود طرفها الاسفل في الارض والآخر في السماء وهي تدور على نفسها بسرعة تدهش البصر مرتفعة نحو الجبل وامثال تلك العاصفة كثيرة في ايسلاندا اذا هبت الريح من الجبال المتجلدة فلما رآها قومنا الايسلاندبون اضطربوا خوفًا لانها كانت مقبلة علينا بسرعة غريبة فقصدنا الجهة المخالفة من رأس الجبل وقد رجعت اليَّ قواي فاخذنا نعدو عدوًا غير مبالين بما دوننا من الهوايا ولا مكترثين بما فوقنا من الصخور المتدلية علينا وهي على شرف السقوط وكان الاعصار مقتفيًا اثرنا حاجبًا عين الشمس فما ابتعدنا عن محل الخطر قيد غلوة حتى انطبق على الجبل بقوة الصاعقة فكان لانطباقه دوي كقصف الرعد المتواصل وثار الغبار في السماء حتى خيم على الارض فاقتلع الصخور الهائلة ورفعها في الجوّ ثم رمى بها الارض فتدحرجت الى سفح الجبل بقرقعة تصم الاذان

وفي تلك الساعة عرفت عظم الخطر الذي نجونا منهُ لاننا لولا نباهة هنس لانطبق الاعصار علينا ومزق اجسامنا كل ممزق وتركنا هباء منثورًا

وكان لم يزل بيننا وبين راس القمة علو ١٥٠٠ قدم الاان الطريق صعبة جدًا فكنا لا نرتفع قدمًا الا بعد ان نسير عدة خطوات يمينًا او شمالاً فلم نصل الى اعلى الجبل الا عند نصف الليل وكانت الشمس اذ ذاك في الافق ترسل



وثار الغبار في السماء حتى خيم على الارض (صفحة ٧٦)

اشعة ضعيفة لا حرارة فيها فوقفت هناك برهةً اتأملها ثم لحقت باصحابي الى الوكر الذي اختاروه للمبيت فتناولنا الطعام الذي حضره لنا الدليل وما فرغت من الاكل الا وانا اتمايل من النعاس فقمت الى فراشي اتهادى في مشيتي كالنشوان وانطرحت كالقتيل حتى الصباح

الفصل الثاني عشر

ما قضيت في العمر ليلةً حلا لعيني فيها مواصلة الكرى وراق بجفني معانقة

الغمض مثل الليلة الفائتة مع اني لم افترش غير صخر من الصوان ولم اتوسد سوى رزمة من الحبال ولكن التعب كان قد انهك قواي فوجدت للنوم لذةً لم اعرفها من قبل وما استيقظت من نومي الا وقد اقبل السحر بكواكبه يتهادى بين مواكبه من طل يتحالى وهو بارد ويتخفف وهو جامد ونسيم يؤلم بوخزه الجلود ويتخلل مسام الجسد فيبث فيه سم الجليد ولما فتحت عيني رأيت نفسي نشيطاً فانتصبت على قدمي وقمت اسرح الطرف في المناظر التي كانت منبسطة امامي وكنت اذ ذاك على قمة اسنيفل الجنوبية وهي تشرف على القسم الاكبر من الجزيرة فرأيت اوديتها كالآبار وبحيراتها كالدراهم وانهرها كالجداول وحداولها كالافاعي وجبالها المكللة بالثلج كالامواج المتلاطمة ورأيت الاوقيانوس بكل عظمته ممتداً في الجهة الغربية وآخره مختلط بالسماء اختلاط الخمر بالماء او العين بالضياء

فكأن السماء بحر محيطٌ   وكأن البحر المحيط سماءُ

وكانت اشعة الشمس ساطعة تنكسر على رؤوس الجبال المتجلدة فترى العين الوانًا باهرة تزري بقوس السحاب فاخذتني الدهشة من تلك المناظر العظيمة وبينما انا على ذلك دنا مني الاستاذ وقال مشيرًا بيده الى الغرب اي شيء هذا الذي تراه يا اكسيل

قلت سحابة بيضاء منتشرة على سطح البحر

قال اعد نظرًا ما هي سحابة وانما هي جزيرة غرينلانده وهي لا تبعد عنا اكثر من تسعين ميلاً وكثيرًا ما تأتي منها الى ايسلاندا الدباب فرادى وزرافات تسير بها قطع من الجليد سير السفن تزجيها الرياح

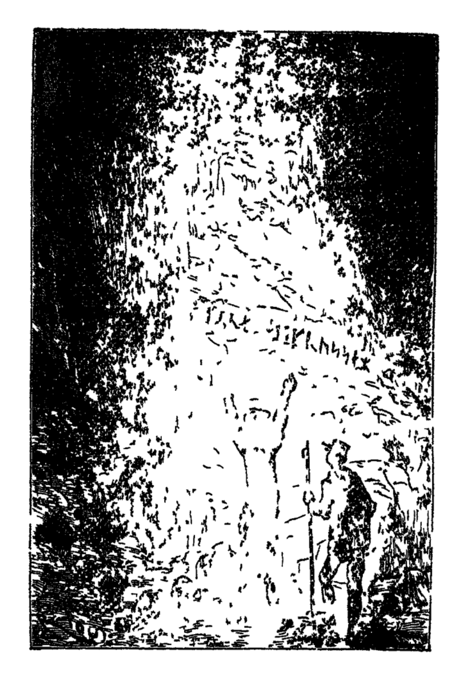
ثم نظر الاستاذ الى هنس وسألهُ عن اسم القمة التي نحن عليها فقال هي قمة اسكرتريس فتبسم الاستاذ تبسم العجب ثم قال لهنس هيا بنا الى الفوهة

اما فوهة اسنيفل فهي على شكل مخروط منقلب وهي اشبه بقمع او خرطوم فيل وقطرها من اعلاها يبلغ الميل تقريبًا وعمقها نحو الفي قدم وقطرها من اسفلها

خمسمائة ولما وقفت على حافتها افتكرت في الايام التي كانت غاصة فيها بالنار واللهيب فارتعدت فرائصي واضطربت جميع اعضائي على ان هنسًا سار امامنا بدون خوف ولا تردد فتبعته مع بقية القوم وكنا نسير على مهل محاذرين من العثار لان الطريق منحدرة انحدارًا مخيفًا وكان بعض الحجارة يتدحرج من تحت ارجلنا فيسمع لهُ صدى غريب يستمر زمنًا ومن الفوهة قسم متجلد فكنا لا نسير عليه الا بغاية الاحتراس وفي المفاوز الخطرة كنا نربط بعضنا بحبل طويل حتى اذا عثرت رجل احدنا يتمكن الباقون من انتشاله على ان تلك الطريقة كانت من جهة اخرى شديدة الخطر لانهُ من الممكن ان يترتب على سقوط الواحد سقوط الجميع

وعند منتصف النهار وصلنا الى اسفل القمع سالمين ولم يسقط منا الا رزمة حبال افلتت من يد احد الايسلانديين فسبقتنا الى حيث كنا قاصدين متبعة اقرب الطرق

وفي اسفل القمع ثلاث فوهات يبلغ قطر الواحدة مائة قدم تقريبًا ومنها كانت تندفق المواد البركانية في ايام الهيجان فتأمل الاستاذ مواقعها برهةً ثم ترنح طربًا واخذ يجمز من امام الواحدة الى امام الاخرى كالليث في وثباته وثباته وهو يهمهم ويجمجم وكان هنس ورفقاؤه الايسلانديون جالسين على صخر ينظرون اليه كمن داخله الريب في سلامة عقله وبعد بضع دقائق صرخ الاستاذ صرخة دوت لها الهوية فظننت انهُ سقط في احدى الفوهات فالتفت اليه مرعوبًا فرأيته واقفًا امام صخر من الصوان وعلائم الدهشة ظاهرة على وجهه فهرولت نحوه فاشار بيده الى كتابة رسمت على الصخر وقال انظر يا اكسيل وقل لي ان كنت لم تزل في ريب من صحة الامر فنظرت الى الكتابة واذا هي اسم آرن سكنوسيم فراجعني الخوف من ان تكون الرواية صادقة ثم رجعت حزينًا الى المحل الذي كنت فيه واعتمدت رأسي بيدي واخذت افتكر في امر تلك الرحلة وما لاقيت



وصرت الى الكتابة واذا هي اسم ارن سكنوسيم (صفحة ٧٩)

بسببها من الاتعاب وما عسى الاقيه فبقيت مدة طويلة تائهًا في قفار الافكار ضالاً في غياهب الخيالات ولما رجعت الى نفسي لم أرَ حولي الا هنسًا والاستاذ وكان الايسلانديون الثلاثة قد عادوا الى قريتهم

اما هنس فكان راقدًا بجانب صخر متوسدًا جندلاً من السوائل المتجمدة واما الاستاذ فكان يدور في ارض القمع كأنهُ نمر في قفص ولم يكن لي همة ولا قوة على اتباعه فاضطجعت حيثما كنت موثرًا الاقتداء بهنس ولم يطب لعينيَّ في تلك الليلة منام اذ كان متقطعًا غير هنيء وكان يخيل لي تارةً اني اسمع دويًا مريعًا

وطورًا ان الارض ترتجف من تحتي ارتجافًا مخيفًا

٦ ولما اصبح الصباح استيقظت من نومي فرأيت السماء مغبرة الوجه والغيوم منتشرة فوق الجبل كالسرادق الممدود والافق حاجب عين الشمس بغينه وكان الاستاذ مقطبًا وجهه وظواهر الكدر بادية عليه لانه كان يخشى من ان يستمر الطقس على تلك الحالة حتى دخول شهر لوليو فيضطر الى تأجيل رحلته الى سنة اخرى اذ ان معرفة الفوهة المؤدية الى قلب الارض موقوفة على وقوع ظل اسكرتريس عليها وذلك لا يتيسر ما لم تبرز الشمس من وراء الغيوم فكان حكم تلك القمة حكم المزولة لا فائدة منها الا اذا كانت الشمس ظاهرة في السماء فسررت لذلك الاتفاق الذي لم آكن انتظره واما الاستاذ فانقطع عن الاكل والشرب والكلام وبقي من الصبح حتى المساء محدقًا نظره بالسماء وكان وجهه ينقبض مرة وينبسط اخرى بحسب تكاثف الغيوم وانقشاعها فكأنه مرآة تتلألاء عليها الغيوم او آلة يعرف بها مقدار تراكمها على ان النهار انقضى ولم تظهر الشمس دقيقة واحدة

وفي اليوم التالي وهو السادس والعشرون من شهر يونيو امطرت السماء والجت من الصباح حتى المساء فابتنى هنس بيتًا من الصخور البركانية على نقطة مرتفعة لا يصيبها السيل واستمرت الغيوم حاجبة عين الشمس في اليوم الثاني ايضًا فبلغ الغيظ من الاستاذ مبلغًا عظيمًا لانه رأى مساعيه في خطر الحبوط بعد ان قاسى ما قاسى من التعب وبذل ما بذل من النقود حتى بلغ الفوهة المؤدية الى قلب الارض فكان اشبه براكب سفينة قاوم العواصف وصادم الرياح ونجا من اشد المخاطر ولما دخل المرفاء اغتالته المنية وابتلعته لجج البحار اما انا فمت تلك الليلة في سرور عظيم وكنت اتضرع الى الله ان يبقي الطقس على تلك الحال يومين اثنين فقط حتى اذا انقضى شهر يونيو والشمس محجوبة بالغيوم يفعل بعد ذلك ما يشاء فيحبس المطر عن ايسلاندا الدهر ان اراد ويحرقها بوهج الشمس اذا

شاء ولكن ابت المقادير الا معاندتي وما جاء اليوم الثلاثون من الشهر الا والسماء رائقة صافية فبرزت الغزالة في الافق ساطعة الانوار تمزق بسهام اشعتها اديم الضباب وتنادي عمي بلسان حالها

لبيكَ لبيكَ هذي طلعتي برزت وذا محياي منهُ الضوء يزدهرُ
فراقب الظل واصنع ما اردت ولا يضع هباءً عليك السير والسفرُ
وطب اذا انت احسنت الغراس في يطيب في الخافقين الحب والثمرُ

فيجيبها لسان حالي

اذا سترتِ بكم السحب وجهكِ عن عيوننا بعض ايام فما الضررُ
وانتِ شرقية والشأن عندكمُ ان الملاح ذوات الحسن تستترُ

ولما بلغت الشمس غاية ارتفاعها ارسلت حبالها الى قعر الفوهة فجاء كل صخر بظله وكان ظل اسكرتريس شاغلاً المحل الاعظم من ارضها فتهلل وجه الاستاذ فرحًا واخذته خفة الطرب فصار يجمز حول الفوهات ويرقص حتى خفت عليه من السقوط واما انا فكنت بعكس ذلك حزين النفس منقبض الصدر فوقفت مطرقًا وقد استولى على قلبي الخوف والوجل وعاودني اليأس بعد الامل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

وما زال ظل القمة يدور مع الشمس كيفما دارت الى ان انتصف النهار فوقع على طرف الفوهة الوسطى واذ ذاك صرخ الاستاذ قائلاً ها هي الطريق المؤدية الى قلب الارض ثم نظر الى هنس وقال هيا بنا واشار بيده الى الهاوية فاضطربت جميع اعضائي مرة واحدة عند سماعي تلك الكلمات واما هنس فكان هادئًا ساكن البال كأن السفر الى قلب الارض من الامور العادية عنده فانتصب على قدميه عند سماعه كلام الاستاذ وتقدم نحو الفوهة واخذ يستعد للنزول بدون ان يبدي اعتراضًا او يسأل سوالاً وكان لم يزل في وسعي الامتناع عن المسير

ولكني لم افعل بل لم افه ببنت شفة لاسيما اذ رأيت اقدام هنس مع انهُ اولى مني بالامتناع

قلت ان قطر الفوهة يبلغ مائة قدم وكنت لم انظر بعد الى جوفها فتقدمت اليها وانحنيت فوق صخر تدلى على حافتها فتبين لي ان جدرانها الداخلية تكاد تكون عمودية الا ان فيها صخوراً بارزة تساعد على النزول اذا كان الانسان ممسكًا بيده حبلاً مربوطًا باحد الصخور التي على طرف الفوهة غير اننا لو فعلنا ذلك لتعذر علينا حل عقدة الحبل اذا انتهينا الى اخره ولكن الاستاذ لم يكن ممن يخبلون بشعرة ويعثرون بالنوى فانهُ بعد ان تبصر في الامر برهةً وتروى فيه لحظة عمد الى حبل طوله اربعمائة قدم وغلظه كابهام اليد وجعل وسطه على صخر مرتفع الرأس مشرف على الهوية وارخى طرفيه احدهما عن يمين الصخر والآخر عن شماله بحيث صار في امكاننا اذا تدلينا الى عمق مائتي قدم قابضين على طرفي الحبل معًا ان نجره من احد طرفيه ثم نعيد العمل بهذه الطريقة الى ما لا نهاية

وبعد ان فرغنا من تركيب الحبل بالكيفية التي ذكرناها قسمنا الآلات والادوات التي يخشى عليها من الكسر الى ثلاثة اقسام جعلنا كل قسم منها رزمة واحدة ثم شددناها الى ظهورنا فخصَّ الاستاذ بالآلات اللطيفة مع شيء من الزاد واخذت انا شيئًا من الاسلحة وقسماً آخر من الزاد واما بقية الادوات والزاد فكانت لهنس ثم عمد الاستاذ الى الملابس والحبال والسلالم وجعلها رزمة واحدة والقاها من الفوهة بدون تردد ثم انحنى فوق الهوية يراقب سقوطها الى ان غابت عن بصره فوقف وعلائم الرضى تلوح على وجهه وبعد ذلك نظر الينا وقال هيا بنا نحن الان

الفصل الثالث عشر

مضى اوان المشاق والمتاعب وجاء وقت الاخطار والمصاعب مضى علينا منذ قيامنا من همبرج خمسة وثلاثون يومًا قضيتها بين لعل وعسى تتنازعني عوامل الخوف والوجل ودواعي الاطمئنان والامل الى ان وقفنا على حافة الفوهة المودية الى قلب الارض فعلمت ان قد قضي الامر ونفذ المقدور فسلمت نفسي للاستاذ ووكلت امري لله

اما هنس فاعتلى الصخر المشرف على الفوهة بجنان ثابت وجمع طرفي الحبل بين يديه وتدلى امامنا ثم تبعه الاستاذ ولما جاء دوري ارسلت الى خيال ابنة عمي قبلة الوداع وتدليت وراء الاستاذ وكان نزولنا بغاية التأني والاحتراس فما كنا نسمع الا صدى وقع الحجارة التي كانت تنفتت من الصخور من تحت ارجلنا وتتساقط الى عالم الظلمات وكان هنس يجس الصخور برجليه قبل ان تستقر قدمه عليها فيحذرنا مما كان منها غير متين وبعد نصف ساعة وقفنا على صخر بارز في حائط البئر وكنا قد اتينا على اخر الحبل فاخذ هنس احد طرفيه بيده وتكه تتكًا فافلت طرفه الاخر من الصخر فسقط علينا وهو يكنس كل ما صادفه في اثناء سقوطه من فتات الحجارة ودقاق الحصى ثم ثنيناه نصفين حول الصخر الذي كنا عليه كما فعلنا في المرة الاولى وتدلينا ثانيةً حتى اتينا على اخر الحبل وبعد ان سرنا بهذه الكيفية ثلاث ساعات كاملات وقفنا برهة لنرتاح ونقضي لاجسامنا حقًا لا تعيث بوجوبه مظنات الفلاح

روح الفتى رأس ماله فاذا ضاعت فلا ربح بعد ينتظرُ

وكان قعر الهوية لا يزال محجوبًا وراء الظلام ليس لمرامي الانظار لاصابته من مرام فقال لي الاستاذ كلما تعمقنا في الارض أزداد ثقةً بالنجاح فان وضع هذه الاراضي البركانية وتركيبها يؤيدان مذهب ديفي ويدحضان مذهب القائلين بالحرارة الداخلية فالتربة التي نحن عليها الان هي التربة الاصلية التي حصل



وكان نزولنا لغاية التأني والاحتراس (صفحة ٨٤)

فيها التهاب المعادن باتحادها بالهواء والماء

اما انا فكان لي في توقع الاخطار في نزولنا ما يكفي لاشتغالي عن مراقبة انواع الاراضي التي تجاوزناها فلم انظر اليها نظرةً واحدة بعين الجيولوجي بل لم ادرِ أمعدنية هي ام نباتية ام حيوانية ولذلك بقيت صامتاً فحسب الاستاذ سكوتي دليلاً على اقتناعي

وبعد نصف ساعة استأنفنا المسير وكنا اذا اعيانا التعب نقف بضع دقائق طلباً للراحة ثم نعود الى التدلي ولم نزل على ذلك حتى الساعة الحادية عشرة

مساء فسمعت هنساً يقول انتهى فامسكت عن النزول وقلت مهيم

فقال الاستاذ وصلنا الى قعر البئر العمودية

قلت أليس منها طريق ما

قال بلى فاني ارى دهليزًا من الجهة اليمنى وسنستقصيه غداً اما الآن فعلينا ان نهتم اولاً بالاكل ثم بالنوم

وكان الظلام غير حالك فتدليت حتى استقرت قدمي ثم فتح هنس جعبة الزاد فاكلنا حتى اكتفينا واخذ كل منا مضجعهُ متوسداً بوسادة اعدها لنفسه من فتات الصخور البركانية وكنا قد تدلينا في ذلك اليوم بواسطة الحبل اربع عشرة مرة فعلمت ان عمق البئر ٢٨٠٠ قدم تقريباً لان طول الحبل مثنياً مائتا قدم كما سبق غير بعيد

ولما جاءت الساعة الثامنة من الصباح استيقظت من نومي ونظرت الى اعلى الفوهة فرأيت دائرتها بيضية الشكل وذلك لما في الجدران من الاعوجاج وكان ضوء النهار يدخل منها فيقع على جدرانها اللامعة ثم ينعكس على سطوح الصخور الصوانية والسوائل البركانية المتجمدة فيرسل اشعته الينا كالشرر في حالك الدجى على ان ذلك النور كان كافياً لمعرفة الاشياء المجاورة لنا وحالما ابصرني الاستاذ واقفاً تقدم نحوي وقال بوجه باش ما قولك يا اكسيل هل قضيت عمرك في همبرج ليلةً هادئة مثل هذه فاين نحن من دوي العربات وصياح التجار وضجة الملاحين

قلت نعم نحن في راحة من كل ذلك في قعر هذه البئر ولكن السكون ذاته الذي يحيط بنا هو مخيف في حد نفسه ولهُ تأثير في القلوب

قال ويحك يا اكسيل الم يأن لك ان تترك هذه الاقاويل فان من لازمه حب الحياة قلما يبرح من ضائر الخمول او يحظى ببلوغ المأمول

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فان جنحت اليهِ فاتخذ نفقاً . في الارض اوسلماً في الجوّ فاعتزل

فتبسمت قائلاً وإي نفق اعمق مما نحن فيه حتى اتخذه وإي فسيح اوسع من ظاهر الارض حتى انتبذه

قال دع عنك هذه التصورات يا اكسيل فان كنت تحدث الان بمثل هذا الكلام حال كوننا لم نتبطن من الارض شبراً فما بالك اذا توغلنا في احشائها

قلت ماذا تعني بقولك لم نتبطن من الارض شبراً

قال اعني بذلك اننا الآن على مساواة سطح الجزيرة فان هذه الانبوبة العمودية التي تنتهي الى بركان اسنيفل يساوي طرفها الاسفل سطح الاوقيانوس او يكاد

قلت هل انت على يقين من ذلك

قال نعم وها هو البارومتر واقف فيه الزئبق على الدرجة التاسعة والعشرين وذلك هو معدل ثقل الهواء على سطح البحر وكلما تعمقنا في جوف الارض يزداد ثقله بازدياد الضغط عليه وبما قليل لا يعود البارومتر كافياً لتعيين درجته فنستعيض عنه بالمانومتر

قلت ولكن اذا استمر ثقل الهواء على الازدياد باستمرارنا على التوغل في جوف الارض أفلا يكون استنشاقه مضراً بنا

قال لا لان نزولنا بطيء فتعتاد رئاتنا على استنشاقه بالتدريج ولأن نشكو كثرة الهواء خير لنا من ان نشكو قلته فحالتنا افضل من حالة راكبي الرياح الذين يقل عنهم الهواء كلما ارتفعوا في الجو بعكس ما نلاقيه نحن

ثم اخذنا نبحث على رزمة الحبال التي القيناها من اعلى الفوهة قبل نزولنا فرأيناها عالقة بصخر على علو مائة قدم تقريباً فوق رؤوسنا ففي الحال نزع هنس حذاءه واخذ يتسور جدار البئر بخفة ومهارة تعجز عنها القطاط وما مضت لحظة

حتى وصل اليها والقاها الى الارض وبعد رجوعه جلسنا نتناول الطعام فاوصانا الاستاذ بان ناكل كفوئ الواجب للقيام بالمشاق التي تنتظرنا ولما فرغنا من الاكل اخذ من جيبه دفترًا سماه بدفتر المحوظات وحرر عليه النتائج الاتية بعد ان تحقق من صحتها بواسطة الاته المتنوعة

يوم الاثنين اول لوليو

كرونومتر	ق ١٧	س ٨ صباحًا
بارومتر	شعره ٧	قيراط ٢٩
ترمومتر	درجة ٦	
وجهة	شرق الجنوب الشرقي	

وكان القصد بالوجهة وجهة الدهليز المظلم وقد عينتها الابرة المغنطيسية وبعد ذلك نظر اليّ الاستاذ طربًا وقال الان ابتدأت رحلتنا الحقيقية في جوف الارض

ثم اخذ مصباح رومكورف بيدٍ وكان معلقًا برقبته وفتح المجرى الكهربائي باليد الاخرى فسطع نوره قويًا في الدهليز وسطا بكتائبه الخافانية على جيوش الظلام النجاشية وبدد تلك الكتائب احزاب الغياهب وكان هنس حاملاً المصباح الآخر ففعل كفعله ولهذه المصابيح فائدة جليلة اذ يمكن المرور بها في وسط الغازات القابلة الالتهاب بدون ان يخشى منها ضرر ثم سرنا في الدهليز حاملاً كل منا الرزمة التي تعينت لهُ وكان هنس يتقدمنا وهو يدحرج رزمة الحبال امامه وقبل ان نتوارى فوهة البئر عن نظري تزودت من سماء ايسلاندا بنظرة كانت نظرة الوداع وقد قدر علي ان لا اراها بعدها

اما الدهليز فمبطن بقشرة سميكة من السوائل المتجمدة وهي شديدة اللمعان فكان النور الكهربائي ينعكس عليها فيزداد سطوعًا وارضه منحدرة على خمس واربعين درجة تقريبًا الا ان فيها نقطًا شاخصة واخرى منخفضة مما يسهل

المسير عليها قليلاً فهي اشبه بدرج تقادم عهده فقرضته انياب الحدثان ولعبت به ايدي الزمان وعلى جانبي الدهليز اعمدة متدلية من سقفه بعضها متصل بالارض والبعض الآخر ينتهي على علو بضع اقدام اما السقف فرصع بصخور من بلور الكورتز غير الشفاف المعروف بدب الملح وعلى هذا البلور كريات من الزجاج الصافي فكانت اذا وقعت عليها اشعة مصابيحنا تنير حالاً بنور ساطع يبهر البصر ويغشي النظر فكانما تلتهب التهاباً والناظر اليها يحسبها ثريات زيَّن بها جن الهاوية مسكنهم اكراماً لنا واحتفالاً بقدومنا

فلما ابصرت تلك المناظر اخذني العجب فقلت للاستاذ لله ما اجمل هذه المناظر وما ابدعها الا ترى كيف ان هذه السوائل المتجمدة تتدرج من اللون الاحمر القاني الى الاصفر الفاقع

فما زهر الرياض اذا تبدَّى ... بابهج قط من تلك المرائي
ولا قوس السحاب اذا تجلى ... ولا الاقمار في كبد السماء

وكيف لا تندهش من هذه الكريات البلورية المنيرة فوق رؤوسنا كالبدور في منازلها والشموس في بروجها

فتبسم الاستاذ وقال الحمد لله اذ راقت هذه المناظر في عينيك على انها ليست بشيء في جانب ما ستراه من العجائب اذا وصلنا الى مركز الارض

وكانت طريقنا متجهة الى الجنوب الشرقي بغاية الضبط لا تنحرف يمنة ولا يسرة اما الحرارة فلم ترتفع الا قليلاً جداً وبعد ان سرنا ساعتين نظرت الى الترمومتر فرأيت ان الحرارة لم تبلغ الا الدرجة العاشرة فاخذني العجب من ذلك ثم قلت لعل الطريق التي سلكناها كانت افقية اكثر مما ظننتها وكان الاستاذ يقيس زوايا الانحراف والانحدار في أثناء مسيره ويعلق نتيجة عمله على دفتر الملحوظات السابق الذكر بحيث يتوصل متى شاء الى معرفة العمق الذي وصلنا اليه بغاية الضبط والتدقيق

ولما جآت الساعة الثامنة بعد الظهر امر الاستاذ بالوقوف وكنا اذ ذاك في محل إشبه بمغارة فعلقنا مصابيحنا على الجدران وجلسنا بالقرب منها وفي ذاك الوقت شعرت بنسيم لطيف يمر علينا فعجبت من ذالك ولم اعلم ما هو المحرك للهواء في ذاك المحل على اني لم اطل البحث في امره لاني كنت في شدة من السغب وحاجة الى الاستراحة من التعب ثم اخرج هنس شيئًا من الزاد ومده على صخر من السوائل المتجمدة فاكلنا بقابلية لا مزيد عليها وكان معنا من الزاد ما يكفينا لمدة طويلة الا ان الماء الذي اذخرناه نفد اكثره ولم يكن باقيًا معنا الا مؤونة خمسة ايام وكان الاستاذ يؤمل ان يملأ القرب من الينابيع التي في قلب الارض فنبهته الى ذلك لاننا منذ دخولنا في جوف الارض لحد ذاك الوقت لم نجد للماء اثرًا

فقال الاستاذ هل في عدم وجود الماء ما يقضي بالعجب

قلت بل ما يقضي بالعطب

قال اطمئن بالاً فاننا سنجد من الماء فوق ما نشتهي

قلت متى يكون ذلك

قال متى انتهينا من هذه القشرة المتخلفة عن السوائل البركانية ألا ترى كيف ان هذه القناة طليت بها فكانت كالملاط لا ينفذ منها الماء

قلت اجل ولكن من المحتمل ان هذه القشرة تنتهي الى عمق بعيد ونحن لم نزل فيما ارى على عمق الف قدم تحت سطح البحر او اكثر من ذلك بقليل

قال ماذا حملك على هذا الظن

قلت لو كنا على اكثر من هذا العمق لكانت درجة الحرارة فوق ما هي الان

قال ذلك لو صح مذهبك ولكن اي درجة بلغ زئبق الترمومتر

قلت هو على الدرجة الخامسة عشرة وكان على السادسة قبل دخولنا في الدهليز فالزيادة ليست الا تسع درجات



فعلقنا مصابيحنا على الجدران وجلسنا (صفحة ٩٠)

قال وماذا تستنتج من ذلك

قلت ثبت بالتجربة ان الحرارة تزيد في جوف الارض درجة تحت كل سبعين قدماً وقد يختلف هذا العدد باختلاف التربة من حيث صلاحيتها لتوصيل الحرارة فقد تبين بالامتحان ان الحرارة في مدينة باكوست من مدن سيبيريا تزداد درجة لكل ٣٦ قدماً واما اذا كان الحفر في تربة تبسية بجوار البراكين المنطفئة فلا تزداد درجة الا بمائة وخمس وعشرين قدماً فلنتخذ اذا هذا المعدل الاخير قياساً اذ انه يصدق اكثر من غيره على الارض التي نحن فيها

قال افعل وقل لي ما هو العمق الذي وصلنا اليه على زعمك

فاخذت رقعة ورقمت عليها العدد ٩ وهو عدد درجات الحرارة التي زادت منذ دخولنا في الدهليز وضربتها في العدد ١٢٥ فكان الحاصل ١١٢٥ قدماً وإذ ذاك قرأتها على سمع الاستاذ

فقال اصبت في الضرب ولكن هيهات ان يصدق قولك

قلت كيف ذلك

قال نحن الآن على عمق عشرة الاف قدم تحت سطح البحر

قلت أذلك ممكن

قال ان صح ان مجموع اثنين واثنين اربعة فحسابي صادق لا ريب فيه

وكان حساب الاستاذ صادقاً حقيقة فالعمق الذي وصلنا اليه في ذلك اليوم يزيد ستة الاف قدم على ابعد الاعماق التي توصل اليها الانسان من قبل كمناجم ريتزبال في ولاية تيرول ومناجم ويتمبرج في ولاية بوهيميا وكانت الحرارة مع ذلك في الدرجة الخامسة عشرة بدلاً من ان تكون في الحادية والثمانين فداخلني الريب مذ ذاك الوقت في صحة مذهب القائلين بالحرارة الداخلية

الفصل الرابع عشر

لما جاء اليوم الثاني من شهر لوليو استأنفنا المسير وكانت طريقنا لم تزل هي هيه من حيث الوجهة والانحدار والتركيب وعند الظهر انتهينا من القناة التي كنا فيها الى فسحة رحبة يتفرع منها طريقان احداها الى الشرق والاخرى الى الغرب فوقف هنس ريثما استعلم من الاستاذ عن ايها يتبع فاشار الاستاذ بيده الى الطريق الشرقية بدون تردد كأنهُ على معرفة تامة بها وذلك لكيلا يظهر على نفسه الريب امامي وامام الدليل على ان التردد لم يكن يفيد شيئاً اذ ان كلتي الطريقين على شكل واحد وكلتاهما ضيقة وليس من اثر او كتابة او

رسم يميز احداها عن الاخرى فلم يكن لنا اولى من الاتكال على التقادير وترك التعلق بحبال التدابير فسرنا على الطريق الشرقية وهي كالقناة الاصلية مطلية بالسوائل البركانية المتجمدة الا انها اضيق منها جداً حتى انا في بعض الاحيان كنا ندب على الارض دبيباً لقرب سقفها وكان اكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر الطبيعية او بين صفوف من العمد المختلفة الاشكال كاننا في هيكل عظيم بنته الجبابرة الاول معاصرو المموس والكركدن القديم وغيرها من الحيوانات الهائلة التي لم يبقَ منها الا الاثار

وبعد ان سرنا على تلك الطريق ميلاً او اكثر اخذ انحدارها يخف شيئاً فشيئاً حتى صارت افقية بجنة وكانت الحرارة لم تزل على درجتها الاولى لم تتغير الا تغيراً خفيفاً لا يعبأ به ولما جاءت الساعة السادسة بعد الظهر امر الاستاذ هنساً بالقاء عصا التسيار كعادته عندما ينهار النهار على ان النهار والليل عندنا سيَّان فما دامت مصابيحنا معنا فنحن في نهار دائم وان الممت بها عوارض التلف امسينا في ليل لا صباح له ولما تناولنا الطعام التف كل منا بعباه واضطجعنا للمنام آمنين من الوحوش الكاسرة والقبائل المتوحشة التي يخشى شرها على سطح الارض وكذلك كنا لا نخاف البرد اذ ان الهواء في قلب الارض ساكن مستمر على درجة واحدة من الحرارة ليلاً ونهاراً

وفي صباح اليوم الثالث من الشهر عدنا الى المسير بهمة وعزم الا ان الطريق صعب سلوكها وعثر انتهاجها اذ بعد ان كانت افقية صارت ترتفع بالتدريج حتى صار المسير عليها متعباً وما جاءت الساعة العاشرة الا وقد اعياني التعب فتأخرت عن الاستاذ بضع خطوات فنظر اليَّ وقال بفروغ صبر ما لك لا تتقدم

قلت لقد اخذ مني التعب مأخذه وادرك النصب غايته حتى كلت اعضاي ووهنت قواي ولم يعد لي طاقة على المسير

قال أهذا ما تقول بعد مسير ثلاث ساعات على طريق سهلة منحدرة كهذه



وكان اكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر الطبيعية (صفحة ٩٣)

قلت مهلاً انت تقول منحدرة ولكني ارى انها صاعدة وإذا استمرت على ذلك فلا يبعد ان تعود الى سطح الارض

قال لا بد من المسير ولأن تنتهي بك هذه الطريق الى سطح الارض احب اليك من ان تنتهي الى قلبها ثم اعرض عني واشار الى هنس بالمسير فعلمت انهُ عارف بتغيير الطريق ولكن غيظه من ذلك وعناده حملاه على المكابرة فكأنما رأى الاعتراف بالخطاء زلة وحسب التردد مذلة على حد قول الشاعر

اذا اخترت من بين المذاهب مذهباً　　فاياك ان تعتاض عنهُ بديلا

وما عشت لا ترضَ التردد انهُ   يعود به المرء العزيز ذليلا

ولما لم يكن لي عن متابعته مندوحة سرت على حسب الامكان على اثر هنس وكانت الطريق تزداد صعوبةً بازدياد ارتفاعها

ولما صار وقت الظهر اخذ النور المتكسر على الجدران يضعف انعكاسه بالتدريج فعلمت اننا انتهينا من القشرة المتخلفة عن السوائل المتجمدة وتفرست في الصخور التي حولنا فعلمت انها من الصخور النارية وهي عديمة الحياة اي لا اثر فيها للحيوان والنبات على اننا لم نتقدم الا قليلاً حتى دخلنا في الصخور المائية وهذه الصخور تكونت من حتات الصخور النارية وفتاتها بحك المياه وغيرها لها وجرف الماء حكاكتها الى حيث رسبت وتحجرت منضدة طبقة فوق طبقة حتى بلغ سمكها اميالاً ولذلك يقال لها المنضدة كما يقال للنارية غير المنضدة فتبينت نوع تلك الصخور واذا هي من الصخور التي تعرف باللورنشية وهي الرتبة الاولى من الصخور القديمة الحياة وما لبثنا ان دخلنا صخور الرتبة الثانية منها وهي الكمبرية فوجدت فيها اثار نبات بحري وحيوانات دنيئة الرتبة كالمرجان والاسفنج والحيوانات الرخوة الصدفية وذوات القشرة وثقوب ديدان بحرية فاستدعيت التفات الاستاذ اليها لكي اثبت لهُ اننا كلما توغلنا في تلك الطريق ابتعدنا عن قلب الارض ولكن الاستاذ ابى الا المكابرة لشدة غيظه وعناده فلما اريته الاثار التي ذكرتها والتربة الطباشيرية المكونة من اصداف الحيوانات والمرجان وبقايا حيوانات اخرى قال وعلى اي شي يدل هذا

قلت على انا بعد ان كنا في الصخور النارية صرنا في تربة الدور الذي ابتداء فيه ظهور الحيوان والنبات على الارض وهذا يثبت ان طريقنا صاعدة لا منحدرة

قال أتظن ذلك

قلت لم يعد محل للريب فانظر بنفسك الى هذه الهياكل المرسومة على الصخور

وتأملها

فلم يكترث بكلامي بل بقي سائرًا الى الامام لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً ولا اظنه الا اقتنع بصحة قولي ولكنهُ ابى الا التقدم اما من قبيل العناد فقط واما لاجل استقصاء الطريق حتى آخرها

ثم بعد ان تقدمنا نحو ميل وانا اراقب تغيرات الصخور وآثار الدفائن التي عليها رأيت انواعًا اخرى من الحيوانات التي لم تظهر الا في الدور الثالث للصخور القديمة الحياة كشقيق البحر والتوتيا وصليب البحر فعلمت اننا في الصخور السيلورية وذلك الدور كثرت فيه انواع الاصداف والابواق والمرجان وحيوانات اخرى من الحيوانات الشبيهة بالنبات وفي اخره ظهرت الاسماك وهي ادنى ذوات الفقرات رتبةً واما نباتاته فاعشاب بحرية من ادنى النبات رتبة وجراثيم نباتات اعلى منها كالطحالب فاخذت بوقًا محفوظًا على حالته الاصلية واريته للاستاذ

فقال هذا البوق من نوع التريلوبيت اي المثلث الفصوص وقد انقرض الان من عالم الحياة

قلت ألم تزل مرتابًا في كوننا تجاوزنا الصخور النارية وصرنا في الصخور المنضدة

قال من المحتمل ان اكون اخطأت في اتباع الطريق الشرقية ولكني لا اقتنع بغلطي الا اذا بلغنا آخرها

قلت لولا ان ما اذخرناه من الماء على وشك النفود لما كنت اعارضك فيما تفعل

قال ان كان ماؤنا قليلاً فسنقتصر في الشرب على القدر اللازم لحفظ الحياة وكيفما كان الامر لا بد لي من استقصاء هذه الطريق .

فقلت لنفسي لم يبقَ لي الا الرضى بالقضا وضرب الصفح عن التفكر فيما مضى

ما قد قضي يا نفس فاصطبري لهُ   ولك الامان من الذي لم يقدرِ

وتيقني ان المقدر كائن حتماً عليك صبرت ام لم تصبري

ولم يكن معنا من الماء الا مؤونة ثلاثة ايام فقط فلما جاء وقت العشا سكب الاستاذ لكل منا مقدار عشرة دراهم او اقل وفي اليوم الثاني عدنا الى المسير تحت سلسلة من القناطر لا نهاية لها وكانت الطريق لم تزل افقية وهي محفوفة على الجانبين بصخور من الرخام والطباشير وعلى اكثر ذلك الرخام آثار حيوانات دنيئة الرتبة الا انها اعلى رتبةً من الحيوانات التي رأينا دفائنها في اليوم السابق فكأنما كانت تلك الطريق تاريخ الحياة الحيوانية منذ ظهورها فكنا كلما تقدمنا فيها خطوة نشاهد آثار حلقة من حلقات تلك السلسلة التي اولها الاسفنج والمرجان وآخرها الانسان

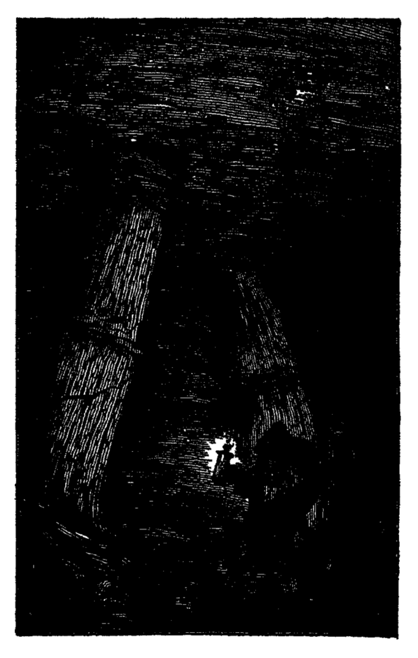
وفي اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس من الشهر دخلنا بعد مسير ميل واحد في الصخور الديفونية وهي الرتبة الرابعة من الصخور القديمة الحياة وفي ذلك الدور تكاثرت انواع الابواق والاصداف والمرجان عما قبله واختلفت عنها في التركيب فالحيوانات القشرية المشابهة للسراطين أبدلت بحيوانات كبيرة الحجم هائلة المنظر يختلف طولها بين اربع اقدام وست ورأيت من آثار الاسماك انواعاً عديدة بعضها مغطى بصفائح عظمية والبعض الآخر بحراشف صلبة جداً ولبعضها حسك كبير عظمي في رأسها لا اظنه الا آلة للمهاجمة والقتال وللبعض الآخر رؤوس كالتروس او دروع عظمية محدبة تتقي بها شر الاولى

وما زلنا نسير بين الصخور الطباشيرية والرخامية وانا اراقب دفائن حيوانات ذلك الدور حتى المساء فتغيرت هيئة التربة تغيراً بيناً فبعد ان كانت تنكسر عليها اشعة مصابيحنا بنور ساطع صارت قاتمة اللون فاقتربت من الحائط ولمسته بيدي فاسودت فعلمت اننا في منجم من الفحم الحجري وكنا قد انتهينا من الصخور الديفونية الى الصخور الكربونية وهي صخور الرتبة الخامسة وهو الدور الذي تعاظمت فيه الانهار واتسعت مصابها وكثر طوفانها فجادت التربة وكثرت الرطوبة واعتدل

الهواء فكثر النبات واخصب حتى صارت اعشابه كالاشجار العظيمة في زماننا وكست سطح الارض فصارت غياضاً متسعة تكوّن منها الفحم الحجري وفي ذلك الدور تكاثرت الزحافات والاصداف والاسماك وتعاظمت جثثها وكثر هيجان البراكين وانقلاب البحار وخسوف الارض وشخوصها

وكان قد جاء المساء وحان وقت العشاء فاكلنا ولكن قليلاً مخافة ان يشتد بنا أوار العطش وما معنا من الماء لا يبرد غلة ظمآن ثم لعب النوم باجفاننا فاثقلها وبرؤوسنا فميلها فاضطجعنا للرقاد على فراش شديد السواد كانا في حداد فقضينا ليلنا في وسط ذلك المنجم وفي اليوم الثاني اي السادس من الشهر استأنفنا المسير قبيل الساعة السادسة من الصباح وكنا جميعنا ملتزمين الصمت اما الاستاذ فلغيظه من بقاء الطريق افقية واما انا فلكدري من عناده وخوفي من نفود الماء واما هنس فلكون السكوت من طبيعته وكانت الحرارة باقية على الدرجة التي كانت عليها قبل خروجنا من مجرى السوائل البركانية واما طريقنا فكانت سهلة غير متعبة الا اني كنت متضايقاً بعض المضايقة من رائحة بي كربونات الهيدروجين المنبعثة من الفحم الحجري ولو كانت مصابيحنا من المصابيح العادية لاتقد الغاز المنتشر في ذلك المنجم واحدث تفرقعاً هائلاً كما يحدث احياناً في المناجم التي يستخرج الفحم منها وكانت انضمت بقايانا الى دفائن الحيوانات التي عاشت قبل الانسان بملايين من السنين بحيث لو دخل احد ذلك المنجم بعدنا ورأى اثارنا لاتخذها دليلاً على ان الانسان وجد على الارض في الدور الكربوني

وقرب العصر تبين لي ان لون الفحم اختلف عما قبل فانه بعد ان كان اسود حالكاً براقاً صار اسمر كالحاً فتأملته عن قرب واذا هو لم يزل في حالة اللكنيت الظاهر فيه كل بناء الخشب فاخذت فلذة منه بيدي وتفرست في حويصلاتها فاتضح لي انها من شجر الصنوبر فعلمت اننا دخلنا في صخور الرتبة



فعلمت اننا في منجم من الفحم الحجري (صفحة ٩٧)

السادسة من الصخور القديمة الحياة وهي المعروفة بالبرمية وذلك الدور هو آخر ادوار الصخور القديمة الحياة

وبينما انا غائص في بحار الافكار الجيولوجية اتأمل في كيفية تحليل الفحم الحجري بفعل الطبيعة واتعجب من عظم اتساع ذلك المنجم الذي لم تنظره عين الانسان من قبل وقف الاستاذ وهنس عن المسير فانتبهت لوقوفهما واذا نحن في آخر القناة وبعد البحث تحقق الاستاذ ان طريقنا مسدودة لا منفذ لها فقال وقد علا وجهه بعض الخجل الآن طاب لي الرجوع فقد ايقنت اني لست على

الطريق التي اتبعها سكنوسيم فابس لنا الآن نرجع على اعقابنا وبعد ثلاثة ايام نكون في مجمع الطرق فنتبع الغربية منها وهي توصلنا الى قلب الارض

قلت هذا اذا بقي فينا قدرة على السير او بمسكة من الحياة

قال وما نخاف وماذا عسى تخشى

قلت غداً لا يبقى عندنا من الماء لا قليل ولا كثير

فنظر اليّ شزراً وقال. أو ما يبقى عندك ايضاً شيء من الشجاعة

فلم اجسر على المعاودة وكان قد جاء وقت العشاء فتناولنا الطعام بنفس منقبضة وصدر ضيق ثم اضطجع الاستاذ وهنس فنسيا اتعابهما بالنوم واما انا فلم يغمض لي جفن حتى الصباح

الفصل الخامس عشر

لا ارى لزوماً للاسهاب في الكلام على الاتعاب التي قاسيناها في رجوعنا بل اقول بالاختصار اننا كنا نصل سرى الليل بسير النهار خوفاً من ان تدركنا المنية قبل وصولنا الى الطريق الغربية حيث علقنا الآمال بوجود الماء على ان زيادة التعب زادت عطشنا وكان ماؤنا قد نفد في آخر اليوم الاول فامتنعت عن الاكل واستولى عليّ اليأس وانحطت قواي فصرت اجر نفسي بكل عناء وانا آيس من الحياة وكان الاستاذ يشجعني بالكلام ويجهد نفسه في احياء بعض الامل في فوآدي وكان هو نفسه في ضيق عظيم من شدة العطش والتعب الذي انهك قواه الا انهُ كان يتجلد مظهراً من الضعف قوة واما هنس فكان يسير امامنـــا صامتاً كعادته لا يعرف للشكوى مذاقاً ولا يدري للألم طعما

استوت عنده الامور وامسى عنده السهل والصعاب سواء

وما زلنا نغالب العطش والتعب حتى وصلنا في صباح اليوم التاسع من الشهر الى ملتقى الطرق وكنت على آخر رمق فسقطت على الارض كالقتيل وقد

طاب الموت في عيني تخلصاً من العذاب الذي كنت فيه أما الاستاذ فبعد ان تناول شيئاً من الطعام مع هنس تقدم اليَّ واخذني بين ذراعيه والقى عليَّ نظرة ملآنة شفقة وحنواً وكنت اعلم انهُ منزه عن التمليق فعرفت انهُ لم يظهر ما اظهر من الشفقة الا بعد ان طفح فؤاده محبةً فادركتني هزة حركت اليه جوارحي فاخذت يديه بيديَّ المرتجفتين ونظرت اليه وانا غير قادر على الكلام فاغرورقت عيناه بالدموع ثم اخذ السقاء عن جنبه وادناه بعد فك وكائه الى فمي وقال اشرب وكان قد حفظ تلك الجرعة من الماء لمثل هذه الساعة فشربتها بلذة لا يقوم القلم بحق وصفها فانتعش فؤادي ورجعت اليَّ قواي فوقعت على يدي الاستاذ اقبلها شاكراً لهُ صنيعه لاننا كنا كلانا في حالة واحدة من العطش الا انهُ اقوى مني على الصبر واقدر على التجلد فبدلاً من ان يبرد غليل ظماه بتلك الجرعة جاد عليَّ بها فكأنما جاد علي بروحه

وكان قد انطلق لساني فقلت للاستاذ لم يعد لنا الان الا الرجوع على اعقابنا سريعاً لعلنا نبلغ فوهة البركان وفينا بقية رمق فحوَّل الاستاذ وجهه عني بينما كنت اخاطبه وصار يتحاشى ان يقع نظره على نظري فكررت عليه الكلام بالحاح فاطرق برهةً ثم نظر اليَّ وقال كنت آمل ان الجرعة التي اسقيتك اياها تحيي فيك النخوة والشجاعة فما رأيتك الا ازددت ضعفاً ويأساً

فعجبت من كلامه لاني ما كنت اظن انهُ يمانع في الرجوع بعد ان صار هو نفسه على شرف الهلاك من شدة العطش وقلت لهُ ألم تزل مصمماً على التقدم في جوف الارض بعد ان صرنا على الحالة التي نحن عليها

قال عمرك الله يا اكسيل ماذا تقصد بهذا الكلام أتريد ان اعدل عن هذه الرحلة بعد ان صرت على يقين تام بنجاحها

قلت حياتنا رهن اشارتك فان كان لا بد لك من التقدم فافعل ما تريد ولكن اعلم انك انت الذي قضيت علينا بالموت



فسر تها بلذة لا يقوم القلم بحق وصفها (صفحة ١٠١)

قال معاذ الله ان استصحبك كارهًا فعد مع هنس ودعني وشأني فاني قد آليتُ على نفسي ان لا اعود من هذه الرحلة ما لم اتمها

فعجبت من قوة عزمه وشدة صبره على الشدائد ووقفت حائرًا مترددًا بين الرجوع الذي كانت تدفعني اليه احكام الطبيعة قانون التشبث بالحياة وبين البقاء معهُ الذي كانت تقتضيه واجبات المرؤة والولاء الا ان الرجوع كان عندي ارجح الكفتين واقوى الاحتمالين

اما هنس فكان واقفًا ينظر الينا بسكونه المعتاد ويسمع محاورتنا بسكينته

المعهودة غير مكترث بما يؤول اليه الامر مستعدًا للاقدام والاحجام بحسب اشارة الاستاذ فكأنه ليس بذي شان في المسألة او كأن حياته اسست عنده شيء فتقدمت اليه وأخذت يده بيدي فتركني فعل فاشرت له الى فوهة البركان قائلاً هذه هي الطريق لا طريق الا هيه فاشار الى عمي قائلاً هوذا صاحب الامر فاخذتني الحدة وقلت له ويحك أعلى حياتك هو صاحب الامر يا مغفل ام انت تجهل اي حالة نحن فيها من الخطر الا تعلم انه لا مناص لنا من الموت ان وافقناه على غيه الا ترى ان العناد قد اعمى بصيرته فهو لا يعقل ماذا يفعل فاعلم انك اذا جاريته ترتكب اثمًا فظيعًا وحوبًا كبيرًا اذ تكون انت الجاني على نفسك وعلينا فهيا بنا نرجع به رغما عنه

الله في ارواحنا ياهنسُ ولّى الرجاء وتولى اليأسُ

فعد بنا فقد ازيل اللبسُ وان تفض ياهنس منا النفسُ

لا طلعت من بعد ذاك شمسُ

ثم جذبته بيدي فبقي ساكنًا ساكتًا كأنه صخر اصم

واذ ذاك تقدم نحوي الاستاذ. قال دع عنك هذه الحدة يااكسيل واصغَ لكلامي فانك لن تنال شيئًا من هذا الرجل الامين فملت بجانبي نحوه مصغيًا فقال اعلم ياهداك الله انه ليس من مانع يحول الان دون بغيتنا الا الماء فان كنا لم نر سوى نقطة واحدة في الطريق الشرقية بين المواد البركانية والصخور الكلسية وطبقات الفحم الحجري فليس في ذلك ما يقطع باننا لا نصادف منه بقدر ما نشتهي في الطريق الغربية

فاومأت براسي بمعنى اني غير مؤمل ذلك فاستطرد الكلام قائلاً اعلم اني بينما كنت انت منطرحًا ها على الارض فاقد الشعور توغلت قليلاً في هذه الطريق استكشف تربتها واستطلع تكوينها فرايتها تتخلل الصخور الاصلية وهي شديدة الانحدار واذا اتبعناها لا نسير الا بضع ساعات حتى نبلغ منطقة

الصخور المحببة حيث لا بد من وجود ينابيع غزيرة فان طبيعة تلك الصخور تستلزم وجود الماء وقلبي دليلي على ذلك

ثم اردف كلامه قائلاً اذكر ان خريستوف كولومب لما كان يبحث على العالم الجديد وطلب رجاله الرجوع الى بلادهم لشدة الضيق الذي كانوا فيه والامراض التي استولت عليهم سألهم مهلة ثلاثة ايام فاجابوه الى طلبه وفي خلالها اكتشف قارة اميركا اما انا مكتشف هذه الارض الجديدة فلا اسألك الا يوماً واحدًا فاذا انقضى ولم نجد ما نبتغي اعود معك الى حيث تشاء

فلما رأيت عمي يقابل شدتي برخاء ويلتقي زعزعي برُخاء ويعاملني باللين الذي لم يكن في طبيعته رق له قلبي رغما عن الحدة التي كانت مستولية عليَّ فقلت له لك ما طلبت واني اسأل الله ان يحقق املك

ثم تقدمنا الى الطريق الغربية يتقدمنا هنس بحسب عادته ولم نبتعد مائة خطوة حتى دنا الاستاذ من حائط السرداب وقال هنا تبتدئ التربة الاصلية

فدنوت منه وانعمت النظر في الصخور فتاكدت صحة قوله وكنا اذ ذاك في طبقة صخور الشيست اولى الطبقات الثلاث المركبة منها التربة الاصلية وهي منضدة ركاماً على ركام تتلألأ بين الاخضر والازرق كعنق الحمام يتخللها خيوط من النحاس والمغنيس والذهب والبلاتين وكنا ندوس بارجلنا تلك المعادن ونطأها بنعالنا اذ هي على ارتفاع قيمتها العرفية التي قدرها لها الانسان تسهيلاً للمبادلة التجارية عديمة القيمة عندنا اذ ذاك وجرعة من الماء كانت خيرًا لنا منها وما اصدق من قال

والتبر كالترب ملقى في اماكنه   والعود في ارضه نوعٌ من الحطبِ

ولله در من يقول

احبُّ لغلة الظمآن يوماً   مسيل الماء من سيل النضارِ

وبعد قليل انتهينا من صخور الشيست الى طبقة النيس المنازة بتناسب

صفائحها وإنتظامها الهندسي ثم الى الميكاشيست الذي يدهش البصر بناصع بياضه

ولم نزل نسير حتى الساعة السادسة بين تلك الصخور المتبلورة كاننا نسير في قلب ماسة مجوفة او كأننا في قصور الجنة الا انهُ نضب كوثرها ثم تغيرت هيئة الصخور تغيراً بيناً وضعف انعكاس النور عليها وكنا قد دخلنا منطقة الصخور المحببة اصلب الصخور واقواها

ولما حانت الساعة الثامنة من المساء اعياني التعب واشتد بي العطش ولكنني لم اظهر شيئاً على نفسي اشفاقاً على الاستاذ من ان يضطر الى الوقوف فيستولي عليه اليأس لانقضاء المهلة التي طلبها بدون ان يجد شيئاً من الماء غير اني بعد ان تجلدت ساعة غلب عليَّ التعب والأين حتى لم اعد قادراً على نقل رجلي كانما ادركني حين الحين فصرخت صرخةً وسقطت على الارض فاقد القوى فانثنى نحوي الاستاذ ووقف يتأملني برهة وعلائم الحزن ظاهرة على وجهه ثم قال بصوت الآيس قطع الرجاء وفي ذاك الوقت غبت عن الهدى ولما عاد اليَّ رشدي رأيت عمي والدليل مضطجعين على قيد رمح مني ملتفاً كل منهما بعباءه فلم ادرِ اهما في يقظة ام في منام اما انا

فكان الغمض عن عيني بعيداً وكان مجافياً للنوم جفني

وكيف ينام من يرى شخص الموت قادماً اليه ماثلاً بين عينيه وقد صدق عمي اذ قال قطع الرجاء لاني في الحالة التي كنت فيها من الضعف لم اكن قادراً لا على التقدم في قلب الارض ولا على الرجوع الى سطحها

وكان فوقنا من القشرة الارضية سمك ثلاثة اميال فخيل لي انها متحاملة على نحري بكلكلها مرتكزة على صدري بكل ثقلها وكنت اجهد نفسي لكي اتقلب من جنب الى اخر فلا استطيع حراكاً وبينما انا في تلك الشدة قام هنس من مضجعه واخذ المصباح بيده وسار في الدهليز حتى توارى عن عيني فاضطربت وجلاً لذهابه وحسبت انهُ تركنا قاصداً الرجوع الى سطح الارض وكان الاستاذ



كاننا نسير في قلب ماسةٍ مجوفة (صفحة ١٠٥)

لم يزل راقدًا فاردت ان اوقظه ولكن لساني انعجم عن الكلام فصرت انادي ولا اسمع لصراخي صوتًا فكنت كمن ينادي في حلم غير اني بعد برهة تعقلت الامر فخجلت لسوء ظني في ذلك الرجل الذي لم نرَ منهُ حتى ذاك الوقت الا الامانة والولاء ثم فطنت الى انهُ توجه نحو قلب الارض فلم يبقَ عندي محل للريب في امره اذ لو كان قاصدًا الرجوع لذهب الى الوراء وليس الى الامام

الفصل السادس عشر

بعد ذهاب هنس اخذت افتكر فيما عسى ان يكون السبب الذي حمله على الانسلال تحت جنح الدجى فترجح عندي بعد الاخذ والرد انهُ سمع هدير ينبوع من الماء في ذلك الليل الهادئ فذهب يستقصيه

وبعد ان مضى على ذهابه ساعة قضيتها بين عاملي اليأس والامل سطع نور مصباحه في اقصى الدهليز فرأيتهُ مقبلاً على عجل فتوسمت في ذلك خيرًا وما زال نظري يرافقه حتى وصل الى الاستاذ وايقظه فقال لهُ عمي خيرًا ياهنس فهل من شيء حدث

قال نعم ماءٌ سمعت هديره

فلما سمعت تلك البشرى زالت في الحال اوجاعي وانطلق لساني قائلاً

ياهنس بشرت بخير دانِ وعدت باليمن وبالامانِ
احييت في نفوسنا الاماني شكرًا لمسعاك مدى الزمانِ
بالقلب ياهنس وباللسانِ

ثم وثبت نحو الدليل واخذت يديه بيدي وجعلت اشكر لهُ سعيه واهتمامه وكان الاجدر بي ان اطلب عفوه جاثيًا على ركبتي لاسآتي الظن به بينما كان يسعى في سبيل انقاذي من الهلاك ولكن الخجل منعني من ذلك

ثم سأله الاستاذ اين يوجد الماء فاشار بيده الى اسفل الدهليز فانطلقنا في الحال على اثره ونحن لا نصدق بالنجاة وبعد ان سرنا ميلاً سمعت دويًا بعيدًا في قلب الصخور التي تتخللها الطريق ثم اخذ ذلك الدوي يزداد بالتدريج بتقدمنا حتى صار كهدير البحر الزاخر فقال الاستاذ نعم هذا صوت نهر غزير يجري في قلب هذه الصخور القائمة حولنا ثم اخذنا نجد السير وقد احيي الامل قوانا رجاء ان نعثر على مصبه او نهتدي الى منبجس منهُ فننقع الصدى ونكون قد وجدنا على الصوت هدى

اما النهر فبعد ان كان يجري فوق روؤسنا تحول الى يسارنا وقرب منا مجراه حتى لم يعد بيننا وبينهُ الا حاجز من الغرانيت سمكه قدمان او ثلاث فصرت امرّ يدي على الحائط حينًا بعد حين على امل ان اصادف صخرًا راشحًا فارطب بنداه لساني ولكني لم اجد للماء عينًا ولا اثرًا

ثم سرنا ميلاً آخر بدون ان نصادف الماء فعلمت ان الدليل لم يتجاوز في اثناء غيبته المحل الذي وصلنا اليه بل قفل راجعًا حالما تحقق ان الدوي الذي سمعهُ هو هدير ماء وبعد برهة تبين لنا ان الطريق اخذت تبتعد شيئًا فشيئًا عن مجرى النهر فرجعنا على اعقابنا الى ان وصلنا الى المحل الاقرب من صوته واذ ذاك دنا هنس من الحائط ووضع اذنه على الصخر واخذ يبحث عن النقطة التي يسمع منها هدير الماء اقوى مما يسمع من غيرها ولم يكن كحل عقال حتى اهتدى اليها وهي في الحائط الايسر على علو ثلاث اقدام من الارض

وكنت في اثناء ذلك اراقب عمله غير عالم بما يقصد ولكنني لم البث ان فطنت الى مراده وذلك لما رأيته عمد الى المعول فايقنت ببلوغ الآمال ثم طفق ينحت الصخر نحتًا بضرب خفيف متواصل حذرًا من ان يتكسر فتنطبق علينا صخور الدهليز بما فوقها من طبقات القشرة الارضية فتسحقنا سحقًا او ينفتح في الحائط فوهة كبيرة فيتحول النهر الى الدهليز فنضطر الى الشرب فوق ما نُشتهي على انهُ كان يخيل لي اذ ذاك لشدة ما بي من الظماء اني قادر على شرب ماء النهر باجمعه مهما كان غزيرًا

ولم يمضِ ساعة من الزمن حتى بلغ عمق الثقب قدمان واتساعه بضع اصابع وكان صوت الماء يزداد قوة بالتدريج على اثر الضرب وبينما نحن على ذلك واذا بصوت كصفير الخلقين البخارية خرج من الصخر وانبجس الماء على اثره بشدة فوقع على الحائط الايمن وكاد يلقي هنسًا على الارض بقوة اندفاعه فصفقت قائلاً



وانبجس الماء على اثره بشدة (صفحة ١٠٨)

يعيش هنس ويرقى   اوج السعود ويبقى
ولا يزال دواماً   يسعى لخير ويلقى

وفي الحال مددت راحتيَّ لآخذ بهما من الماء ما ابرد به غليل الظماء ولكنني اضطررت الى ارجاعهما صفرًا لان الماء كان في درجة الغليان وبعد دقيقة نعج السرداب من البخار وجرى الماء جدولاً يتعوج بين الصخور منسابًا انسياب الافعى فاخذنا منه شيئًا وشرعنا نبرده بتفريغه من ركوة لشكوة وريثما صارت حرارته في الدرجة الخمسين اخذنا نعب عبًا كالجمال حتى اكتفينا فانتعشت

ارواحنا بعد ان كادت تزهق وانشرحت صدورنا بعد ما اوشكت ان تتمزق من الحرج فصرنا نمزح ونضحك ثم قدمنا لهنس فروض الشكر وتوافقنا على تسمية ذلك الجدول باسمه فدعي منذ ذاك الوقت بجدول هنس

وبعد ذلك جلسنا نتناول الطعام وكنت قد انقطعت عنهُ منذ ثلاثة ايام فاكلت بقابلية بل بشراهة عظيمة ولما اكتفينا قلت للاستاذ يجب علينا الان ان نسد الفوهة التي فتحناها لكي يكون لنا مخزن من الماء نعود اليه وقت الحاجة

فقال لا ارى لذلك لزوماً لاني اظن ان هذا الينبوع دائم لا ينقطع

قلت دعنا نفعل ذلك احتياطاً فما المحاذر بخاسر وليس في الاحتراس من باس

ثم ملأنا القرب جميعها وشرع هنس يحاول سد الفوهة ولكنه لم يتمكن من ذلك لقوة اندفاع الماء فلم ينل الا احراق اصابعه

فقلت للاستاذ يظهر من شدة الضغط الذى على الماء ان سطحه عالٍ جداً

قال لا شك في ذلك فان كان منبعه على مساواة سطح الارض فيكون علوه اثنين وثلاثين الف قدم وقوة ضغطه تعادل قوة ضغط الف جلد

ثم قال دعنا من هذا فقد خطر ببالي امر حري بالالتفات

قلت هات

قال ارى ان سد الفوهة هو عين الغلط لاننا اذا نفد الماء من قربنا ولم نجد ينبوعاً آخر نملأها منه لا يمكننا الرجوع الى هنا لاننا نكون اذ ذاك على بعد عشرة ايام من هذا المحل فالاولى ان نترك الجدول جارياً امامنا فاننا نهتدي به الى طريقنا ونستقي منه وقت الحاجة

قلت بارك الله فيك يا عماه ونعم الرأي رأيك فوالله ان ان كان هذا الجدول مؤنساً لنا في رحلتنا فلا بد من نجاحها

فتبسم الاستاذ فرحاً لما رآني قد نفيت عن قلبي اليأس ووثقت بالنجاح



فيوسنا يهديره ويطربنا بخرير (صفحة ١١٢)

وقال هكذا احب ان اراك

ثم تأبطت قربتي استعداداً للسير فقال مهلاً يا اكسيل ماذا تفعل فان النهار لم يطلع بعد ونحن فى حاجة الى النوم

وكنت قد نسيت الوقت فنظرت الى الكرونومتر وعلمت اننا في الساعة الثالثة بعد نصف الليل فاضطجعنا للرقاد منشرحي الصدر مرتاحي البال

ولما استيقظت من نومي في اليوم الثاني عجبت في بادئ الامر من زوال عطشي لاني كنت قد ألفت الظماء في الايام الاخيرة كما يألف السقم السقيم غير

اني لم البث ان انتبهت لخرير الماء فتذكرت ان ايام الشدة انقضت فانتصبت على قدمي بنشاط وجعلت انتقل فوق الصخور التي تتخلل مجرى الجدول وانا منشرح الصدر منبسط الوجه وكنت ارى نفسي خفيف الجسم قوي العزم عليّ الهمة فلو دعاني الاستاذ اذ ذاك الى الرجوع على اعقابنا لعارضته اشد المعارضة وافرغت جعبة البراهين في سبيل اقناعه بوجوب اتمام الرحلة على انهُ لم يحوجني الى ذلك بل ريثما تناولنا الطعام امر هنسًا بالتقدم وسار على اثره فتبعتهما والسرور ملء فوادي

اما الطريق التي سلكناها في ذلك اليوم واليوم التالي فتكاد تكون افقية الا انها كثيرة الاعوجاج والانحراف ومرجعها الى الجهة الجنوبية الشرقية وكان عمي لا يزال يراقب انحدار السطوح وانحرافها ويعلق نتيجة حسابه على الدفتر المخصص بذلك وكان جدول هنس يصحبنا فيؤنسنا بهديره ويطربنا بخريره فيخيل لي اني اسمع صوت مناجاة الارواح التي تأهل المياه

كأن خرير الماء يجري على الحصى وقد نشر الليل البهيم جناحهُ
وخيم فوق الارض والارض بلقعٌ مناجاة ارواحٍ أهلنَ صفاحهُ

ولما جاء المساء مساء اليوم العاشر من شهر لوليو راجع الاستاذ حسابه فتبين لهُ اننا على عمق خمسة وثلاثين الف قدم تحت سطح البحر وعلى بعد اربعين ميلاً من ريكياويك الى الجنوب الشرقي

وفي صباح اليوم الحادي عشر من الشهر اخذت الطريق تزداد انحدارًا شيئًا فشيئًا حتى كادت تصير عمودية فصرنا تارة نتدرج الى الامام ونحن نتوكاء على عصينا وطورًا نتدلى بواسطة الحبل بالكيفية التي ألفناها وكنت قد تعودت التدلي فيما مضى فلم اصادف في ذلك اليوم صعوبة لا سيما ان القسم الاكبر من الطريق على شكل لولب فكنا نسير عليها بسهولة كأننا نسير على درج بنته الجبابرة الاوائل بالجنادل وما جاء اخر النهار الا ونحن على عمق عشرة اميال تحت سطح

البحر

ولم تزل طريقنا على الدرجة نفسها من الانحدار او ما يقاربها حتى اليوم الخامس عشر من الشهر فاخذ انحدارها يقل حتى صارت بين الافقية والعمودية ولما جلسنا للغذاء في وقت الغداة اخبرني الاستاذ اننا صرنا علي بعد خمسين ميلاً من ريكياويك فقلت لهُ ان صح حسابك فلم نعد تحت جزيرة ايسلاندا

قال اظن اننا الان تحت الاوقيانوس

قلت سنتحقق من ذلك ثم اتيت بالخارطة واخذت قياس الخمسين ميلاً بالبيكار وقست تلك المسافة من ريكياويك الى الجنوب الشرقي فاتضح لي اننا تجاوزنا راس بورتلند وصرنا تحت مياه الاوقيانوس

ولما اخبرت الاستاذ بذلك اهتز طرباً وقال اذن نحن الان تحت البحر تسير فوق رؤوسنا السفن وتتصادم الامواج وتتلاعب الاسماك

اما انا فاخذني القلق لما تيقنت اني اتجول تحت مياه الاوقيانوس على انهُ في الحقيقة لا فرق بين وجودي تحت الجبال او تحت المياه اذا كان الدهليز متيناً اما اذا خسف سطحه تحت الثقل فالموت واحد سواء كان سحقاً او غرقاً

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الاسباب والموت واحدُ

ثم تذكرت ان في مدينة نيوكاستيل مناجم من الفحم الحجري تمتد تحت البحر الى مسافة بعيدة والناس مع ذلك تدخلها بلا خوف وتستخرج الفحم منها فسكن جاشي واطمأن بالي

وفي مساء اليوم التاسع عشر من الشهر وصلنا الى مغارة فسيحة وكان ذلك اليوم يوم سبت فنقد الاستاذ هنساً ثلاثة ريالات بحسب الشروط المبرمة بينهما وتواعدنا على ان نقضي نهار الاحد في ذلك المحل لاننا كنا فى اشد الحاجة الى الراحة



وطورًا نتدلى بواسطة الحبل بالكيفية التي اتيناها (صفحة ١١٢)

الفصل السابع عشر

من لم يزل يذكر عهد المدرسة وما يلحق الصبيان من الفرح عندما يمنحهم رئيسها يوم اجازة غير معتادة يمكنه ان يتصور مقدار ما المّ بي من السرور وقت ما سمعت بشرى الاستاذ بالانقطاع عن المسير في اليوم التالي فنمت في تلك الليلة جزلاً منشرح الصدر لاني كنت في اشد الحاجة الى الراحة اذ اننا منذ دخولنا في جوف الارض لم ننقطع يوماً واحدًا عن المسير ولما جاء الصباح اخذت اتجول في المغارة التي كنا فيها وهي فسيحة الجوانب عالية السقف مسطحة الارض وفي

وسطها جدول هنس يستل استلال الافعوان وقد بردت مياهه لبعد المسافة بين منبعه والمغارة

ثم اخذت اتفكر في كيفية تكوين السرداب الذي سرنا فيه كل المدة الماضية فقلت من المعلوم ان الارض كانت ملتهبة فلما بردت قشرتها لكثرة ما اشعت من الحرارة انكمش جسمها واخذ في الصغر حجمها فتباعدت اجزاؤها من جهة وتقاربت من جهة اخرى فحدث فيها شقوق عديدة صارت تنبعث منها المواد البركانية التي كانت تقذفها الحرارة الداخلية وما الدهليز الذي نحن فيه الا واحد منها على اني عجبت كيف ان السوائل البركانية لم تترك اثراً على جدران القسم الاسفل منه كما فعلت في القسم الاعلى و بينما انا في وادي التفكر اجوب واجول وارسل رائد التأمل بين عرضه والطول دعاني الاستاذ لتناول الطعام وما فرغنا من الاكل حتى اخرج دفتر الملحوظات اليومية من جيبه وقال يجب عليَّ الان ان اعين النقطة التي نحن فيها بغاية الضبط والدقة لكي يمكنني بعد رجوعي ان ارسم خارطة الطريق التي سلكناها والحقها بالكتاب الذي ساحرره في شرح رحلتنا هذه

قلت سيكون هذا الكتاب جليل الفائدة ولكن هل تكون تلك الخارطة على جانب كافٍ من الصحة

قال نعم فاني قد اخذت قياس كل انحدار وكل انحراف في الطريق منذ خطونا فيها الخطوة الاولى وانا واثق بصحة تلك القياسات

ثم نظر الى الابرة المغنطيسية وبعد ان حرر بعض ارقام بوجه السرعة قال نحن الان على بعد واحد وثلاثين فرسخاً من قاعدة جبل اسنيفل الى الجنوب الشرقي وعلى عمق ستة فراسخ من سطح البحر

فقلت وقد اخذني العجب أعلى عمق ستة فراسخ نحن الان

قال نعم

قلت ستة فراسخ ثمانية عشر ميلاً هاشمياً

قال ثمانية عشر ميلاً هاشمياً وان شئت قل خمسة وثلاثين كيلومترًا او مائة وخمسة آلاف قدم

فبقيت شاخصاً الى الاستاذ ولوائح الدهشة ظاهرة على وجهي

فقال ما لك

قلت اذن قد تجاوزنا اقصى الحدود المقررة للقشرة الارضية

قلت هذا مما لا ريب فيه

قلت وكان من الواجب بناء على مذهب القائلين بالتهاب قلب الارض ان تكون الحرارة هنا على درجة الف وخمسمائة

قال كذا لولا ان ذلك المذهب فاسد

قلت وان تكون هذه الصخور التي حولنا ذائبة

قال ها قد رايت رأي العين فساد هذا المذهب وكيف ان الحوادث جاءت بحسب العادة مكذبة اقوال العلماء

وكم زاعمٍ ان الحقائق خبئت   لديه ويأبى الدهر تصديق زعمهِ

فيحسب ان الحق لم يعدُ رايه   ويرجع عنه بعد حين برغمهِ

قلت لم يعد لي سبيل الى المناضلة والانكار ولكني لا ازال متحيرًا مما ارى

قال من يعش يرَ ما لم يكن في الحسبان فكم درجات الحرارة الآن

فنظرت الى الترمومتر وقلت سبع وعشرون

قال ليس الفرق بين الحقيقة واقوال العلماء الا ١٤٧٣ درجة فقد اتضح لك اذن يا اكسيل ان مذهب تدريج الحرارة فاسد وان همفري ديفي لم يغلط في حكمه واني لم اركب متن الشطط بموافقتي لرأيه فبماذا تجيب

قلت قطعت جهيزة قول كل خطيب

وكنت في الحقيقة متحيرًا غاية العجب مما رأيته لانني كنت ابعد الناس عن

الاعتقاد بصحة مذهب ديفي وبعد ان فكرت في الامر برهة قلت في نفسي لمَ لا يجوز ان تكون التربة التي نحن فيها ليست كغيرها وما المانع من ان تكون لها احوال خصوصية من حيثية التركيب بحيث لا تنفذ منها الحرارة على اني لم ابدِ ذلك الفكر خوفًا من ان يعده الاستاذ من قبيل المكابرة والمقاومة في الحق الواضح

ثم قلت لهُ اني معتقد كل الاعتقاد بصدق حسابك فاسمح لي ان ابني عليه حكمًا يهمنا النظر في امره

قال قل ما بدا لك

قلت ان نصف قطر الارض في المنطقة التي نحن فيها منطقة ايسلاندا يبلغ نيفًا وسبعة ملايين قدم

قال سبعة ملايين وستة وثلاثين الفًا وبضع مئات

قلت قل سبعة الاف كيلومتر

قال ايهِ

قلت من اصل السبعة الاف كيلو متر تجاوزنا خمسة وثلاثين

قال نعم

قلت بعد ان سرنا مائة وستة وثمانين كيلومترًا افقيًا

قال نعم

قلت وذلك في مدى عشرين يومًا

قال ايهِ

قلت فالمسافة التي قطعناها ليست الا جزءًا من مائتي جزء من نصف قطر الارض فاذا استمررنا على المسير بهذه الكيفية لا نبلغ مركز الارض الا بعد اربعة الاف يوم اي احدى عشرة سنة تقريبًا

فاطرق الاستاذ واحجم عن الجواب

فاردفت كلامي قائلاً وهناك ملحوظ اخر جدير بالالتفات وهو اننا اذا كنا لا

تتعمق فرسخًا الا بعد ان نسير مسافة خمسة فراسخ افقيًا فسنخرج من دائرة الكرة الارضية قبل ان نبلغ مركزها بزمان طويل

فاحتدم الاستاذ غيظاً وقال بحدة شديدة ما هذه القياسات الكاذبة والاستنتاجات الفاسدة والسفسطة العمياء واللجاجة الشنعاء او ما انت الذي كنت قست الطريق التي نحن فيها بالطريق الشرقية وطلبت الرجوع الى ظاهر الارض فما لبثت ان كذبك العيان وليس بعده برهان

قلت بلى

قال ومن اين علمت اننا لا نصل قريبًا الى طريق عمودية تنتهي الى مركز الارض على خط مستقيم على انهُ قد سلك هذه الطريق رجل قبلي وانتهى منها الى قلب الارض وانا سائر على اثره فلا بد لي من ان افوز بالنجاح كما فاز هو من قبلي

قلت ذلك ما ارجوه غير انهُ يجوز لي ....

فقطع كلامي قائلاً لا يجوز لك الا السكوت متى اردت ان تأتي بمثل هذا الهذيان

فعلمت ان عمي على وشك الظهور بمظهره المعهود ووقفت منهُ على حذر ثم بعد ان سكت برهةً نظر اليَّ وقال على اي درجة ترى المانومتر

قلت على درجة عالية جداً

قال ألم ترَ كيف اننا تعودنا بالتدريج استنشاق الهواء الكثيف وانا اناشدك الله يا اكسيل هل تجد نفسك تشكو من هذا الهواء ضررًا

قلت لا اللهمَّ سوى بعض الالم في الاذنين

قال ذلك لا يعباء به ويمكنك ازالة هذا الالم بسرعة التنفس بحيث لا ينحصر الهواء في صدرك طويلاً

وكنت قد آليت على نفسي ان لا اعارض الاستاذ في شيء فقلت اجل واني لواجد لذة في الاقامة في وسط هذا الهواء الكثيف ألا ترى باي قوة ينتقل

فيه الصوت

قال بلى واظن ان الرجل الاصم اذا اقام هنا زمنًا يسيرًا يعاوده السمع

فقلت في نفسي بل اظن ان الرجل الصحيح يصيبه الصم بعد مدة ثم قلت بصوت عالٍ لا بد ان هذه الكثافة لا تزال تزداد شيئًا فشيئًا كلما اقتربنا من مركز الارض

قال نعم ولكن ثقل الاجسام يخف بالتدريج ايضًا فانك لا تجهل ان الثقل ليس الا نتيجة فعل الجاذبية في الاجسام وذلك الفعل يبلغ اشد قوته على سطح الارض ويتلاشى تمامًا في مركزها حيث لا ثقل للاجسام البتة

قلت نعم كما انهُ لا ثقل لها في المنطقة الحارة بين الارض والقمر فهناك الكوكبان يتنازعان الجسم فيبطل فعل الواحد فعل الاخر وفي قلب الارض تتنازع الجسم اشعة الجاذبية المنتشرة حوله واذا كانت كلها متساوية من كل الجهات فتتوازن القوى ويقال اذ ذاك ان الجسم في حالة توازن

فقال ايه

قلت أفما يصير الهواء بقوام الماء اذا استمرت كثافتهُ على الازدياد شيئًا فشيئًا

قال بدون شك وذلك تحت ضغط سبعمائة جلد وعشرة اجلاد

قلت وماذا يكون منهُ وراء ذلك

قال تستمر كثافتهُ على الازدياد بالتدريج

قلت وكيف نتمكن اذ ذاك من التقدم

قال نملأ جيوبنا حصىً لتثقل اجسامنا

قلت لله درك يا عماه فانت فكاك المشاكل وعندك لكل سؤال جواب وكأنما عناك من قال

سله عما شئت فيما شئته　　　وتعجب بعد ذا مما يساق

ووقفت عند هذا الحد من البحث لانني خشيت من ان أنتهي الى وجود

مانع يحول دون الوصول الى مركز الارض فتعاود الاستاذ الحدة
على انه من الامور المقررة ان الهواء اذا بلغ ضغطه بضعة الوف من الاجلاد يتجمد فيصير كالصخر فعلى فرض اننا نجد وسيلة لاجتيازه وهو بقوام الماء بدون ان تتمزق رئاتنا من ثقله فهل من سبيل الى التقدم بعد ان يصير بقوام الجليد غير انني لم ابين للاستاذ هذا الاعتراض ولو فعلت لجاوبني بان سكنوسيم سار قبله ونجح الخ مع انهُ من المعلوم ان البارومتر والمانومتر لم يكونا معروفين في الجيل السادس عشر فكيف تحقق سكنوسيم من وصوله الى قلب الارض
ثم صرفنا بقية النهار في المباحثة والمداولة وكنت اوافق الاستاذ على جميع ارائه واغبط هنسًا على راحة فكره لانهُ لم يكن يكترث بما نحن في صدده ولا يتعب فكره وقلبه في البحث عن العلل والنتائج بل كان يسير خلي البال كيفما ساقته المقادير

الفصل الثامن عشر

بعد قيامنا من المغارة التي كنا فيها اخذت طريقنا تزداد انحدارًا شيئًا فشيئًا حتى صارت اقرب الى العمودية منها الى الافقية فصرنا نتعمق في الغالب مسافة فرسخ او اكثر في اليوم اما التربة فلم تختلف بشي عما كانت عليه في الايام الاخيرة ولذلك اصبح السير في تلك الطريق مملاً فلا مناظر تلهو بها العيون ولا حوادث تساق اليها الاحاديث والحديث ذو شجون

اذا طال الطريق عليك يومًا   وضقت به ولم تطق المسيرا
فشدَّ من الحديث لهُ جيادًا   تكاد من الفروهة ان تطيرا

وكنا نسير في كل يوم اثنتي عشرة ساعة لا يتكلم الواحد منا في اثنائها الا بضع كلمات تدفع اليها الضرورة

فكأننا خرس بدون اشارة   وعلى الاحق جوامد تتحرك

ولم نزل على ذلك اياما عديدة بدون ان يحصل لنا فيها شيءٌ يستحق

الذكر حتى اليوم السابع من شهر اغسطس يوم نحس مستمر لا ازال حتى الان اضطرب لذكره اضطرابًا وارتعش لهولهِ ارتعاشًا

كان ذلك اليوم يوم خميس وكنا قد بلغنا من العمق اثنين وعشرين فرسخًا اي انهُ كان فوق رؤوسنا من الصخور والمدن والبحار ما يبلغ سمكه مائة ونيفًا وثلاثين كيلومترًا وكانت طريقنا في ذلك اليوم قليلة الانحدار فبينما انا سائر في المقدمة وبيدي مصباح من مصابيح رومكورف مرّ ذكر ابنة عمي في خاطري فتأججت في فوادي نيران الاشواق اليها وبقيت ساعة افتكر فيها وفيما عسى ان يحل بها اذا طالت غيبتنا عنها ولما انتبهت لنفسي لم اسمع لصاحبيّ حسًا ولا جرسًا فالتفت الى الوراء فلم اجدهما فقلت لعلي اسرعت في المسير على غير انتباه حتى تواريت عن نظرهما او عرض لهما امر اوقفهما عن المسير فانثنيت راجعًا على عقبي لاتبين خبرهما ولكني سرت نحوًا من نصف ساعة بدون ان اصادفهما فوقفت مرتابًا في امري ثم اخذت اناديهما باعلى صوتي فلم اسمع سوى رجع الصدى وعقبه سكوت مخيف

ففي تلك الساعة داخل نفسي القلق وخامر قلبي الوجل واقشعر بدني لوحدتي في جوف الارض ثم اخذت اسكن جاشي فقلت بصوت عال مهلاً يا اكسيل فليس في الامر ما يوجب القلق فانت على الطريق التي عليها صاحباك ولا خوف عليك من ان تضل اذ لا طريق سواها فاذا استمررت على المسير تلحق بهما بدون شك لانك متأكد انك كنت سائرًا امامهما فهدأ روعي بعد ذلك ثم سرت نصف ساعة ووقفت منصتًا علي اسمع نداء او حسيسًا والهواء على ذلك العمق ينقل الصوت بقوة غريبة لشدة كثافته فلم اسمع شيئًا على الاطلاق مع ان المسافة التي قطعتها ايابًا منذ انتبهت لنفسي تزيد على المسافة التي قطعتها ذهابًا منذ وقع نظري على صاحبيّ آخر مرة فراجعني اذ ذاك الخوف واشتد خفقان قلبي حتى صرت اسمع ضرباته المتداركة باذني وكنت لا اريد ان اقتنع

باني تهت عن الطريق فقلت لربما ان عمي وهنساً لما افتقداني ولم يجداني رجعا على عقبهما كما فعلت انا ظناً منهما اني متأخر ورآءهما وإن كان الامر كذلك فسادركهما عن قريب قلت ذلك وانا غير موقن بصحة ظني على اني اخذت اعدو عدواً غير مبالٍ بالصخور المتذربة التي كنت اسير عليها ولا شاعر بتعب المسير وفي اثناء ذلك تذكرت جدول هنس زاعماً اني سائر وإياه غير ملتفت الى انقطاع خرير المياه فحمدت الله الذي الهم الاستاذ ان يطلقه على طريقنا واطمأن بالي لعلمي اني اذا سايرته لا بد ان اهتدي الى محل وجود رفيقيّ ثم تنبهت الى اني غير سامع صوت خريرهِ فوقفت مضطرباً ونظرت الى الارض فلم ارَ للماء من اثر فطارت اذ ذاك نفسي شعاعاً وانخلع فؤادي وجلاً وارتياعاً وبقيت برهة تخنبط في رأسي الافكار اختباط الامواج في ابحار فلا اقدر على جمع شتاتها ولما هدأ اضطرابي بعض الهدو تعقلت الامر فعلمت اني بينما كنت سائراً امام صاحبي غارقاً في ابحر افكاري دخلت شقاً يتفرع من الدهليز ولم انتبه لانقطاع خرير الماء وبقي الجدول سائراً مع صاحبيّ على الفرع الاخر الذي لا بد ان تكون ارضه اشد انحداراً من هذا

ففي تلك الساعة ارهقني الفزع وغمرني الجزع وادركني الوله والهلوع وغرقت في بحرين من الافكار والدموع وايقنت اني هالك لا محالة واستولى علي اليأس وما ادراك ما اليأس هو عامل لا يقوم القلم بحق وصفه ولا تساعد اللغات البشرية على التعبير عن تاثيره في النفوس فلا يدركه الانسان الا اذا وقع فيه عامل يخنق النفس خنقاً ويسحق القلب سحقاً يضيق فسيح الارض في عين الانسان ويبدل بالسواد سائر الالوان وكفاه وصفاً ان الموت لولاه ما كان مرًّا

ألا لا حبذا ساعات يأس   تشيب ببأس روعتها الجنينا
وما يرجو ابن آدم من حياة   اذا ما اليأس كان لهُ قرينا

ثم اردت ان افتكر فيمن تركت على سطح الارض فلم يمكني جمع افكاري



ذكرت الله فانتصبت جاثيًا على ركبتي (صفحة ١٢٤)

المتضعضعة فمر خيال ابنة عمي ورسم بيته ومدينة همبرج امام عينيَّ مرور الاشباح في الحلم ثم مرت في ذهني حوادث السفر والمناظر التي شاهدناها منذ خروجنا من همبرج حتى دخولنا في جوف الارض فرأيت مدينة كوبنهاغن وقبة كنيستها وريكياويك والموسيو فريدر يكسون وقس استابي وجبل اسنيفل والاعصار ثم رجعت الى نفسي وتاملت الوحدة التي انا فيها والميتة التي قضي علي بها والروح عزيزة فانطرحت على الارض واخذت ابكي بكاء الاطفال وقد عظم الامر في عيني ثم صحت من فواد جريح قائلاً لك الله يا عمي على ما فعلت

تلك هي الجملة الوحيدة التي لفظتها شفتاي حقًا على الاستاذ ورحمة به لاني كما كنت اعلم انهُ هو السبب في كل هذه البلايا كنت معتقدًا انهُ سيقاسي من فقدي امرّ العذاب

وبعد ان بقيت ساعة اذرف دموعًا سخينة ذكرت الله فانتصبت جاثيًا على ركبتي وتضرعت اليه تعالى بنفس حزينة وقلب منسحق مستغيثًا بلطفه متمسكًا باهداب رحمته العميمة راجيًا من كرمه ان يرمقني بعين الرافة وما فرغت من الصلاة حتى سكن جاشي بعض السكون فنظرت الى حالتي بتانٍ وهدو بال واخذت اتبصر في الامر علي اجد مخرجًا من تلك الورطة الوبيلة التي كنت فيها وكان معي من الزاد مؤونة ثلاثة ايام ومن الماء ملء قربتي فقلت في نفسي اذا اهتديت الى جدول هنس فلي بعض الامل بالاجتماع برفيقي بل ربما امكنني الرجوع الى سطح الارض فانتعش فوادي املاً بالنجاة وعجبت كيف اني لم افطن الى هذا الامر قبل ذاك الوقت ثم اخذت اجد السير صعودًا لاني قلت في نفسي ان الطريق التي انا عليها تنتهي بدون شك الى الدهليز الذي يجري عليه الجدول فاخرج من حيث دخلت وصرت في اثناء رجوعي اتفرس في صخور الجدران على امل ان اتذكر منها شيئًا مما رأيته في اثناء ذهابي غير اني لم ارَ علامة او سمة خصوصية يعول عليها وكذلك لم اجد على الارض اثرًا لقدميَّ لانها كلها من الصخور الحبية فلا تؤثر فيها النعل

فبعد ان سرت نحوًا من نصف ساعة انتهيت الى صخر عظيم قائم في وجه السرداب فلما تحققت ان لا منفذ منه اضمحل املي الاخير وعاودني القنوط وكان قد اعياني التعب واثرت فيَّ الانفعالات النفسانية تأثيرًا شديدًا فسقطت على الارض كمن اصيب بصاعقة ولتمام النحس سقط المصباح من يدي على صخر متذرب فاختل الجهاز الكهربائي واخذ نوره يخف شيئًا فشيئًا وجيوش الظلام تقترب مني بالتدريج راسمةً على الجدران خيالات متنقلة اشكالاً متنوعة

وبعد دقيقة كانت عندي كدقيقة النزاع اشرق النور مرة اخرى كما يصحو الميت، قبيل ان يسلم الروح ثم انطفاء تماماً وبقيت وحيداً تحت جنح الظلام الحالك

تقلبني الافكار شرقاً ومغرباً　　على انني لم انتقل من مكانيا
كما يذهب الظل اليمين ويسرةً　　وذو الظل في مثواه ما زال باقيا

الفصل التاسع عشر

مهما اشتد الظلام على ظاهر الارض فلا ينقطع النور بالمرة بل يبقى منهُ بعض اشعة خفيفة ضعيفة تختلط بالظلماء اختلاط الخمر بالماء فتستانس بها العين بل ربما تنتهي بالالفة الى مشاهدة الاشياء وتمييزها

اما في جوف الارض فالظلام صرف لا تألفه العين ابداً ولذلك لما احاطت بي كتائبه السود من كل جانب ضاقت في وجهي المذاهب اذ اصبحت كالاعمى سواء علي افتحت عيني ام اغمضتها وللظلام هيبة ووقار فضاع عقلي وطاش لبي واخذني الرعب فصرخت من صميم فؤادي صرخة هائلة وقمت امشي بقدم الاخنب ويداي ممدودتان امامي لاتقاء الصخور ارفع احداها واخفض الاخرى كمن يطلب السباحة في الهواء ثم خيل لي ان طوائف الجن سائرة في طلبي والمردة معترضة في طريقي والخوف يصور للانسان اغرب الغرائب ويقرب لهُ المستحيلات كما قيل:

من ذا يلوم المرء في روعه　　فالروع ذهاب بعقل الرجال
كم مستحيل ردّه جائزاً　　وجائز عاد به كالمحال

فاشتد خفقان قلبي واضطراب اعصابي واخذت اعدو على غير هدى خابطاً في ارض الدهليز خبط عشواء وانا اصرخ من شدة الخوف واليأس صراخ من طار صوابه او كثر عذابه ولم ازل بين سقوط وقيام وهبوط واصطدام وقد تهشم وجهي وتمزق جسمي حتى كلت قواي ووهن عزمي فسقطت على الارض فاقد الشعور غائباً عن الهدى

ولما افقت من غشيتي بعد مدة من الزمن لا اعلم مقدارها وجدت نفسي مضرجاً بدمي وقد انحطت قواي بسبب النزيف الذي اصابني ثم اخذت احرك اعضائي الواحد بعد الاخر فتبينت انها سليمة من الكسر فحمدت الله على ذلك لكن لم يزل موملاً في الحياة وما ذاك الالان الضعف الذي كنت فيه ضرب على ذهني حجاباً فلم اتذكر في بادئ الامر اني هالك على اي حال

وربما رجعت اليَّ قواي العقلية حزنت على بقائي في قيد الحياة وتمنيت لو اني قضيت نحبي في اثناء غشيتي وكفيت عذاب النزاع الذي ينتظرني

وفي ذاك الوقت شعرت بألم الرضوض التي بجسمي فجررت نفسي بكل عناء حتى الحائط واتكأت عليه وقد عاودني الضعف وانحطاط القوى حتى كدت افقد الشعور ثانيةً وبينما انا على تلك الحالة واذا بصوت شديد كقصف الرعد قد طرق آذاني فجلست منصتاً وبقيت برهة اسمع دويه يتناقص شيئاً فشيئاً حتى انقطع بالكلية فعجبت من ذلك الحادث واخذت افتكر في امره فترجح عندي انهُ ناشيء عن سقوط طبقة من الصخور المجاورة او عن تفرقع مسبب من اشتعال غاز من الغازات السريعة الالتهاب ثم بقيت نحواً من ربع ساعة مصغياً اتسمع الصوت ثانيةً فلم اسمع شيئاً واذ ذاك اسندت ظهري الى الحائط فجاءَت اذني على سطحه اتفاقاً فخيل لي اني اسمع كلاماً خفياً غير مفهوم لبعد الصوت فارتعشت شديداً ثم خفت من ان يكون ذلك رجع صدى انيني او وهماً ناتجاً عن ضعف قواي فامسكت عن التنفس ونبهت افكاري وبقيت برهة منصتاً فتحقق لي اني اسمع على بعد كلاماً همساً غير اني لشدة ضعفي لم افهم شيئاً من ذلك الكلام وحينئذٍ انتقلت الى محل غير الذي كنت فيه فازداد الصوت وضوحاً وسمعت باذني كلمة (واحسرتاه) ملفوظة بصوت يفتت الاكباد ويذيب الجماد فاغرورقت اذ ذاك عيناي بالدموع وعرتني هزة الهلوع ولم يعد عندي شك في ان ذلك الصوت صوت عمي فقلت في نفسي اذا كنت اسمع صوته من هذا

المحل فلا بد ان صوتي يصل اليه كذلك حيث هو وفي الحال ادنيت فمي من الحائط وناديته باعلى صوتي ثم صبرت دقيقة فلم اسمع جوابًا فقلت لعل الصوت الذي كنت سمعته آتٍ من نفس السرداب الذي انا فيه لا من وراء الجدار اذ ان الصوت لا ينفذ منه مهما كان شديدًا وعلمت ان عمي على بعد شاسع مني وان وصول صوته الى ذاك البعد ناشيء عن كيفية تكوين السرداب وقابلية الصخر المكون هو منه لنقل الصوت فتذكرت في الوقت نفسه ان هذا الحادث الغريب يشاهد في دهليز كنيسة ماري بطرس بلندره ولا سيما في مغائر جزيرة صقلية العجيبة وفي اثناء ذلك قرع آذاني الصوت الذي كنت سمعته اولاً وفهمت هذه الكلمات (واحسرتاه عليك يا آكسيل اين انت يا آكسيل) ثم تلاها دوي شديد شبيه بالصوت الذي سمعته في باديء الامر فجعلت فمي على مساواة سطح الحائط ووجهت الصوت الى اسفل الدهليز وصرخت من كل قوتي قائلاً يا عماه ليدنبروك

ثم وقفت منصتًا وقلبي يخفق سريعًا لاني كنت اعلم ان الصوت لا يصل الى عمي الا اذا كان باقيًا في المحل الذي اتاني منه صوته وبعد دقيقة خلتها دهرًا طرق سمعي هذه الكلمات

أهذا انت يا آكسيل

قلت نعم نعم

قال اين انت يا بني

قا… تائه في حالك الظلام



اهدا انت يا اكسيل (صفحة ١٢٧)

قال واين مصباحك

. . . . .

قلت انطفأ

. . . .

قال والجدول

. . .

قلت اختفى

قال تشجع ولا تياس

قلت امهلني قليلاً حتى يسكن روعي فقد فقدت القوى وابقَ مكانك ثم استمر على مخاطبتي

قال لا تتعب نفسك في المجاوبة واسمع ما اقول اننا بحثنا عنك في الدهليز صعوداً ونزولاً فلم نقف لك على اثر وقد بكيتك يا ولدي بدموع سخينة وآليت على نفسي ان لا ابرح من هذه الارض قبل ان اقف على حقيقة خبرك ولما ترجح عندي اخيراً انك لم تزل ملازماً مجرى الجدول فقد سايرته مع هنس حتى مصبه ونحن نطلق عيارات نارية حيناً بعد حين لعلك تسمعها فتهتدي بصوتها الينا اما الان وقد علمنا بمحل وجودك فقد زال الخوف والحمد لله وعما قليل اجتمع بك واضمك الى صدري ولا اعود افارقك خطوة واحدة

ثم قال نحن الان في مغارة فسيحة جداً تنتهي اليها كل الدهاليز المجاورة بل اظن ان كل الشقوق التي تتخلل القشرة الارضية تتفرع منها ولست اعلم في اي واحد منها انت الان وان اخذت ابحث عنك فيها جميعاً فلربما لا اهتدي اليك الا بعد ايام فهل عندك من الزاد والماء مؤونة كافية

. . . .

قلت خاوي الوطاب خالي الجراب لا زاد ولا ماء ولا جعبة ولا سقاء لاني وانا سائر في الشق الذي انا فيه يناجيني الاسى واناجيه واشكو ما شكته قوم موسى من التيه عثرت رجلاي باحد الصخور فسقطت على الارض فاقد الشعور واذ ذاك تمزق السقاء وسال الماء على الحصباء وتقطعت الجعبة أرباً وتفرق الزاد ايدي سبا ومنذ تهت عن الطريق حتى الان لا اكلت ولا شربت

قال اذن لا بد من حضورك انت الينا فقم وامش على قدر امكانك ولا تجزع فنحن في انتظارك

ولا تكُ من وقع الحوادث جازعًا   فمن غالب الاهوال لا بد يغلبُ

. . . . .

قلت أيمكنك ان تخبرني عن المسافة التي بيني وبينك

. . . . .

قال ذلك امر سهل معرفته سأناديك باسمك وبيدي الكرونومتر فتجاوبني حالما يصلك الصوت فالوقت الذي يمضي بين ندائي وجوابك يدلنا على المسافة التي بيني وبينك

. . . . .

قلت افعل . ثم الصقت اذني بالحائط وامسكت عن التنفس وبعد برهة سمعت لفظة (اكسيل) فراجعت الكلمة حالاً وانتظرت الجواب من الاستاذ وبعد دقيقة قال مضى بين الكلامين اربعون ثانية فالمسافة التي بيننا يقطعها الصوت اذن في عشرين ثانية واذ كان الصوت يسير مسافة الف قدم وعشرين قدمًا في الثانية فالمسافة التي بيننا عشرون الفًا واربعمائة قدم

قلت أيصدق هذا القياس على الهواء الكثيف الذي نحن فيه

. . . . .

قال نعم فان كثافة الهواء تزيد الصوت قوةً لا سرعةً

. . . . .

قلت ها انا ذا سائر يا عماه فاستودعك الله لاني اذا ابتعدت عن هذا المحل فلا يعود في امكاننا ان نتكالم ولربما لا اجد سبيلاً الى الوصول اليك

. . . . .

قال لا تخف فان طريقك ستوصلك الينا اذ لو كان بيننا حاجز لما كان

الصوت يصل مني اليك

فقمت وقد احيى الامل قواي حتى نسيت اوجاعي وتذكرت قول من قال

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم حمدت الله اذ ساقني الى تلك النقطة التي ربما كانت وحدها في الكيفية المناسبة لتوصيل الصوت على ذلك البعد الشاسع فلو تجاوزتها او وقفت دونها لخفي امري على عمي وبقيت في مكاني حتى تدركني المنية

متى كان في دور الحياة بقية تيسرت الاسباب وانفرج الضيق

وبعد ان سرت قليلاً صارت طريقي شديدة الانحدار ولم البث ان رأيت الارض تسير بي وصرت انزل منسحباً لا اتمالك نفسي وبعد قليل سقطت من محل عالٍ سقطة عمودية واخذت اتدحرج بين الصخور التي سقطت معي كواحد منها واخيراً وقعت على ام رأسي وغبت عن الصواب

الفصل العشرون

لا بد للسائح من ان يرى ما لم يكن يخطر في فكره

لما عاودني الشعور وجدت نفسي في كهف به قليل من النور مضطجعاً على وسادة من امتعة السفر وعمي جالس بالقرب مني يرقب على وجهي دلائل الحياة فعند اول حركة ابديتها اخذ يدي بيديه وحالما فتحت عيني صرخ بفرح شديد قائلاً حيٌ حيٌ نحمدك يا رب

فقلت بصوت ضعيف لم يتجاوز حد الانين

حي ولكنّ الوفاة قريبة والموت غاية ما اروم واطلبُ
من كان صفو حياته متكدراً متلي فعنها ليس فيها يرغبُ

فضمني اذ ذاك الى صدره وعيناه مغرورقتان بالدموع وقال



لما عاود بي الشعور وجدت نسي في كهف (صفحة ١٢١)

لا تأس من وقع الصروف فكل ما　　بلقاه من يبغي النجاح محبب
واصبر بنيَّ ولا تضق ذرعًا فما　　تنفى المتاعب عن سوى من يتعب

وقد نجوت من المكاره فلا تكره الحياة ولا تقنط من روح الله قال ذلك بصوت يشف عن محبة وحنو عظيمين ولولا شدة الانفعالات والعوامل التي اثرت فيه لما اظهر شيئًا من تلك العواطف التي يكنها فوأده تحت ظواهر الشراسة

وفي ذاك الوقت حضر هنس وقراء علينا السلام بوجه متهلل فرحًا فرددته عليه ببشاشة ثم قلت للاستاذ اخبرني في اي محل نحن الان

فقال مهلاً يا ولدي لانك في حاجة الى الراحة فنم الان ولا تشغل افكارك بشيء واذا جاء الغد اخبرتك بما تريد

قلت قل لي على الاقل في اي يوم نحن وفي اي ساعة

قال نحن الان في الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم الحادي عشر من شهر اغسطس ولست اسمح لك بان تسألني عن شيء قبل اليوم الثاني عشر من الشهر الجاري

وفي الحقيقة كنت شديد الضعف منحط القوى لما كابدته في زمن التيه من ملازمة السهر ومساورة الفكر ووحشة الظلمة ورضوض الصخور وطول المشي وقد حل بي التعب واطبق عليَّ الأين اطباقاً فاغمض اجفاني بالرغم عني فنمت وفكري الاخيران مدة وحدتي كانت اربعة ايام كاملة

ولما استيقظت من نومي في اليوم التالي رأيت نفسي مرتاحاً فجلست على فراشي ثم انعمت النظر في الكهف الذي كنت فيه فوجدته بديع الجمال مزداناً بالعمد الطبيعية وارضه مكسوة برمل دقيق لماع ولم يكن فيه لا مشاعل ولا مصابيح وهو مع ذلك منار بنور خفيف اشبه بالسير في الليلة القمراء فعجبت من ذلك الامر وبعد تدقيق النظر تبين لي ان ذلك النور آتٍ من الخارج وهو على باب الكهف اشد منهُ في بقية جوانبه وفي الوقت نفسه سمعت صوتاً من الخارج كهزيز الريح وهديراً خفيفاً مستمراً اشبه بصوت اندفاق الامواج على الرمال فحسبت نفسي في بادئ الامر اني في حلم ثم خشيت من ان يكون ذلك رؤيا وهمية ناتجة عن اصابة الدماغ حين سقوطي واخذت اغالط نفسي واكذب حسي استبعاداً لوجود مثل هاته الظواهر في باطن الارض غير اني كنت ارى ما ارى جلياً واسمع ما اسمع صريحاً فلم اجد للمغالطة سبيلاً ولا للتكذيب مجالا

وليس يصح في الاذهان شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

وقلت في نفسي ان النور الذي اراه ليس الا نور النهار والاصوات التي

اسمعها ليست الا هزيز الريح وهدير البحر فاما ان دماغي مصاب واما ان عمي عاد الى ظاهر الارض

وبينما انا افكر في الامر وقد اخذتني الحيرة دخل عليَّ الاستاذ بوجه باش وقال صباح الخير يا اكسيل اراهن على انك اصبحت نشيطاً معافىً

فقلت اما الجسم فكما تقول

قال لم يكن عندي شك في ذلك لانك نمت طول الليل نوماً هنيئاً وقد سهرت عليك انا وهنس بالمناوبة ورأينا تقدمك الى الصحة رأي العين

قلت في الواقع ارى نفسي قوياً نشيطاً وان شئت على ذلك برهاناً فمر بالطعام لتمتاز الصحة عن السقام

فتبسم الاستاذ وقال لا بأس من ذلك يا اكسيل فقد فارقتك الحمى وبرئت جروحك والفضل في ذلك لهنس الذي عالجها بمرهم فعال لا يعرف سر تركيبه الا الايسلانديون

ثم اتاني بشيء من الطعام فالتهمته التهاماً غير مكترث بنصائحه ومواعظه وبعد ذلك استعلمت منهُ عما حصل لي بعد سقوطي وكيف اهتدى الى المحل الذي سقطت فيه فاخبرني ان الدهليز الذي جئت منهُ ينتهي الى المغارة بانحدار شديد جداً وان سقوطي كان مع صخر كبير سار بي انسحاباً كأنهُ عربة بلا عجل او سفينة بلا بحر حتى انتهى الى المحل الذي كان فيه عمي والدليل فاستقر هنالك فحملاني صريعاً مضرجاً بالدماء ثم استطرد الكلام قائلاً ان نجاتك من تلك السقطة يا اكسيل لمن اعجب العجائب فاناشدك الله ان لا عدت تفارقني خطوة واحدة مخافة ان تنقطع عني ثانيةً فلا نجتمع الا اذا شابت الغربان وآب القارظان

فعجبت من كلامه لاني كنت رجحت في نفسي اننا انتهينا من تلك الرحلة وعدنا الى ظاهر الارض واستبعدت اصابة دماغي وخلل حواسي ولكن من

كلام عمي قوي عندي الاحتمال البعيد وضعف الظرف الراجح بل حكمت اخيرًا باني جننت وان جميع ما اتصوره انما هو محض اوهام ثم قلت اذا كان الامر كذلك فجرمي بجنون نفسي وهم ايضًا ومكثت برهة على تلك الحال اردد عقلي بين الصحة والاختلال ولما رأى عمي علائم الاندهاش علي وجهي قال ما بالك يا اكسيل

قلت اصدقني أكل اعضائي سليمة

قال نعم ويمكنك ان تنتقدها بنفسك

قلت ورأسي

قال ورأسك لم يزل قائمًا في محله بين كتفيك وهو الان في غنىً عن الرفائد التي عصبته بها لان جروحه خفيفة وقد برئت تمامًا

قلت انا خائف من ان يكون الدماغ مختلاً

قال ماذا يحملك على هذا الظن

قلت ألسنا الان على وجه الارض

قال نحن الان في جوفها على عمق اربعة وعشرين فرسخًا من سطح البحر

قلت خوفي اذن في محله لاني ارى نور النهار بعيني واسمع هدير البحر وهزيز الريح باذني

فضحك الاستاذ حتى كاد يستلقي على قفاه ثم قال ان كانت هذه اعراض الجنون فكلنا مجانين

فاطمأن خاطري عند سماعي هاته الجملة وايقنت بالمعلول وان لم افهم العلة ثم قلت اخبرني اذن ما هي اسباب هذه الظواهر

قال لا يمكنني ان اخبرك عن شيء ولكنك سترى بنفسك ما رأيت انا وتدرك من اسبابه بقدر ما ادركت على اني اذكرك بما قلته لك قبلاً من ان العلم لم يزل في مهد الطفولية

فتحرك فيَّ الميل عند سماعي كلام الاستاذ الى الوقوف على حقيقة الامر فانتصبت

على قدميّ وهممت بالخروج فقبض على ذراعي قائلاً ماذا تفعل يا آكسيل الا ترى في اي حالة انت من الضعف فأقم في مكانك ولا تعرض نفسك للريح

قلت اي ريح أهذا الصوت هزيز ريح حقيقية

قال نعم وهي شديدة فلا تعرض نفسك لها لئلا تلحق بك الاذى

قلت وحياتك يا عماه لم يعد بي شيء من الالم وقد رجعت الى قواي فلا تخشَ عليّ بأساً

قال صبراً يا ولدي فاني اخشى عليك من النكاس فنضطر الى الاقامة هنا اياماً ولربما لا تبقى الريح مناسبة لرحلتنا

قلت واي دخل للريح في رحلتنا

قال لو كانت سفينتنا بخارية لما كان سفرنا يتوقف على مناسبة الريح ولكنها شراعية ولذلك لا يمكننا ركوب البحر الا اذا كانت الريح مناسبة لها فاصبر اذن يا اكسيل الى الغد حتى يتم شفاك

فاستغربت هذا الكلام غاية الاستغراب لان اسم السفينة في باطن الارض اغرب من اسم الخيل على ظهر البحر ولم استطع الصبر عن الخروج رغبة في الوقوف على ما في خارج المغارة فاكثرت الالحاح على الاستاذ لعلهُ يأذن لي بالخروج ولا يضطرني لعقوقه بمخالفة امره فعلم ان اكراهي على الاقامة مع ما انا عليه من قلة الصبر يضر بي اكثر من تعريضي للهواء فسمح لي اذ ذاك بالخروج متحفظاً من البرد فلبست ثيابي على عجل وخرجت ملتفاً بعباءة من الاعبية التي كنت راقداً عليها

الفصل الحادي والعشرون

ومن يعتد ملازمة الدياجي يرعه النور اول ما يراهُ

من طول تقلب طرفي في الظلام وتعوده على مصاحبة الغياهب صار لا



وفي وسطها بحر لجي عظيم (صفحة ١٢٧)

يقوى على تحمل الضوء ولذلك لما خرجت من الكهف وابصرت عيناي النور المنتشر خارجه انكرتاه فغمضتها دقيقة ولما امكنني فتحها رأيت نفسي في مغارة لا كالمغائر جوانبها متوارية وراء الافق وفي وسطها بحر لجيّ عظيم يمتد من باب الكهف الى حيث لا يعلم الا الله وشاطئه مؤلف من رمل دقيق ذهبي اللون مرصع بالاصداف والابواق الصغيرة التي عاشت فيها اقدم الحيوانات الارضية

كأنها سحبٌ رقت الاصيل بدت او انجم طلعت في اوسط الشفق

يحـالها الطرف تحجيلاً بصافنـةٍ ... او المجرة لولا صبغـة الزرقِ

والمغارة مستنيرة بظواهر كهربائية يفوق نورها نور القمر ليلة تمه بهجةً وصفاء وحسنًا وازدهاءً الا انهُ اقل من نور الشمس سطوعًا وليس فيه شيء من الحرارة فهو اشبه شيء بنور الشفق القطبي اما سقفها فمحجوب بالغيوم الكثيفة المتلبدة في سمائها على علو خمسة اميال او اكثر وما بلغ الغيم فيهـا هذا الارتفاع المنكر على سطح الارض الا لشدة كثافة هوائها

فلما شاهدت تلك المناظر الباهرة ووقفت على تلك المظاهر الظاهرة اخذني العجب ووقفت مندهشاً مذهولاً انظر تارة الى النور وطوراً الى الماء ومرة الى الافق واخرى الى السماء وكانت الريح تمر على سطح المياه فتثير عنها بعض الزبد وتنثره على وجهي

اما الاستاذ فكان واقفًا بجانبي ينظر اليَّ باسماً نظرة الفائز الظافر وبعد برهة قال لي ذهب بعض الانكليز الى ان الارض جوفاء والهواء في جوفها منير بسبب شدة الضغط وفي داخلها كوكبان يدوران حول مركزها كما يدور القمر حول سطحها وهما بلوتون اله الجحيم في زعم اليونان وزوجته بروزربين ولكون هذا المذهب مبنياً على الخرافات اليونانية احله القوم محلها غير انهُ قد اتضح لك الان يا اكسيل ان صاحبه قد اصاب من بعض الوجوه كما اتضح لك فساد مذهب القائلين بالحرارة المركزية فساداً تاماً من كل الوجوه وقد تكون بعض القضايا الخرافية اقرب الى الحقيقة من القواعد العلمية

قلت والله ياعماه اني حائر الفكر ذاهل العقل مندهش البصر فكأنني في حلم ولولا انك شريكي فيما ارى لكذبت عيني تكذيبًا

قال لا تكذب عينيك ولا اذنيك فان كل ما تراه وتسمعهُ حقيقي واقع فعلاً فالبحر الذي امامك هو بحر ليدنبروك دعوته باسمي ولا اخاف المنـازعة والارض التي نحن فيها هي القارة الجديدة التي تسدست بها القارات الخمس

ولربما كانت اكبرها جميعاً

قلت احسنت في تسميتها قارة فانها تكبر والله ان يطلق عليها اسم مغارة

قال اي وربك يا اكسيل فان اعظم مغارة على سطح الارض هي مغارة الموث في ولاية كينتوكي من الولايات الامركانية المتحدة التي يبلغ علو سقفها خمسمائة قدم وطولها نحو خمسة وعشرين ميلاً وفي وسطها بحيرة لم يسبر غورها حتى الان ولكن مهما عظم خطرها فبون بعيد ما بينها وبين التي نحن فيها وشتان بين بحيرتها والبحر العظيم الممتد امام اعيننا

قلت وأنّى لمغارة الموث هذا النور الباهر وهذه الغيوم السائرة فوق رؤوسنا التي ما تجزأت واحدة منها الا وومض البرق من بين اجزائها فوالله اني لواجد في نفسي حاسات لا اقدر على التعبير عنها

فما الكنّ جاش الكلام بصدره فتمتم عنه اذ ابى عن تمامه
باكثر مني لكنةً وفهاهةً واعجز عن تصريحه بمرامه

فكأنني انتقلت الى كوكب غير الارض كزحل او المشتري فانكرت طبيعتي الارضية ظواهره المدهشة

قال لا عجب يا اكسيل ان لم تجد كلامًا يعبر عن حاساتك فان اللغات الارضية انما تشتمل على ما يحتاج اليه اهل ظاهر الارض من الكلام للتعبير عن افكارهم والوجدانيات المنتزعة مما يقع تحت انظارهم والعالم الجديد الذي نحن فيه يحدث في الانسان وجدانيات جديدة فهو يحتاج الى لغة جديدة

ثم اخذت افتكر في كيفية تكوين تلك المغارة العجيبة فلم اجد لها علة الا برود القشرة الارضية بعد ان كانت ملتهبة غير ان الشقوق العديدة التي تتفرع منها الى سطح الارض تدفع الظن الى ان المواد البركانية كانت تنقذف منها في الادوار الاولى اما بسبب الحرارة الداخلية على المذهب المشهور واما بسبب اتحاد الهواء والماء فيها ببعض المعادن على مذهب ديفي والاستاذ فتنشرها

البراكين على وجه الارض حيث تكونت جبالاً ولي كاماً وجزائر فاتسعت مساحتها بقدر ما فقدت من تربتها

وبعد ان بقيت ساعة اتأمل في غرائب الطبيعة وعجائبها قال لي الاستاذ كيف ترى صحتك يا اكسيل

قلت غاية في الجودة ولولا انك ذكرتني بسوالك هذا اني كنت طريح الفراش في هذا الصباح لما تذكرت ذلك من نفسي

الهى التعجب انساني وأنساني ما كان قرَّح اعاني واعياني
والبحث هاج شجوني للعلا فانا من بعد ضعف شجاني رهن اشجاني

قال هذه نتيجة تأثير المناظر الغريبة التي رأيتها على غير موعد وفعل تغيير الهواء فهل لك في التجول ساعةً على هذا الشاطئ

قلت لا شيء احب اليَّ من ذلك

ثم اخذنا نتمشى الهوينا على رمال لم تطأها من قبل رجل رجل ولم يرَها انسان انسان وكان البحر عن يميننا تتلاطم فيه الامواج والريح تأتينا من مائه الملح بليلة والنسائم تتهادى نحونا فتهدينا الصحة وهي عليلة وعن شمالنا صخور هائلة متراكمة فوق بعضها كانها اطلال قلعة عظيمة او رسوم ابراج قديمة تنحدر منها جداول المياه شلالات مزبدة كانها حبال من لؤلؤ او عمد من لجين ولبعضها هدير مخيف يصم الآذان وللبعض الآخر خرير لطيف كنغم الشجي الولهان ومن جملتها رفيقنا الامين جدول هنس وهو يجري الى مصبه على سطح قليل الانحدار غير متردد في مسيره ولا محتار فكانه وجد على تلك الحال منذ تكون العالم فلما ابصرته حييته بالسلام ورشفت من مائه البارد ملء راحتي وناديته

ما عشت اوليك الثناء ألم تكن يا ماء روحي في المسير وراحتي
لفراقك التهب الفواد فهــا انا احسو لاطفئــه فأملأ راحتي

وبعد ان سرنا قيد ميل اشرفنا على غيضة كثيرة الاشجار واشجارها كثيفة

الاغصان وهي على شكل مظلات مستديرة القباب استدارة هندسية كأنما خطت بالبيكار غير ان اغصانها ثابتة لا تميل مع الريح فكأنها ارز متحجر فاسرعنا في المسير نحوها وانا افتكر فيما عسى ان تكون اذ لم اذكر نوعًا يشبهها منظرًا بين المائتي الف نوع المعروفة من انواع النبات

على اني لما اقتربت منها وجدت نفسي امام غيضة من الفطر الابيض فانتقلت من الحيرة الى العجب الشديد لان الفطر وهو ضرب من الكمأة لا يبلغ علوه على سطح الارض الا بضع اصابع وهو هناك اشجار عظيمة لا ينقص ارتفاع اقصرها عن ثلاثين قدمًا كطول محيط قبتها وقد يتجاوز اعلاها الاربعين وهي مخيمة فوق الارض لا ينفذ منها النور

فبعد ان وقفنا برهة امام تلك الغيضة العجيبة نتأمل في عظمتها دخلنا ارضها واخذنا نجول بين اشجارها الا ان الظلام الحالك والبرد القارس المنتشرين تحت قبابها منعانا من التوغل فيها فقفلنا راجعين الى شاطىء البحر

ثم سرنا ميلًا اخر فوجدنا آجامًا عديدة من النباتات الارضية الحقيرة كالعحلب والسرخس والليكوبردون والسيجيلاريا وهي كثيرة الافنان ضخمة الجذوع باسقة الاغصان يزيد علو بعضها على المائة قدم واوراقها عديمة اللون

وبينما نحن نجوس خلال تلك الاجام ونجول بين اشجارها العظام قال لي الاستاذ اعلم يا آكسيل ان التربة التي نحن عليها الان هي في الحالة التي كان عليها سطح الارض في الدور الكربوني وهذا النبات الذي ينبت اليوم في حدائقنا صغيرًا حقيرًا كان في ذلك الدور شجرًا عظيما كما تراه امامك الا انه لم يكن عديم اللون اذ لم يكن محجوبًا عن نور الشمس فتأمل في هذا الانحطاط العظيم واعلم انه لم يتح لاحد قبلك من علماء النبات ان يرى ما تراه بعينيك وتلمسه بيديك الا اثارًا قائمة في مناجم الفحم الحجري

قلت اجل ولكن كيف ينمو النبات في هذه التربة النارية وهو لا يعيش الا



وجدت نفسي امام غيضة من الفطر الابيض (صفحة ١٤١)

في الاراضي الرسوبية

قال ومن اين علمت ان هذه التربة ليست من الاراضي الرسوبية

قلت أأرض رسوبية على هذا العمق

قال أتجهل ان القشرة الارضية عقب ان خمد لهيبها وبرد اديمها بقيت زمنًا طويلاً بين شخوص وخسوف ترتفع مرة وتهبط اخرى كما تغلي القدر على النار فهذه التربة التي نحن عليها بعد ان كانت على سطح الارض غارت الى حيث هي الآن وانطبقت الارض من فوقها كما ترى

قلت صدقت يا عماه ومن المعلوم ان الفحم الحجري تكون في جوف الارض من الغياض والاجام التي غارت فيها بهذه الكيفية

قال منها ما غار في الارض بهذه الكيفية ايام غليانها ومنها ما جرفه الماء الى الوهاد ثم غطاه السيل بالتراب والصخور والنتيجة واحدة في الحالين

ثم رأيت على الارض عظاماً منثورة ذات اليمين وذات الشمال

تحدثنا عن العصر الخوالي   وتنبئنا بتاريخ الدهورِ
وتنطق بالحقائق وهي صلد   وتُشعر وهي فاقدة الشعورِ

فهرولت نحوها وامعنت النظر فيها فاذا هي بقايا حيوانات هائلة من التي عاشت على سطح الارض قبل الطوفان كالمستودُن والدينوتريوم والميغاتيريوم فنبهت الاستاذ اليها فقال من المستحيل ان تكون هذه العظام آتية من سطح الارض فلا بد ان اصحابها عاشت هنا على شاطئ هذا البحر وقضت حياتها راتعة في ظل هذه الاشجار

ثم رأيت هياكل كاملة من تلك الحيوانات فقلت وهذه الهياكل المحفوظة على تركيبها الطبيعي برهان على ذلك لكن ان صح قولنا فمن المحتمل ان يكون بعض هذه الحيوانات حيًا حتى الان يجول في ظل هذه الغياض المظلمة او وراء هذه الصخور الهائلة

غرائب الكون تترى لا انتهاء لها   وما لها قط ان فكرت احصاء
فقل لمن يدعي ادراك جملتها   حفظت شيئًا وغابت عنك اشياء

ولما مر بفكري احتمال وجود حيوانات من هذا القبيل اقشعر بدني خوفاً واخذت اتطلع الى الجهات الاربع ولكني لم ارَ شيئًا من الكائنات الحية على الاطلاق فاطمأن بالي

وكان قد اثر فيَّ الجوع وانهكني التعب فقفلنا راجعين الى الكهف الذي اتخذناه لنا مأوى ونمت تلك الليلة منشرح الصدر مسروراً ولا عجب فان

الدهليز المظلم الضيق الذي قضينا فيه الايام الماضية كان قد ضيق صدري فاتساع نطاق البصر في المغارة التي انتهينا اليها اوجد في نفسي ذلك الارتياح

RCCR

الفصل الثاني والعشرون

لم تتم مصافحة يد الكرى اجفاني في صباح اليوم الثاني الا وقد وثبت من فراشي نشيطًا معافىً وخرجت من الكهف انزه الطرف بمرأى البحر وكان النسيم لطيفًا يمر على سطح المياه فيلبس ظواهرها سابغات الدروع فشاقني هدو البحر الى الاغتسال ففعلت ثم رجعت الى الكهف طربًا مسرورًا وتناولت الطعام بلذة غريبة وقابلية عجيبة وكان لدى هنس من المال والوقود بقدر ما يشتهي فتمكن من تنويع ما أكلنا في ذلك اليوم وكنا قد عشنا كل المدة الماضية على البقسماط واللحم القديد وبعد الأكل تناولنا القهوة فوجدت لها لذة لم اعهدها فيها من قبل

ثم نظر اليَّ الاستاذ وقال ازفت ساعة المد فقم بنا نراقب فعله في بحر ليدنبروك

قلت كيف ذلك أيبلغ تأثير الشمس والقمر المحل الذي نحن فيه

قال ولماذا لا يبلغه أليست كل الاجسام باجمعها خاضعة لحكم الجاذبية فسترى عما قليل كيف ان مياه هذا البحر الداخلي ترتفع بفعل تلك القوة رغمًا عن شدة ضغط الهواء عليها كما ترتفع مياه الاوقيانوس فقمت وانا اقول

أفي كل يوم حادث باكتشافه يهيج ولوع للعلا وغرامُ
عجبت لمن يلقي العجائب هذهِ اذا هجع النوام كيف ينامُ

ثم قصدنا شاطىء البحر ولم تستقر اقدامنا على الرمال حتى اخذت مياهه في الارتفاع فاخذتني الدهشة وكدت اطير عجبًا وصرخت قائلاً ها قد ابتداء المد يا عماه

قال نعم ويظهر من آثار الزبد المرسومة على هذه الصخور ان الماء يرتفع عادةً نحو عشر اقدام



فساقني هدو البحر الى الاغتسال ففعلت (صفحة ١٤٤)

قلت في الواقع هذا امر عجيب

قال لا بل طبيعي بحت

قلت قل ما شئت يا عماه فاني ارى هذا الامر عجيبًا حتى اني لا اكاد اصدق عينيَّ فبالله هل خطر ببال عاقل وجود اوقيانوس حقيقي في جوف الارض لهُ ما للاوقيانوس الذي على سطحها من مد وجزر وريح وعواصف

قال ولماذا لا يكون ذلك أيوجد سبب طبيعي يمنع من وجوده

قلت من يسلم بان مذهب الحرارة المركزية فاسد لا يستبعد ان يكون في

جوف الارض ابحر وبلاد وجبال واوهاد واغوار وانجاد

قال اجل ولكن غير ماهولة

قلت من اين لنا ان نحكم بذلك ونحن لم نستكشف حتى الان شيئاً يذكر من هذه البلاد الجديدة بل من اين نعلم ان هذا البحر لا يشتمل على انواع من الاسماك انقرضت عن وجه الارض

قال ربما كان ذلك ولكن لحد الان لم نشاهد شيئاً من المخلوقات الحية على الاطلاق

قلت في امكاننا ان نصطنع شباكاً للصيد او خيوطاً ذات صنانير واذ ذاك تتضح لنا حقيقة الامر

قال سوف نفعل ما تقول يا اكسيل اذ لا بد لنا من استكشاف اسرار هذا العالم الجديد واستشفاف مكنوناته

ومن سارت به للحرب خيل   فخير من تقهره الولوجُ

ثم رجعنا الى الكهف ولما استقر بنا المقام قلت للاستاذ في اي نقطة نحن اليوم من الارض فاني ما سألتك عن ذلك حتى الان وانت ولا بد عرفته بواسطة الاتك

قال نحن على عمق سبعة وسبعين ميلاً وعلى بعد سبعمائة وسبعة وسبعين من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي

فاخذت الخارطة وبعد ان القيت النظر عليها قلت اذن نحن الان تحت ارض اسكوتسيا وجبال جربيان الشامخة التي لا تزال قممها الباسقة مكللة بالثلج قائمة فوق رؤوسنا

فتبسم الاستاذ وقال نعم وهي حمل ثقيل ولكن قبة المغارة متينة وقد بناها مهندس الكون على دعائم قوية فلا تخف عليها من السقوط

قلت انا في راحة بال من هذا القبيل ولكن اخبرني هل تأبى لي الان

الرجوع الى ظاهر الارض

فنظر اليَّ نظرة الاستغراب وقال ويحك يا اكسيل كنت اعذرك في مثل هذا السؤآل قبل ان نصل الى ما وصلنا اليه اما وقد رأيت بعينك ما في القارة السادسة من العجائب التي لم تنجلِ لاحد سواك من الناس غير سكنوسيم فمالك ان تسأل هذا السؤآل خصوصاً ونحن حتى الان لم نصادف مانعاً يمنعنا من التقدم فما الذي يكرهنا على الرجوع

قلت لا شيء سوى عدم وجود طريق نسلكها فان الشق الذي لولاه لم نتبطن من الارض شبرًا واحدًا انتهى بنا الى هذه المغارة وليس لنا سواه

قال ما اعجلك بالحكم يا اكسيل فمن اين تعلم اننا لا نجد وراء هذا البحر في البر الثاني شقاً اخر ينتهي الى مركز الارض وهل ان العوامل الطبيعية التي احدثت ذلك الشق في الطبقة العليا من القشرة الارضية غير قادرة على احداث مثله في الطبقة السفلى منها على انك تعلم ان سكنوسيم سار قبلي على هذه الطريق وانتهى منها الى قلب الارض وانا ما دمت سائرًا على اثره فلا بد لي من بلوغ المأمول

قلت وما هو طول هذا البحر فيما تظن

قال سنعلم ذلك غدًا اذا ركبنا ظهره

قلت اجل واين السفينة التي ستحملنا فاني لا اراها ولا اعلم أبخارية هي ام شراعية

قال سفينتنا طوف قوي متين كافٍ لحملنا وحمل امتعتنا وهو ابسط السفن تركيباً وابعدها عن خطر الغرق وسوف يتضح لك انهُ على بساطة تركيبه وقرب ظهره من المياه افضل من سفن شركة اللويد النمساوية ان لم تقل افضل من غيرها

قلت أتزعم انك مدحته يا عماه ولكن اين هو فاني ارى الميناء خلوًا من كل انواع المراكب على الاطلاق

قال ألست تسمع صوتًا ما من وراء هذه الاكمة

فاصغيت قليلاً ثم قلت بلى فاني اسمع صوتًا بعيدًا كصوت ضرب الفأس على الخشب

قال هذا طرق مطرقة هنس وهو الان مشتغل ببناء الطوف

قلت ومتى قطع الاشجار اللازمة لبنائه

قال الاشجار كانت مقطوعة بفعل الطبيعة من اجيال عديدة

ثم قال اتبعني وسار امامي نحو الاكمة التي اشار اليها وبعد مسير ميل اشرفنا على فرضة صغيرة جميلة التكوين محجوبة عن الريح بصخور هائلة وكان بجانبها هنس مشتغلاً ببناء الطوف وحولهُ من جذوع الاشجار ما يكفي لانشاء عمارة بحرية تناظر عمارة انكلترا الحربية ولما دنوت اليه رأيت الطوف قد تم معظمه وهو مبني من جذوع اشجار غريبة النوع مشدودة بعضها الى البعض الاخر على شكل باب

فبعد ان تأملت ذلك الخشب برهة سألت الاستاذ عن جنسه ونوعه فقال بعضه من الصنوبر والارز والعرعر وبعضه من السرو والشربين وكلها انواع من الفصيلة الصنوبرية التي تنبت في البلاد الشمالية وقد تحجرت بفعل مياه البحر فصارت كما تراها والخشب الذي في هذه الحالة يدعوه العلماء خشبًا حجريًا

قلت ان كان كذلك فهو كالفحم الحجري شديد الصلابة ولا يطفو على وجه الماء

قال قد يكون ذلك فان بعض الخشب الحجري يتحول الى انتراسيت حقيقي وبعضه يكون غير تام التحويل كالخشب الذي امامك وهذا لا يزال ثقله النوعي اخف من الماء فيطفو على وجهه

ثم اخذ قطعة من ذلك الخشب والقاها في البحر قائلاً انظر بعينك فاستفلت الخشبة قليلاً ثم طفت على وجه الماء وصارت تتمايل مع الامواج يمينًا وشمالاً

كأنها قرط خودٍ او فؤاد شجٍ لاقى الحبيب والا قلب رعديدِ

وفي مساء اليوم التالي فرغ هنس من بناء الطوف وكان طوله عشر اقدام وعرضه خمساً وهو مؤلف من جذوع قوية مشدودة الى بعضها بحبال متينة شدًا وثيقًا ولهُ صارٍ واحد ودفة فاصطنعنا لهُ قلعاً من اغطيتنا السفرية ودفعناه في مساء ذلك اليوم الى البحر فطفا علي سطحه والبشر يلمع في وجوهنا وكان لنزول ذلك الطوف الى الماء مشهد عظيم لدينا أكبر من مشهد نزول المدرعة الاولى التي اصطنعها الانسان ثم شددناها بحبل الى صخر من صخور الشاطىء وتركناه تتلاعب به الامواج ورجعنا الى المبيت على عزم ركوب البحر في صباح اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس عشر من شهر اغسطس

ولما جاء الصباح اتينا الى المينا بامتعتنا وادواتنا ونقلناها الى الطوف ثم جلسنا بجانبها وكنا قد ملأنا قربنا من جدول هنس ثم نشرنا الشراع واستلم هنس الدفة وحللنا عروة الحبل الذي كان الطوف مشدودًا به فاندفع بنا على سطح البحر سائرًا سيرًا لطيفًا غير بطيءٍ ولا عنيف مر السحابة لا ريث ولا عجل

فالتفت اليَّ الاستاذ وقال هل ركبت قبل الان ظهر سفينة اطوع اليك من هذا الطوف يسير بامرك ويقف بامرك لا تتكلف لهُ انتظارًا ولا تغرم لهُ ثمن تذكرة ولا تدخل تحت امرة ربان ولا يفرض عليك حجر صحي

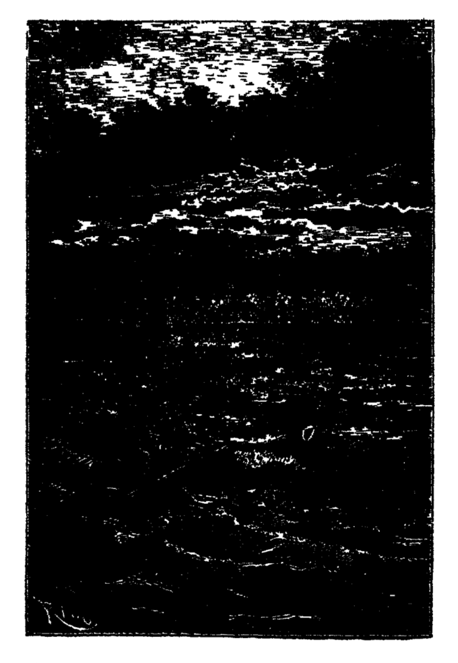
فقلت اما التذكرة والربان فكما تقول واما الحجر فاصعب ما يقاسيه المسافرون فيه الابتعاد من العمران فنحن اذن في حجر دائم

وقبل ان نخرج من المينا اراد الاستاذ ان يضع لها اسمًا فعرض عليَّ ان يدعوها باسمي فقلت بل نسميها باسم ابنة عمي غريبة لانها كانت راغبة في هذه الرحلة واثقة بنجاحها وهي التي شددت عزمي على مصاحبتك فمن العدل ان يكون لها فيها ذكر هذا فضلاً عن ان مرفاء غريبة اجمل منظرًا في الاطلس من مرفاء اكسيل كما انهُ اعذب في الفم واحلى في السمع فانقاد الاستاذ الى رأيي

وعلق اسم مرفاء غريبة على رقعة الاكتشافات

وريثما خرجنا من المينا تعرضنا للريح وكان هبوبها من الشمال الغربي فساقتنا امامها وهي تكسعنا كسعًا ولشدة كثافتها كانت تدفع الطوف بقوة عظيمة فلم نسر مقدار ساعة حتى ابتعدنا عن الشاطيء مسافة اربعة اميال على ان مسيرنا كان بدون عنف ولا انزعاج لان الطوف كان مارًا بنا كالسهم على خط مستقيم لا يميل يمينًا ولا شمالاً ولم نلبث ان غابت جوانب البر عن ابصارنا

وعند الظهر صادفنا حبالاً طويلة من الاشنة ممتدة على وجه الماء تدهش البصر بجمالها وتحير الفكر ببهائها وعظم حجمها والاشنة نبات بحري شبيه بالطحلب ينبت احيانًا على عمق الف ومائتي قدم من سطح البحر اي تحت ضغط اربعمائة جلد ثم ينمو حتى يبلغ سطح الماء ويمتد عليه شباكًا واشراكًا واذا تألف وتكاثف منع السفن من المسير وكثيرًا ما تقع السفن في اشراكه فلا تتخلص منها الا بعد العناء الشديد والجهد الجهيد على ان كل ما رآه العلماء من الاشنة على ظاهر الارض لا يذكر في جانب ما رأيناه منها في بحر ليدنبروك فاننا قد سايرنا بعض حبالها مسافة ثلاثة او اربعة الاف قدم ولم نزل نتخلل تلك الحبال العجيبة وانا اتامل في عظمتها وغريب نموها وافتكر فيما كانت عليه الارض في الايام الاولى ايام دولة النبات اذ كانت الحرارة والرطوبة متسلطتين على وجهها بلا منازع الى ان جاء المساء اي الوقت الذي تغيب فيه الشمس عن مدينة همبرج (اذ لم يكن في الحقيقة عندنا لا مساء ولا صباح لان النور المنتشر في الهواء من الظواهر الكهربائية الموجودة ثمة ثابت على حال واحدة) فتناولنا الطعام ثم اضطجعت بجانب الصاري ونمت ملء جفني وتركت هنسًا جالسًا عند الدفة على ان سفينتنا كانت في غنى عن ربان يقودها لان الريح كانت تجري بما نشتهي فلم يكن لنا اولى من تركها لها



فاننا قد سايرنا بعض حبالها مسافة ثلثة او اربعة الاف قدم (صفحة ١٥٠)

الفصل الثالث والعشرون

بعد ان قمنا من مرفاء غريبة وانساب بنا الطوف علي وجه المياه انسياب الافعوان، متجهًا الى حيث تشتهي الرياح وتنزع اهواء الاهوية أقبل الاستاذ بوجهه عليّ وقال تعلم يا اكسيل اني منذ ولجنا فوهة بركان لسنيفل لم اغادر من الحوادث شاردة الا سطرتها ولا آبدةً الا قيدتها في دفتر الملحوظات ليكون تذكرة لنا عند الحاجة كما قيل

العلم صيــد والكتابة قيده   قيد صيودك بالحبال الواثقه

فمن الحماقة ان تصيد غزالة وتفوتها بين الخلائق طالقه

ولكننا الان في بحر جم الغرائب كثير الحوادث والعجائب وربما تفضي بي كثرتها الى اغفال بعضها او تنسيني رعاية الطوف شيئًا منها فارى للوصول الى الحقيقة ان ينظر اليها ببصرين ويبحث عن مكوناتها بفكرين عملاً بقول الشاعر العربي

اجمع لرأيك رأي غيرك واستشر فالرأي لا يخفى على شخصين
المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

فانا لذلك اشير عليك باتخاذ دفتر مخصوص لاثبات جميع ما يقع لنا من الحوادث التي تستحق الذكر في اثناء سفرتنا البحرية وكل ما يتعلق بها سواء كان من قبيل الاكتشافات العلمية او التغيرات الجوية فاستحسنت ما قال واخذت على نفسي ان لا ادع من الوقائع صغيرة ولا كبيرة الا علقتها في دفتري فاقتصر في الحديث الان على سرد تلك الاسطر اليومية كما هي بدون تصرف ولا تعديل خوفًا من الوقوع في الزيادة او النقصان لاني قد كتبتها بيدي تحت تأثير الحوادث في حال وقوعها على اني اضرب صفحًا عما يتعلق منها باليوم الاول اذ قد سبق الكلام عنه بالاسهاب

يوم السبت وهو السادس عشر من شهر اغسطس

الريح ريح الجربياء — مسير الطوف سريع وهو يجري الى الجنوب الشرقي على خط مستقيم — لا شيء في الافق سوى السماء والماء — النور باقٍ على حاله — الطقس جيد اعني ان الغيوم مرتفعة جدًا قليلة الكثافة وهي بيضاء كالثلج او اللجين المذاب

الترمومتر على الدرجة الثانية والثلاثين

عند الظهر اخذ هنس قدرة من اللحم وانشبها في صنارة والقى الخيط في الماء فمضت حصة من النهار بدون ان يعلق بها شيء حتى كدنا نجزم بخلو بحر

ليدنبروك من السمك ثم اضطرب الخيط اضطراباً عنيفاً فجذبه هنس اليه واذا بطرفه سمكة شبيهة بالخبياري تنتفض قوياً

كأنها يد مفلوجٍ عراه شجًا وراعه الذعر وانتابته حماه

فاخذها الاستاذ بكلتا يديه وضمها الى صدره خوفاً من ان تفلت

ولما وقع نظري عليها قلت اهلاً وسهلاً بملكة المخدرات البحرية وسيدة الطائفة الخبيارية صاحبة الوجه البهي والطعم الشهي لقد اطلتِ الهجر ضناً بالوصال واكثرت من التعزز والدلال علماً منك بما خصك به ذو الجلال من الحسن والجمال واللطف والكمال على انك قد نزلت على قوم يعرفون قدرك وعلو شأنك ولا يجهلون فضلك على اقرانك يعقدون عليك الخناصر ويعضون عليك بالنواجذ ويسكنونك القلوب وانت احب اليهم من يوسف الى يعقوب

فتبسم الاستاذ لهذا الكلام وقد علم ان نفسي سئمت اللحم القديد ثم تأمل السمكة برهة وقال لقد اخطأت يا اكسيل ولم تعرف نزيلنا حق المعرفة فان هذه السمكة رأسها مسطح مستدير وجسمها مغطى بصفائح عظيمة وفوها خالٍ من الاسنان وهي بدون ذنب ولها زعانف كبيرة في صدرها فهي والخبياري من فصيلة واحدة الا ان كلاً منهما نوع قائم بنفسه وبين النوعين بون جوهري في التكوين من وجوه عديدة

فدققت النظر اذ ذاك في تلك السمكة الغريبة وعرفت ان عمي مصيب في قوله ثم اردف كلامه قائلاً هذه السمكة قد انقرض نوعها عن وجه الارض قبل ظهور الانسان بالوف الوف من السنين وقد وجد العلماء دفائنها في الصخور الديفونية

فاخذني الطرب لوقوع تلك السمكة العزيزة النوال في قبضة يدنا ثم سالت الاستاذ عن اصلها وفصلها فقال هي من نوع المجنحات من فصيلة المسطحات الرؤوس من رتبة الجانويد اي ذوات الحراشف اللامعة ولكنها تختلف عن

نوعها في شيء واحد

قلت وما هو

قال هي عديمة العينين كغالب الاسماك التي تحت وجه الارض

فحققت النظر فيها واذا هي كما قال الاستاذ وفي بقية النهار اصطدنا نيفًا وعشرين سمكة بعضها من النوع المذكور وبعضها من نوع غريب لم يعرفه الاستاذ الا انهُ ينطوي تحت فصيلة الديبتيريدا اي ذوات الجناحين وكلها عديمة العينين فسررنا بذلك الصيد سرورًا عظيمًا لانهُ زاد في زادنا وتنوع به ماكلنا على ان الصيد حالة الاصطياد احب الى الانسان منهُ حينما يقدم في الزاد

ولربَّ نزَّاعٍ لامر راقه   منه البداية لم يرقه المنتهى

ثم جلست اتامل في تلك الاسماك الغريبة التي بادت وانقرضت عن وجه البسيطة من اجيال عديدة واخذت افتكر في التغيرات التي طرأت على الارض منذ كانت كتلة ملتهبة الى ان صارت صالحة لسكنى الانسان فاتسع بي المجال وشطحت في وادي الخيال فانتقلت على جناح الافكار الى العصر الماضية ايام كانت الارض ماهولة بحيوانات هائلة تزيد اضعافًا مضاعفة في القوة والحجم على ما يقاربها شكلاً وتكوينًا من حيوانات هذا الدور فتجلت لي عرائس الكائنات وانبلجت امامي اسرار الموجودات ونظرت اليها بنظار التعقل في مرصد التأَمل فرأَيت تلك السلاحف القديمة سائرة على وجه الماء وهي كالجزائر ومن حولها الضباب البحرية على اختلاف انواعها ثم مرت امام عيني ذوات الاثدية البرية من الليبتوتيريوم الذي عثر العلماء علي بقاياه في مغائر البرازيل باميركا حتى الميريكوتريوم الذي وجدت دفائنهُ في اقاصي انحاء سيبيريا المتجلدة على حدود القطب الشمالي ورأيت اللوفيودن رابضًا وراء الصخور يترصد فرصة للفتك بالانوبلوتيريوم حيوان عجيب التركيب غريب التكوين يحاكي في بعض اعضائه الفرس والكركدن وفي البعض الاخر فرس النهر والجمل فكأني بالخالق جل جلاله بعد ان فرغ من خلقة الحيوانات

مفصلة الى انواع اراد ان يجعل لها فذلكة اجمالية اشارة الى اتمام العملية

ليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالم في واحدِ

ثم رأيت الموث الجبار يضرب بخرطومهِ الاشجار فيسحقها سحقًا ويطعن بانيابه الصخور فيدقها دقًا والمجاتيريوم يمزق اديم الارض ببراثنه ولهُ زئير هائل يذعر الجن في مساكنها والبروتوبيتيك وهو القرد الاول الذي ظهر على وجه الارض يتسلق الاشجار الباسقة فرارًا من وجه الضواري التي تطلب افتراسه ثم رفعت نظري الى السماء فرأيت تلك الزحافات المجنحة الغريبة الخلق الهائلة المنظر المعروفة بالبتيرودكتيل سابحة في الهواء الكثيف وهي كالطير في رؤوسها وطول اعناقها وكالخفاش في اجنحتها وذوات الاثدية في ابدانها واذنابها ولها اسنان محددة تناهز الستين وخناصرها زائدة في الطول مغشاة بغشاء كجناح الخفـاش ومعنى بتيرودكتيل المجنحة الاصابع وهي على انواع بعضها اكبر من النعامة باربعة اضعاف او خمسة وقد عثر العلماء على دفائنها في طبقات الصخور البيضية وهي الرتبة الثانية من رتب الصخور المتوسطة الحياة ثم رأيت في اعلى السحاب طيورًا اعظم من تلك حجمًا واشد باسًا تخترق الغيوم كالسهام الطائشة حتى اذا بلغت اعلى الجو انثنت راجعة على اعقابهـا وانقضت على الارض انقضاض الصاعقة

يا محيل العنقـاء وهي هبـاءٌ حيث تبدو هذي الطيور الهوائل
قد اضعت الزمان في غير معنىً واطلت الجدال من غير طائل
فهي مما انكرت اعظم باسًا قد يكون الصحيح قول الاوائل

وبعد ان وقفت برهة اتأمل في عظمة تلك الحيوانات التي جمع العلماء هياكلها من اقطار العالم الاربعة واعادوا بناءها كما كانت توغلت في ظلمات الماضي طائرًا على جناح الافكار مارًا بكل درجات السلم الحيواني من اعلاها الى ادناها فنشرت ما طوى الجديدان في الاكفان من انواع الحيوان منذ ابتداء الزمان ثم طويت الاجيال والدهور والادوار والعصور فاضمحلت من امام عيني ذوات



وبعد ان وقفت برهةً اتأمل في عظمة تلك الحيوانات (صفحة ١٥٥)

الاثدية ثم الطيور ثم الزحافات ثم الاسماك ثم الاصداف والابواق ثم الحيوانات الشبيهة بالنبات فسرحت طرفي على وجه البسيطة وهي اذ ذاك على حال واحدة من الحرارة والرطوبة في كل الفصول والمناطق فلم ارَ الا جزائر شاخصة واخرى غائرة والماء بين مد وجزر واندفاع وانقشاع واليابسة بين شخوص وخسوف وانخفاض وارتفاع وهي قفر بلقع ليس فيها من يرى ولا من يسمع ثم توغلت ايضاً في القدم ميمما وجهة الازل فرأيت الارض مغمورة بالمياه وهي تغلي غليان القدر على النار والبخار يتصاعد كثيفًا من كل جوانبها وقد ملاء الجلد وما لبثت ان

تحولت باجمعها الى بخار ملتهب منير كالشمس التي انفصلت منها ثم انتقلت بسرعة الفكر الى الشمس امنا وهي اكبر من ابنتها الارض بالف الف ومائتي الف ضعف ومتوسط بعدها عنا على اختلاف الفصول ٩١٤٣٠٠٠٠ ميل مسافة لا يقطعها النور الا في ظرف ثماني دقائق وبضع عشرة ثانية على اني قطعتها باقل من لحظة عين

هذا وما زلت تائهاً في قفار التصورات غائصاً في بحار الافكار اقطع فدافد المباحث واجول في ميادين المعقولات تطاردني الفكر واطاردها متنقلاً من وهاد الاوهام الى جبال الخيال ومن اغوار الظنون الى روابي اليقين حتى ذهلت عن عالم المحسوسات ونسيت نفسي وعمي وهنساً والطوف ولما رآني الاستاذ متغير الوجه كمن غاب رشده او ضاع عقله ناداني باسمي قائلاً مالي اراك يا اكسيل تائه الفكر مذهولاً احذر من ان تسقط في البحر ولكنني لم اسمع ولم اجب وكنت انظر اليه ولا اراه وما انتبهت لنفسي وعدت لحسي الا لما جذبني هنس بعنف نحوه وكنت على وشك السقوط فافقت من غفلتي ورأيت عمي قلقاً مضطرب البال فقال لي مالك يا اكسيل ماذا جرى لك

قلت اخذني الذهول برهةً وقد زال الآن بالكلية ولكن كيف الريح ومسير الطوف

قال الريح لم تزل في غاية المناسبة كما ترى والطوف سائر بسرعة الطير وان صدقني ظني واستمرت الريح على حالها حتى الغد فلا ننفطر الا ونحن على البر الاخر

وكانت قد جاءت الساعة السادسة من المساء فاتكأنا لمناولة الطعام ثم اضطجعنا للمنام بعد ان قبض هنس راتبه الاسبوعي عند انقضاء الساعة السادسة على الكمال والتمام

الفصل الرابع والعشرون

يوم الاحد وهو السابع عشر من الشهر

لم يزل البحر هادئًا والريح على حالها على ان الغيوم ابعد مما كانت عليه في اليوم السابق ونطاق البصر اوسع ومع ذلك لم يزل البر محجوبًا عن نظرنا وراء الافق

ارى عمي واجمًا يكاد يتميز من الغيظ تارة ينظر الى جوانب الافق بمنظاره وطورًا يدمدم بكلام غير مفهوم

يهتم كالذي يتلو رقاه ليحضر جنة وقت الدجنَه
وينظر للسماء بعين مقتٍ كأن به معاذ الله جنَّه

ولما رأيته على تلك الحال قلت له بصوت المشفق ما لي اراك يا عماه ضيق الصدر كمن فقد البصر

فاجاب بنفور وكيف لا اعدم الصبر وبحرنا لا اخر له

قلت لا موجب فيما ارى للتشكي فان الريح مناسبة جدا والطوف سائر بنا بسرعة الطير وعندنا من الزاد شيء كثير

قال لست اشكو بطء السير بل طول البحر لان كل الوقت الذي نصرفه على ظهره ذاهب سدىً وكل مسير على طريق غير منحدرة احسبه من هذا القبيل

وهبنا حططنا في المساء رحالنا لدى الجانب الثاني فهل ذاك نافعُ
اذا المركز الارضي عز طريقه علينا فكل الجهد والجد ضائعُ

فلت كيف يضيع جهدنا وجدنا ونحن على اثر سكنوسيم

قال هنا محل الريب فهل نحن حقيقةً على اثر سكنوسيم وهل صادف سكنوسيم هذا البحر واجتازه او خاننا الجدول الذي اتخذناه دليلاً وعدل بنا عن الطريق المؤدية الى قلب الارض

قلت مهما يكن من الامر فلا يحق لنا ان نتذمر لان هذه المناظر الجميلة تشغل الانظار وهاته النسائم العليلة تعلل الافكار

أفلا ترى الامواج ترقص تحتنا   والريح تتبع ذاك بالتصفيق

والجو يبسم عن ثنايا مزنهِ   جذلاً ويضحك عن وميض بروق

قال بس يا اكسيل فاني ما عمدت الى هذه الرحلة طلباً للنزهة والفرجة ولكني قصدت امرًا ولست ارضى عنهُ بديلاً فدعني اذن من المناظر الجميلة والقبيحة والنسائم العليلة والصحيحة وذرني من تصفيق الرياح ورقص الامواج ولا تشغل سمعي بمقالاتك الخيالية وتصوراتك الشعرية

فامسكت عن الكلام وقد علمت ان عمي عاد الى ما كان عليه من العنف والخشونة المجبول عليهما وما كان لينهُ في الايام الاخيرة ورفقه بي عن تغير في طباعه ولكن عن المصائب التي توالت عليَّ وكادت تفقدني الحياة

يوم الاثنين وهو الثامن عشر من الشهر

الجو باقٍ على حاله غير ان الهواء ابرد من ذي قبل

لم يزل البصر منحصرًا بين السماء والماء فازداد بحر ليدنبروك عظمة في اعيننا حتى صرنا نقيسه بالمحيط الاتلنتيكي او على الاقل بالبحر المتوسط

قبيل الظهر اخذ الاستاذ معولاً من اكبر المعاول الحديدية التي استصحبناها وربطه بحبل طويل والقاه في البحر ليسبر غوره فلم يبلغ القعر فوصل الحبل باخر وهذا بغيره حتى صار المعول على عمق ثلاثمائة وخمسين مترًا ومع ذلك لم يصل الى القرار فعلمنا اذ ذاك انهُ بعيد المنال لا يفيد في الوصول اليه موصولات الحبال وشرعنا في رفع المعول فلم يتيسر لنا ذلك الا بعد عناء شديد ولما صار على سطح الطوف اراني هنس عليه اثر انياب منطبعة على الحديد كما تنطبع الصورة على العجين فاقشعر بدني وقتئذٍ ودققت النظر في ذلك الاثر فتبين لي منهُ ان الانياب مخروطية الشكل كاسنان التمساح وعلمت من فعلها ذلك الفعل الهائل

في الحديد انها ليست الا انياب ضب من الضباب القديمة التي انقرضت عن وجه الارض قبل العصر التاريخي وهي اشد الحيوانات القديمة بأساً واقواها بنية وكم من غرائب خفيت عن الانسان وهو فيما يزعم اغرب الحيوان

الى متى الانسان لا يرعوي عن التمادي في جهالاتهِ
يرى وجود الخلق من اجله والكون مخلوقاً لمرضاتهِ
وهو كليل العزم واهي القوى مستضعف الهمة في ذاتهِ
وبعض ما يرميه بالضعف قد يعجز حتماً عن مباراتهِ

وتذكرت وقتها ما قرأته عن هذه الضباب من ان بعض العلماء عد في فم واحد منها الفين واثنين وسبعين سناً فاشتد خوفي وازداد قلقي واما الاستاذ فبعد ان انعم النظر في حديد المعول اخذ يستنشف لجج البحر يمنةً وشمالاً فعلمت انهُ موافق لنا في رأينا فلعنت في سري ذلك الفكر الذي جاءه بالسبر وقلت ماذا ضره لو ترك ذلك الحيوان ساكناً في مربضه فاذا برز الان من تحت المياه وهجم علينا أفلا يحطم الطوف بانيابه حطماً ويدق رقابنا دقاً ثم اخذت اتفقد الاسلحة وفي اعتقادي انها لا تغني من الدفاع شيئاً بالنسبة لهذا الحيوان الهائل كما قيل

وما هزة المذبوح تجدي وانما حلاوة روح الشخص تلجيه للدفع

فرآني الاستاذ على ذلك واوماء برأسه استحساناً

وفي ذاك الوقت رأيت المياه في اضطراب فعلمت ان الخطر قريب وبينما نحن نرصد جوانب الطواف واذا بصدمة عنيفة اصابته من حيث لا ندري فدفعته بنا الى بعد ثلاثين متراً وقد ارتفع عن سطح الماء الى علو بضع اقدام فعرانا من الوجل ما عظم وجل ولما انتبهنا من الذهول الذي استولى علينا ابصرنا على قيد غلوة منا حيواناً هائل الجثة ضارب اللون الى السواد يرتفع مرة ويهبط اخرى والمياه تضطرب من حوله اضطراباً عظيماً

كأن البحر مملوء سفيناً تسابق بعضها عند القتال



وإذا بصدمة عنيفة اصابته من حيث لا ندري (صفحة ١٦٠)

فقال الاستاذ هذا خنزير بحر لم ارَ في حياتي خنزيراً يقاربه فى عظم الجثة

فقلت وها بجانبه تمساحًا هائلاً فاغرًا فاه اعوذ بالله من هذه الاسنان التي هي اقوى من الرحى

فقال اي وابيك ولا عجب اذا طحن بها الحديد

ثم قال ها قد انضم اليهما حيوان ثالث وهو الحوت ألا ترى كيف يضرب البحر بزعانفه الشديدة وكيف يندفع الماء والهواء من خياشيمه الى علو شاهق

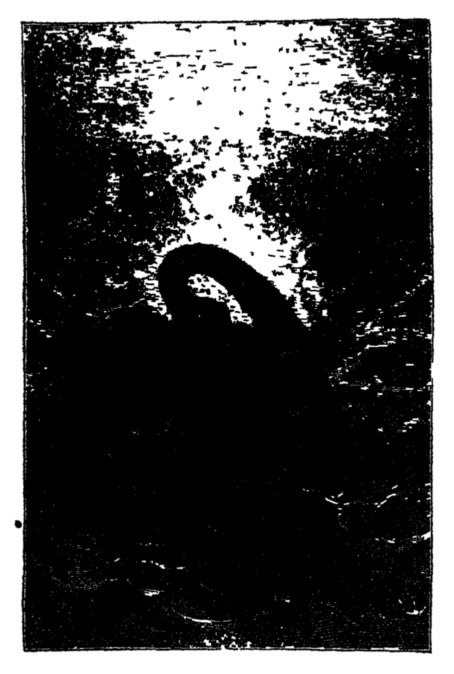
ولما رأينا تلك الحيوانات الهائلة اخذتنا الدهشة وعمنا الاضطراب ووقفنا

مذهولين ثم اشرت الى هنس بان يبتعد عنها لان اضعف واحد منها قادر على ابتلاعنا بامتعتنا وتحطيم طوفنا بضربة واحدة من انيابه غير اني ابصرت في ذلك الوقت حيوانات اخرى مقبلة علينا من الجانب الاخر ليست دون الاولى قوةً ولا اقل منها خطرًا فتبينتها واذا هي سلحفاة يبلغ عرض ظهرها اربعين قدمًا او اكثر وحية هائلة لا ينقص طول القسم الظاهر منها فوق الماء عن عشرة امتار وهي تلعب برأسها يمنةً وشمالاً بما يوهن القوى ويضعف العزائم وعلائم الشر بادية بين عينيها

فشر مقبل يتلوه شر   نفوت العمر منهُ ولا يفوتُ
عجبت لمن لهُ بصرٌ وسمعٌ   يرى هذا البلاء ولا يموتُ

فلما رأينا تلك اليهاميت ونحن بينها كالمعصم احاط به السوار او الجيد عظ عليه التقصار قطعنا الرجاء من الفرار وندمنا حيث لا ينفع الندم وقد استولى علينا اليأس والوجل وايقنا بحلول الاجل ثم اخذت تلك الحيوانات تحوث علينا دائرةً حول الطوف كالخطيف وهي تضيق دائرة حوتانها مقتربة منا شيئًا فشيئًا وفي ذلك الوقت اختفت كل الحيوانات التي كنا رأيناها في بادئ الامر الا التمساح والحية وكانا يدوران حولنا ولا يجتمعان كانما تواوفقا على ان يمسكا علينا المراصد ويسدا في وجوهنا جميع المهارب وقد اشتدت علينا الازمة وتعذر علينا الخلاص وعلمنا انهُ لات حين مناص فاخذنا البنادق بايدينا استعدادًا للمدافعة عن ارواحنا ولكن هيهات ان يفعل الرصاص في تلك الاعداء المدرعة بجراشف كالفولاذ وجلود كالحديد وبينما نحن في ذلك المقام الحرج والمركز الخطر واذا بذينك الحيوانين الهائلين قد التقيا على بعد مائة خطوة من الطوف فكشرا عن قواطع لامعة تضارع انياب الفيل ونواجذ قاطعة تحز العمر الطويل فقلت

عسى الله يلقي في الاعادي خصومة   فتشغلــ عنــا اذ يشب لظاها
والا فانَّا هالكون ضرورةً   واين قوانا من عظيم قواها



فاهتزّ البحر لاصطدامهما وشبّ الماء من بينهما مزبدًا (صفحة ١٦٣)

وما فرغت من الدعاء حتى انقض كل منهما على الاخر فاهتز البحر لاصطدامهما وشب الماء من بينهما مزبدًا واخذا في عراك وقتال تشيب من هوله الاطفال فاسرت لهس بانتهاز تلك الفرصة للفرار ولكن الاستاذ ابى الا الانتظار على بعد غلوة من محل القتال للوقوف على نتيجته

وفي ذلك الوقت رأيت الحيوانات الاولى التي كانت اختفت برهة مشتبكة معهما في العراك وهي تظهر مرة وتخفى اخرى فأريتها لهنس فاوماء برأسه ان لا وابدى اصبعين من اصابعه بمعنى ان القتال بين اثنين فقط

فقلت كيف ذلك الا ترى الخنزير والحوت والسلحفاة

فقال الاستاذ وكان المنظار بيده دقق النظر يا آكسيل فان هنسلهٔ مصيب في قوله لان احد هذين الحيوانين لهُ خطم خنزير البحر واسنان التمساح ورأس الضب وزعانف الحوت وهو الايكتيوزوروس او الضب السمكي والآخر هو البليزيوزوروس وهو عدو الاول الالد ويمتاز عنهُ بصغر رأسه وطول عنقه وهو يشبه الضب في رأسه والتمساح في اسنانه والسلحفاة في قوائمه ودرعه العظمي والحرباء في اضلاعه والحية في عنقه

وبعد ذلك اعطاني المنظار فانعمت النظر في الحيوانين اللذين ذكرهما واذا هما كما قال وكلاهما من الحيوانات التي انقرضت وبادت عن وجه الارض قبل ظهور الانسان بالف جيل فوقفت مندهشاً من شدة بأسهما وقوة اعضائهما وكان طول الحيوان الاول اي الايكتيوزوروس نحو مائة قدم وكل واحدة من عينيه بقدر رأس الرجل او اكبر وطول الحيوان الاخر لا ينقص عن ثمانين قدماً

ولم يزالا في عراك وصدام وعناق وضام واقدام واحجام وهجوم ودفاع وهبوط وارتفاع وصئي يصم الآذان وزئير تقشعر منهُ الابدان وهما تارة يقتربان من الطوف وطوراً يبتعدان مقدار ساعة بل ساعتين من الزمان حتى صار البحر بلون الارجوان ثم غاصا في لجج البحر وهما متعانقان وبعد ان غابا عن ابصارنا بضع ثوانٍ عاد البليزيوزوروس الى سطح الماء مجرداً من درعه العظمي وفي جنبه جرح بليغ قتال واخذ يتقلب على سطح البحر ويضرب الماء بعنقه ذات اليمين وذات الشمال والدم يندفق من جراحه مندفعاً الى بعد بضعة امتار كانهُ نبع فوار ولم يزل يتخبط اختباط النزاع مقدار بضع دقائق وبعد ذلك ضعفت حركته وقلت قوته ثم فارقته الحياة فطفت جثته على وجه الماء كأنها جثة مارد من مردة الجان وبعد حصة من الزمن سكن اضطراب المياه وعاد البحر كما كان

كم شدة ضاق عنها الذرع وانفرجت ومَوقف بعد فرط الضيق يتسعُ

وبعد ذلك اطلق هنس للطوف العنان خوفًا من ان يعود الايكتيوزوروس من تحت الماء وليس من يشغله عنا فيتفرغ لنا وقد ظهر لنا من شدة بطشه ما جعلنا نقطع بعدم قدرتنا على مغالبته وكانت الريح شديدة فلم يكن كحل عقال حتى خرجنا من دائرة الخطر وصرنا في محل الامان

الفصل الخامس والعشرون

يوم الثلاثا وهو التاسع عشر من الشهر

ما برزت غرة الصبح تتلو طرة الدجى كاليأس يتلوه الرجا الا وبيننا وبين محل الواقعة فراسخ واميال ومسافات طوال وكان قد طال علينا المطال وثقل علينا الترحال فعاود عمي الضجر والملال وما كنت لاشتهي زوالهما بمثل حوادث اليوم الفائت

قبح السآمة في ظل الامان ولا   حسن التسلي بانواع من الوجلِ

يوم الاربعا وهو العشرون من الشهر

الهواء حار والريح غير ثابتة على حال ومعدل سرعة مسير الطوف ثمانية اميال ونصف ميل في الساعة

عند الظهر سمعنا دويًا بعيدًا مستمرًا فاثبت الامر في هذا الدفتر غير عالم بحقيقته

ولما سمعهُ الاستاذ قال هذا صوت اصطدام الامواج بجزيرة او صخر عظيم قائم في وسط الماء فصعد هنس في الحال الى اعلى الصاري واخذ يستكشف جوانب الافق فلم يرَ شيئًا مما ذكر الاستاذ وبعد ان سرنا مسافة ثلاث ساعات ازداد الصوت قوةً ووضوحًا وظهر لي انهُ صوت سقوط الماء من شلال بعيد فاخذ مني القلق كل مأخذ وقلت ان صح ذلك فهذه مطفئة الرضف والطامة التي لا ينفع معها اسف ومن قال اننا نركب الاخطار ونجو من المضار

ومن يتخذ ارض الافاعي محجةً فلا بد ما تدنو اليـه الاراقمُ

ثم قلت للاستاذ طالما تاقت نفسك يا عماه الى طريق عمودية تقربك من مركز الارض فها قد اتاك الامر كما تريد

قال ماذا تعني بذلك

قلت ما هذا الصوت الذي نسمعهُ الا هدير شلال عظيم ينتهي اليه بحر ليدنبروك باجمعه

قال حبذا لو صح ظنك يا اكسيل ولكنه بعيد الاحتمال بل مستحيل

فعجبت من كلامه ووقفت انظر اليه وانا حائر في امره ثم قلت في نفسي لعله قطع الامل من نجاح رحلته فسئم الحياة وصار يؤثر الهلاك على الرجوع بدون بلوغ بغيته فدنوت منه وقد اخذتني الشفقة عليه وقلت له بتلطف أحالتنـا تقضي باليأس يا عماه حتى انك صرت تشتهي الهلاك

قال ماذا حملك على هذا الظن واين الهلاك الذي نسير اليه

قلت اما تمنيت ان يكون هذا الصوت هدير شلال تنتهي اليه المياه التي نحن عليها

قال اي تمنيت ذلك وما زلت اتمناه

قلت وهل بعد سقوطنا من امل بالنجاة

قال رحم الله القائل

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى ولا أمن الا ما رآه الفتى أمنا

اعلم يا اكسيل ان السقوط من علو عشر اقدام على الارض اليـابسة لاشد خطرًا من السقوط مع مياه شلال تصب في حوض بعيد القعر ولو كان علوه بضعة الوف من الاقدام لان الصدمة العنيفة التي يصادفها الانسان اذا سقط على اليابسة من علو عشر اقدام ربما كانت كافية لان تكون عليه القاضية واما اذا سقط مع ميـاه شلال في حوض بعيد القعر فلا يقف جسمه مرة واحدة عند

بلوغه ماء الحوض بل يستمر على النزول تابعاً مجرى مياه الشلال في قلب الحوض بحيث يزول فعل السقطة شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى بالمرة ويعود الجسم الى ثقله الطبيعي

فاخذني العجب من هذا المذهب وبقيت انظر الى الاستاذ نظرة المرتاب في صحة رأيه فاردف كلامه قائلاً اما رأيت رقاصي الحبال يمدون شباكاً تحتهم على علو بضع اقدام من الارض حتى اذا سقط احد منهم في اثناء اللعب يعود الى حبله وما به من ضرر

قلت بلى

قال الناموس الطبيعي واحد في هذا وذاك ولو كان الهدير الذي نسمعهُ صوت شلال كما ظننت لكنت اقول لك ستتحقق من صدق قولي بالامتحان ولكن الامر بخلاف وهذه الزجاجة تثبت لك ذلك

قال هذا والقى زجاجة فارغة في الماء فبقيت حيث القاها فقال لو كان هذا البحر ينتهي الى شلال قريب لكانت المياه تجري اليه بسرعة مع ما عليها والحال ان الزجاجة بقيت في المحل الذي القيناها فيه

فاقتنعت بهذا البرهان واطمأن بالي لاعتقادي بعدم وجود شلال لا تصديقاً بالمذهب الفاسد الذي ذهب اليه الاستاذ من عدم وجود خطر كبير في السقوط غير اني بقيت مشغول الفكر في امر الصوت الذي كنا نسمعه لاني لم ار فيه ادنى شبه بصوت اصطدام الامواج بالصخور ثم قلت لعلهُ شلال يصب من سقف المغارة او من احد جوانبها في بحر ليدنبروك واخذت احدقُ ببصري الى السماء والافق فلم ارَ شيئاً سوى الغيوم

وعند ذلك اعتلى هنس الصاري واجال الطرف في الافق ثم وقف متفرساً في نقطة منه فقال عمي اظن ان هنساً رأى شيئاً وما اتم كلامه حتى نزل هنس واشار بيده الى الجهة التي كانت تدفعنا اليها الريح وقال : هنالك

فاخذ الاستاذ المنظار بيده ووجهه الى المحل الذي اشار اليه الدليل وبعد دقيقة قال هذه فوارة يدفع منها الماء صعداً فوق الامواج ثم يسقط على البحر فيحدث الصوت الذي نسمعه

فقلت ما هذا الا حيوان جديد من الحيوانات القديمة

تمر مصيبة وتجيء اخرى   وترحل غمة وتحل غمه
كأن الحزن مكتوب علينا   فلا نرتاح يوماً من ملمه

قال ما ذلك ببعيد

فقلت لهنس حوّل الدفة اذن يمنةً او شمالاً لاننا قد رأينا شيئاً من هول تلك الحيوانات

فقال الاستاذ بل استمر سائراً مع الريح لنكون على بينة من الامر

قلت انا لم نجُ من ذينك الحيوانين الا بعد اللتيا والتي فكيف نخاطر بانفسنا الى التقدم نحو هذا الحيوان المريع

كيف لا نترك الطريق لسيلٍ   ضيقٌ عن اتيه كل وادِ

غير ان هنساً امتثل امر الاستاذ وارسل للطوف العنان في طلب الحوت الذي ترجح عندنا وجوده وكان ذلك منا ضرباً من الجنون لاننا لو حكمنا على عظم ذلك الحيوان من مقدار الماء الذي يدفعه من خياشيمه عند التنفس لعلمنا اننا باحثون على حتفنا بظلفنا ولكن

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فاهون ما يمر به الوحول

ولم تزل الريح تكسحنا ذاهبة بنا الى الجهة المطلوبة والهدير يزداد قوة شيئاً فشيئاً حتى الساعة السادسة من المساء فرأينا نفسنا على بعد خمسة اميال من الحيوان الموهوم وشاهدناه ممتداً على سطح البحر كأنهُ جزيرة والماء يندفع من رأسه الى علو الف وخمسمائة قدم حتى انه بلغ اعلى السحاب انتشر كالقبة في السماء وسقط على البحر مطراً وبعد تدقيق النظر تبين لي ان طوله لا ينقص عن

الف وثمانمائة متر وهو ثابت على سطح البحر تصدمه الامواج ولا تؤثر فيه فعاودني الخوف عند ذلك واردت ان اكره هنساً على تحويل الطوف عن محل الخطر

أأدنو الى موتتي طائعًا والقي بنفسي الى التهلكه

فاخذني الاستاذ من ذراعي وقال لي وهو يتبسم ما بالك يا اكسيل قد فقدت الشجاعة واين الباس الذي اعهده فيك

قلت ما الشجاعة في مثل هذه الساعة الا جنون محض وما نا ينفع البأس اذا وقعنا بين فكي هذا اليهوت الذي لا تشبعهُ مائة حوت في اليوم على ان الشجاعة لا تكون الا حيث يمهد لها الفكر موضعًا كما قيل

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني

فضحك الاستاذ وقال اذا كان هذا اليهوت لا يشبعهُ مائة حوت يجب ان نكون مطمئن البال لاننا لسنا بالنسبة له الا كالبرغوث بالنسبة للانسان فلا يكسبه اكلنا لحمًا ولا شحمًا ولا نسمنهُ ولا نغنيه من جوع ولذلك لا يكلف نفسه عناء ابتلاعنا

فعجبت من برودة عمي وهزله في المقام الذي كنا فيه واخذتني حدة الغيظ فاردت ان استلم الدفة من يد هنس بالعنف والقوة واذا به قد تبسم وقال:

جزيرة

فاستغرب الاستاذ في الضحك حتى استلقى على قفاه وسال لعابه على ذقنه واما انا فبعد ان اعدت النظر في الجسم الذي اقلق افكارنا قلت واي شي هو اذن هذا الماء الذي ينبعث الى اعلى الجو

قال هنس هذا غيسر

فاضاف الاستاذ قائلاً نعم غيسر كالغياسر العديدة التي في جزيرة ايسلاندا فبهتُّ من الخجل اذ وجلت حيث لا وجل وحسبت الجزيرة حيوانًا بحريًا وحاولت انكار الحقيقة برهةً ولكني اضطررت اخيرًا الى الاعتراف بخطائي



فجئناها من حيث لا نخشي سقوط الماء علينا (صفحة ١٧١)

واما الغيسر فهو ينبوع حار يندفق منهُ الماء الى علو شاهق في نوب معلومة والكلمة ايسلاندية الاصل تقابلها في العربية كلمة فوارة او شبابة وقد يسبق هيجان الغيسر دمدمة أشد من هزيم الرعد ثم يندفع الماء منقطعاً مغشى بحجاب كثيف من البخار ثم يهجع برهة ويهيج اخرى وقد يتفرع من العمود الاصلي اجزاء تتفاوت قوةً وبعداً فكأنها مظلات او قباب قائمة فوق بعضها تناطح اعلاها القبة الزرقاء واذا انقشع عنها البخار ظهرت للناظرين اقلاماً فضية تدهش البصر بكثرتها وبهائها

ولما صرنا على قيد غلوة من الجزيرة امر الاستاذ هنسًا بالدنو منها فجئناها من حيث لا نخشى سقوط الماء علينا وما كاد الطوف يلاصقها الا وقد وثبت عليها وتبعني الاستاذ واما الدليل فاقام على سطح الطوف لقلة اكتراثه بمناظر الغياسر التي لا يحصى عددها في وطنه اما الصخر الذي وقفنا عليه فخليط من الصوان والسليكا وهو حامٍ رنان فكنا نسير عليه كانما نسير على خلقين غاصة بالبخار الحار ولما بلغنا نصفه اشرفنا على حوض صغير محيط بالفوهة التي يندفع منها الماء وكانت المياه الحارة تتدفق من جوانبه سائرة الى كل الجهات كالاشعة فالقيت الترمومتر في احد مجاريها فارتفع زئبقهُ الى الدرجة المائة والثالثة والثلاثين فتبت لي ان تلك المياه صادرة من محل ملتهب فاطلعت الاستاذ على تلك النتيجة لعلمي انها تناقض مذهبه فاجابني بحدة قائلاً اي برهان تستنتج من ذلك وهل احول انا عن دفي ان على وجه الارض ينابيع حارة كهذا فلتتخذها اذن اصحابك سلاحًا لدحض مذهبنا

فامسكت عن المباحثة خوفًا من لسان عمي لاني رأيتهُ غير مائل اليها على اني كنت معتقدًا انهُ لا بد لنا من ان نقف يومًا ما عن التقدم في جوف الارض بسبب الحرارة الداخلية وقلت ان لم يصدق حساب العلماء على الطريق التي سلكناها حتى اليوم فذلك لاحوال خصوصية في التربة لا لفساد مذهبهم

وبعد ان وقفنا برهة نراقب فعل الغيسر في نوبهِ المختلفة عين الاستاذ موقعهُ في رقعة الاكتشافات فكان على بعد ستمائة وخمسة وسبعين ميلا من فرضة غربية الى الجنوب الشرقي ثم دعاه باسمي وبعد ذلك عدنا الى الطوف واستأنفنا المسير مع الريح تاركين غيسر اكسيل وراء ظهورنا

الفصل السادس والعشرون

يوم الخميس وهو الحادي والعشرون من الشهر

قبل الساعة السادسة من الصباح استيقظت من نومي فلم اسمع للغيسر صوتًا مع ان الريح كانت تأتينا من جهته فعلمت ان سرعة مسير الطوف كانت في ذلك الليل اشد مما في اليوم الفائت

ثم نظرت الى الجو واذا هو مغبر الوجه مكفهره

كمدينٍ هوى اليــه غريم　　او بخيل حلت به ضيفانُ
او سكارى تجهموا اذا وقار　　او وقور بدا له سكرانُ

وابصرت في الافق الجنوبي غيومًا من النوع المعروف بالأنمر متراكمة فوق بعضها كأنها بالات قطن ملقاة على سطح البحر بدون نظام ولا ترتيب وهي ثقيلة معتمة اللون تشعر بتغير الطقس وقدوم المطر فجعلت اراقب حركاتها وانتشارها البطيء ثم سكنت الريح وهداء البحر وثقل الهواء فوقف الطوف عن المسير وقد تدلى قلعه ولما رأيت تلك الدلائل المنذرة بقرب النوء نبهت عمي اليها فاظهر عدم الاعتقاد بصدقها وبعد قليل تلبد الجو بسحاب حرق ثم اخذت الغيوم التي فوق رؤوسنا تنخفض شيئًا فشيئًا ونطاق البصر يضيق بالتدريج حتى اسود وجه السماء واظلمت جوانب الافق وكنت اشعر بفعل الكهربائية في جسمي حتى كان يخيل لي انني لو لمست شخصًا لانتفض جسمهُ واقشعر بدنه كمن يلمس سلكًا مكهربًا ولا عجب فاننا كنا في عالم الكهرباء

عالم تدهش البصــائر فيه　　وتحار النهى وتعشو العيونُ

وعند ذلك قلت للاستاذ ان كنت تظن هذا البرق خلبًا وهذا الغيم جهامًا فاني على غير هذا الرأي

فالامر اوضح من ان يستراب به　　والشمس تكبر عن اتيان برهانِ

ومهما يكن من الامر فلا بأس من الاخذ باسباب الاحتياط فاسألك

ان تسع بطي القلع اذ لا فائدة منهُ والريح ساكنة ويخشى ضره اذا جآت العاصفة

فوثب الاستاذ من محله عند سماعه هذه الكلمات واجاب بجدة لا والذي بيده الموت والحياة لا يزال القلع منشورًا حتى اصل الى البر او اطوى في جوف هذا البحر واني لعالم حق العلم بان الريح ستهب عما قليل شديدة وتضرب طوفنا بجناحها فيطير بنا الى حيث لا ندري ومن المحتمل ان يحطم على صخر من الصخور او ينشب في كثيب من الرمال ولكن معاناة النصب على امل بلوغ الارب خير من الدعة بلا منفعة واني لارضى بركوب جميع الاخطار وتحمل انواع المضار اذا كان ذلك يقرب يوم وصولي الى البر

ولم يفرغ عمي من كلامه الا وقد تغير منظر الافق الجنوبي دفعةً واحدة وذلك ان الابخرته المتلبدة تحولت الى ماء فانهل على البحر مطرًا بجيسًا فجرت الريح من اقصى اطراف المغارة لتشغل الفراغ الذي حدث من سقوط المطر واشتد الظلام حتى لم يعد في وسعي قرآة هذه الحروف التي ارسمها على الورق

وقطَّب الجو وجهـًا كلـهُ عقدٌ وبدَّل الافق منهُ النور بالظلمِ

وفي الوقت نفسه ارتفعت الامواج وتضاربت فهبط بنا الطوف حتى خلته ذهب في لجج البحر ثم ارتفع على جبل من المياه ودفعته الريح بعنف شديد. فانطرحت بجانب الصاري واستمسكت بحبل متين خوفًا من السقوط وفعل الاستاذ كفعلي واما هنس فبقي واقفًا في مكانه كأنه والطوف قطعة واحدة وكانت الريح تلعب بشعره المرسل والنور الكهربائي ينبعث من ذوائبه اشعةً ساطعة كأن كل واحدة منها مشعل متقد

لو ادعى ان هذا النور معجزة هنس لصدقه بعض من الامم

وكذلك كانت رؤوس الامواج منيرة وكانت تشتعل اشتعالاً عند الاصطدام حتى خيل لنا اننا سائرون في فوهة جبل ناري على بحر من المواد البركانية الملتهبة واما سرعة مسيرنا فكانت فائتة الحد لا تقع تحت قيـاس ولا



والنور الكهربائي يبعث من دوائره اشعةً ساطعة (صفحة ١٧٣)

تعديل وكان القلع منتفخاً كأنه زق ملآن والصاري منحنياً مع الريح الى الامام حتى خشيت على الاول من الشق وعلى الثاني من الكسر فاوعزت الى هنس ان يطوي القلع فمنعه الاستاذ من ذلك

وبعد قليل تكشف البرق فكأن الدنيا تشتعل وانهال الوبل فكأن ميازيب السماء انفتحت فلم نعد نرى الا ناراً محرقة وصواعق مبرقة تمزق كبد السماء كل ممزق ولا نسمع الا هزيز الريح وهزيم الرعد ودوي المطر وهدير الامواج والطوف طائر بنا الى حيث لا نعلم ولا نرى

وسلمنا الامور لمن براها والقينا الاعنة للقضاء

يوم الجمعة وهو الثاني والعشرون من الشهر

قضينا ليلاً طويلاً شديد الهول عظيم الخطر لم يغمض لنا فيه جفن حتى الصباح اما الان فقد خفت سورة العواصف قليلاً فامكنني تعليق هذه الاسطر بيد مرتجفة ....

لم يكن الا كلا شقال حتى عاد النوء الى ما كان عليه من الشدة استغفر الله بل زاد على ما كان عليه قبل هذه الفترة ... لم يعد في وسعي الكتابة

يوم السبت وهو الثالث والعشرون من الشهر

نوء مستمر ودوي مستديم ورعد متصل وبرق متواصل وصواعق متتابعة وآذاننا دامية من قوة هذه الاصوات التي بلغت الحد الاقصى من الشدة ولم نعد نسمع صوت كلامنا

فكانما حق العذاب ويوما يوم العذاب وهذه اهواله

عند الظهر اشتدت الريح فصارت تمر الامواج فوق رؤوسنا وكان قد انهكنا التعب وضعفت قوانا من شدة النصب وخشينا ان نسقط في الماء ولم يبق لنا ثقة باستمرار الاتقاء فشددنا نفوسنا انا وعمي الى احد جذوع الطوف بحبل متين وكذلك فعلنا بادوات السفر والامتعة واما هنس فبقي واقفًا في محله عند الدفة ينظر الى اضطراب البحر واشتداد النوء نظرة الاحتقار

لا يداني قلبه فزع لا ولا يهتز من وجلِ

فكأنه نبتون اله البحار

وفي ذلك الوقت مال الاستاذ نحوي ووضع فاه على اذني وقال بعض كلمات باعلى صوته لم اسمع منها شيئًا ولما رأى ان لا سبيل الى المكالمة عمد الى الاشارة فعلمت انه يريد ان يقول انه لم يبق لنا امل في النجاة فكتبت على ظهر احد الصناديق التي بجانبي هذه الكلمات (فلنطوِ القلع) فالقى الاستاذ



ووقفت برهة امام وجهه كأنها تدرس فيه (صفحة ١٧٧)

نظره عليها وقبل ان يبدي جواباً ما سقطت كرة نارية على الصاري فقطعته نصفين وطار النصف الاعلى مع القلع في السماء كانه طير من البتيرودكتيل التي شاهدتها في رؤياي وفي اقل من لحظة تين غاب عن ابصارنا وراء الغيوم المظلمة واما الكرة النارية فاخذت تدور حول الطوف وفوقه ونحن نراقب حركاتها وسكناتها بقلوب واجفة ونفوس جازعة ثم اخذت تجول بيننا كانها ملك الموت يبحث على من جاء في طلب روحه فصعدت اولاً على ساق الصاري ثم سقطت على حعبة الزاد ولم تلبث ان سقطت على سطح الطوف ثم اتجهت

نحو صندوق البارود وعند ذلك زاغت منا الابصار وبلغت القلوب الحناجر واشتد بنا القلق حتى وقفت ضربات قلوبنا خوفًا وامسكنا عن التنفس جزعًا وارتياعًا لاننا ايقنا بالهلاك

فان تكُ قد مرت علينا مخاوف وبانت واتنينا على ذلك البينِ
فما كل وقت نبقى هلكاته وما كل حين يسلم المرْ من حينِ

ولكن الكرة بعد ان صارت على قيد رتب من الصندوق ازورت عنهُ وسارت نحو هنس ووقفت برهة أمام وجهه كانها تتفرس فيه ثم ارتدت نحو الاستاذ فمال من وجهها فتجاوزته اليَّ واخذت تدور حول رجلي فاردت ان انقلها من شلها فلم اتمكن من ذلك لان تلك الكرة النارية التي ليست الا جسما كهربائيًا كانت قد اكسبت كل الحديد الذي على الطوف قوة المغنطيس وكانت رجلي مرتكزة على قطعة منه مسمرة بالخشب فعلقت بها مسامير النعل على انني لما رأيت الكرة قد اتجهت اخيرًا نحو رجلي على خط مستقيم جذبتها بكل قوتي فتخلصت ولم تكشف قطعة الحديد حتى جاءت عليها الكرة ثم انفجرت بغتةً وكأن الف سهم ناري اشتعلت دفعة واحدة فحمدت الله على نجاتي من هذا الحادث العم والخطب الجلل وبعد دقيقة لم يبقَ من تلك الكرة النارية الاَّ رائحة غاز النيتروس التي كادت تخنقنا وفي ذاك الوقت نظرت الى عمي فرأيته سليما ثم نظرت الى هنس فرأيته لم يزل منتصبًا امام الدفة وهو يبصق من فمه نارًا ذات لهيب لكثرة ما في جوفه من الكهرباء على ان الحالة التي كان فيها لم تنسهِ ان ذلك اليوم يوم سبت ولم يشغله الخطر المحدق به عن طلب راتبه الاسبوعي عند حلول اجل الدفع

وما ينفع الدينار والخوف محدق بروح الفتى والغائلات تحوطه

يوم الاحد وهو الرابع والعشرون من الشهر

عند الصبح افقت من غشية طويلة وكان النوء لم يزل شديدًا والبرق يسطع

في السماء متعوجًا كالحيات وكان الطوف طائرًا بنا بسرعة البرق وكنا على يقين من اننا في الايام الثلاثة الاخيرة تجاوزنا حدود انكلترا وقطعنا بحر المنش وارض فرنسا بل ربما تجاوزنا حدود اوربا..

اسمع صوتًا جديدًا لا عهد لي به قبل الان وما هو الا صوت اصطدام الامواج على الصخور...

ان صح ذلك فالهلاك قريب...

الفصل السابع والعشرون

هنا طرحت من يدي دفتر الملحوظات وعدت الى سرد الحديث كالسابق فاقول بعد ان سمعنا صوت اصطدام الامواج على الصخور لم نلبث ان دفعتنا الامواج نحوها لانفعالها بشدة الريح فتحطم طوفنا عليها وسقطنا في المياه مع ادواتنا وامتعتنا

وهناك تخلع القلوب من الردى   فرقًا ويبدو الحتف نصب الاعين

ولولا ان هنسًا انتشلني من بينها وانا غائب عن الهدى لتمزق جسمي عليها حتمًا وشربت كاس الحتف دهاقًا

ولما فتحت عيني وجدت نفسي منطرحًا على رمال الشاطئ بجانب عمي وتفقدت هنسًا فرأيته يغالب الامواج وهو ينازعها بقايا الطوف وصناديق الذخائر والامتعة فعجبت من شدة بأسه وفرط مروءته وآليت على نفسي ان رجعت الى ظاهر الارض سالمًا ان اعترف على رؤوس الاشهاد ان الفضل كل الفضل في نجاح الرحلة لهذا الرجل الذي قلما جاد الزمان بمثله وها انا أفي الان بهذا العهد عملاً بما قيل

ما عشت فبادر الى الجميل وحاذر   من ان تلتقى يد الجميل بكفران

والمحسن فاشكر وقم بحق ثناه   فالشكر قليل على الوفي باحسان

وكان المطر في تلك الساعة ينهمل باشد من الاول دلالة على قرب زوال

النوء وقدوم الصحو فاخذني الاستاذ بيدي وسار بي الى اكمة مؤلفة من صخور متراكمة فوق بعضها فاقمنا في نفق هناك لا يصيبنا المطر ولا السيل وبعد قليل جاء الدليل وقدم لنا شيئًا من الزاد الذي انتزعه من فم البحر فلم امدد اليه يدًا لشدة ما بي من النصب والنعاس بل اضطجعت للرقاد

والنوم سلطان مراسيمه   تلقى على العين والرأس

فلم يستقر رأسي على الوسادة حتى غرقت في بحر عميق من الكرى لاني كنت قد هجرت الوسن منذ ثلاثة ايام كاملة وما استيقظت من نومي الا قرب الظهر من اليوم التالي وكان قد انكف المطر وسكنت الريح وهدأ البحر وصفا الجو وانقشع الضباب عن وجه الماء وارتفع الغيم الى اعلى السماء وريثما ابصرني الاستاذ جالسًا اقبل نحوي يمايل طربًا وقال بوجه باش اهنئك بالسلامة يا اكسيل كيف كانت ليلتك وكيف اصبحت

قلت نمت نومًا هنيئًا ولكني لم ازل ارى نفسي منزعجًا

قال ذلك تأثير الاتعاب التي قاسيتها في الايام الثلاثة الاخيرة ايام النوء وسيزول قريبًا من نفسه

ثم توجهنا نحو محل الغرف لنتفقد الآلات والادوات والذخائر وكنا نخشى من ان يكون ابتلعها البحر باجمعها غير انا بوصولنا الى الشاطىء رأينا هنسًا واقفًا بين عدد عظيم من الصناديق والادوات فاطمأنت نفوسنا اذ ايقنا ان خسائرنا طفيفة ان كان ثم خسارة

على اننا فزنا بارواحنا وقد   سلمنا وبعد الروح لا شيء يذكرُ

وكان ذلك الرجل الشديد النخوة قد احيى الليل ونحن راقدون في مغالبة الامواج ومقاومة الانواء وتجشم الاتعاب حتى تسنى لهُ جمع شتات الامتعة والذخائر مع انهُ كان احوج منا الى الراحة لكونه قضى الايام الثلاثة السابقة منتصبًا على قدميه امام الدفة لم يستقر لهُ جنب ولم يغمض لهُ جفن

هكذا فلتكُ الرجال والا فعلى سائر الرجال العفاء

فتقدم اليه الاستاذ اذ ذاك واعتنقه بفرح شديد وشكر لهُ علو همته شكرا جزيلاً وبعد ذلك اخذنا تتفقد الصناديق واحداً فواحداً ونتعهد الامتعة شيئاً فشيئاً فتبين لنا ان الالات العلمية وهي اهم الجميع في نظر الاستاذ لم يفقد منها شيءٌ وكذلك صناديق الزاد كانت اكثرها سليمة واما الاسلحة فلم ينج منها لا كثير ولا قليل الا ان صناديق البارود والقطن البارودي نجت باجمعها بعد ان كادت تطير بنا في اثناء العاصفة حين سقوط الكرة النارية على الطوف

ما تذكرت ذلك الهول الا وعراني انتفاضة واضطراب

وبعد ان فرغنا من ذلك البحث الذي جاءت نتيجته فوق ما كنا نتمنى كرر الاستاذ لهنس عبارات الشكر والح عليه بان ياخذ لنفسه قليلاً من الراحة ثم اخذني بيدي وسار بي الى رأس عالٍ فجلسنا هناك على صخر متدلٍ فوق البحر وبعد ان تناولنا شيئاً من اللحم القديد والقسماط وشربنا قليلاً من الشاي قلت للاستاذ قل لي يا عماه في اي نقطة نحن الان من الكرة الارضية

قال لا يمكنني ان اعين النقطة التي نحن فيها بالضبط والتدقيق بل على وجه التقريب فقط لان سرعة مسيرنا في ايام العواصف والانواء لا تقع تحت قياس صحيح

قلت قل على وجه التقريب

قال متوسط سرعة مسيرنا بعد قيامنا من جزيرة الغيسر اعني جزيرة اكسيل لم يكن اقل من ثلاثمائة ميل في اليوم فالمسافة التي بيننا وبين تلك الجزيرة اعدلها اذن بالف وخمسمائة ميل وقد كنا ونحن في تلك الجزيرة على بعد الف واربعمائة واثنين وخمسين ميلاً من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي فنكون الان منها على بعد ثلاثة الاف ميل تقريباً

قلت اذن نحن الان تحت البحر المتوسط

قال نعم وقد صح ما كنت اراه من ان بحر ليدنبروك ليس دون البحر المذكور

عظمةً واتساعًا على اننا لا نعلم أقطعناه طولاً ام عرضًا لانهُ في هذه الحالة الاخيرة يكون اكبر من البحر المتوسط

وبعد ان بقينا ساعة نتحدث في امر الرحلة والطريق التي ننتهجها قال لي الاستاذ قم بنا الآن نستكشف هذه الارض التي دفعتنا اليها الريح لعلنا نجد منها الطريق التي سار عليها سكنوسيم فنستأنف المسير نحو مركز الارض في الغد

قلت والرجوع متى يكون وعلى اي طريق

قال لا يكون الرجوع الا بعد الوصول فان كنت ترغب في سرعة الاياب فاجهد النفس في تسهيل سبل الذهاب واما الطريق التي سنعود عليها فاظنها غير التي اتينا منها ومع ذلك فقد اوعزت البارحة الى هنس من قبيل الاحتياط ان يهتم في تصليح الطوف قبل الانتقال من هذه الديار حتى اذا لم نجد طريقًا للرجوع غير التي سلكناها يمكننا استخدامه ثانيةً لقطع بحر ليدنبروك ايابًا

قلت أتؤمل حقيقة يا عماه ان تجد طريقة الى ظاهر الارض غير التي اتينا منها

قال لي الامل الوطيد بان نصادف طرقًا كثيرة لا طريقًا واحدة تنتهي كل منها الى فوهة بركان من البراكين العديدة المنتشرة على سطح الارض

ثم اخذنا نمشي الهوينا ميممين كبد البر متفكرين في الحصول على الوصول والنزوع الى الرجوع وما اعدته لنا الليالي من الكوارث وما عسى ينتظرنا من الحوادث

وكل مخبوء فلا بد ان يكشفه المستقبل المقبلُ
والدهر لا يبقى على حالةٍ لا بد ما يدبر او يقبلُ

اما التربة التي كنا نسير عليها فرسوبية وهي مكسوة بالابواق والاصداف من كل الانواع واكثرها من انواع انقرضت عن وجه الارض ولم يبقَ منها الا بعض احافير متحجرة تتفاخر بها الانتيكخانات الشهيرة ورأيت بين تلك الابواق

صفائح سلاحف لا ينقص عرض بعضها عن خمس عشرة قدماً

فمن مبلغ اهل المتاحف اننا نعد الوفًا من صنوف اللطائفِ
ونخطو عليها بالنعال كأن ذا مباح فلم ينكر بعرف المعارفِ

وشاهدت على الارض كثيرًا من الحصى الاملس فعلمت ان ذلك البركان مغموراً بمياه البحر في العصر الخالية وفضلاً عن ذلك رأيت على روؤس الصخور الشاهقة اثارًا تويد هذا الحكم فحملتني هذه الاكتشافات على البحث في كيفية تكوين ذلك البحر في جوف الارض فقلت لا بد انهُ حدث بين هذه المغارة والاوقيانوس لسبب من الاسباب شق انتها منهُ المياه فملأتها ثم انسد ذلك الشق لسبب اخر وصارت المياه التي في قلب المنارة تذهب في قلب الارض شيئاً فشيئاً بالامتصاص وبعضها يطير بخارًا ويتصاعد من بعض المنافذ الى سطح الارض حتى انكشف البحر عن قسم من الاراضي التي كان اشرنا في الايام الماضية وحكمت بانهُ سيستمر على التناقص شيئًا نشيئًا حتى ينضب ماؤه وينكشف قراره انكشافًا تامًا

ولم نزل نتقدم في ذلك البر الفسيح ماانا اتفكر في تقلبات الزمان وتغيرات الاحوال والاستاذ لا يرى غارًا الا استقصاه ولا نفقًا الا استقراه ولا نقرة الا استكشفها ولا حفرة الا استشرفها ولا كهفًا الا استطلعه ولا شقًا الا سار معهُ املاً في اكتشاف اثر يرشدنا الى الطريق الذي سلكه سكنوسيم فتبعه حتى انتهينا بعد مسير ساعة الى بقعة متسعة تبلغ مساحتها اربعة اميال مربعة ارضها مكسوة بعظام هائلة بقايا حيوانات بائدة من التي عاشت على وجه البسيطة قبل الطوفان كالمستودنت ذي الاسنان الحلمية والدينوتيريوم اكبر الحيوانات الارضية والسيواتيريوم الذي وجد رأسه في جبال سيواليك ببلاد الهند ولم تزل تبحث العلماء حتى الان على بقية هيكله والاتلنتوسوروس اكبر الضباب المعروفة والبرونتوسوروس الذي يشغل اثرمنسمه من الارض يردًا مربعًا والهدروسوروس



بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي (صفحة ١٨٤)

الذي يمشي منتصباً على قدميه كالانسان ويزيد عنهُ في الطول ستة اضعاف الى غير ذلك من الحيوانات العجيبة التي كانت تأهل الارض في قديم الزمان

مضت وبقاياها الشواخص عندنا تعد وتحصى في عداد الغرائبِ
وياربما تاتي خلائق بعدنا يعدوننا من امهات العجائبِ

فاخذتنا الدهشة اذ ذاك ووقفنا برهة صامتين مبهوتين امام تلك الجبانة العظيمة جبانة الحيوانات القديمة بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي ثم دخلناها وقد عملت فينا رغبة الاستكشاف وشغلتنا الافكار التي كانت تختلج

في ضمائرنا عن الكلام فاخذنا نسير صامتين لا نسمع الا قضقضة العظام التي كانت تطأها نعالنا وكنت اتأمل تلك الاحافير بقايا اسلافنا الذين ورثنا الارض عنهم باحترام يخالطه بعض الخوف ولسان حالي يتمثل بقول المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الا من هذه الاجسادِ

اما الاستاذ فكان يضطرب اضطرابًا شديدًا كالبخيل اذا وجد كنزًا ثمينًا او العالم المشغوف بالمطالعة اذا اعيدت مكتبة الاسكندرية الى عالم الوجود واقيم عليها امينًا

وبينما نحن سائرون فوق هاته العظام متخللين تلك الهياكل الهوائل التي تستوقف بغرابتها النعام الجافل حانت مني التفاتة الى اليمين فابصرت على قيد رمح مني جثة انسان كاملة محفوظة من البلى فوثبت نحوها وصرخت صرخة استلفتت نظر الاستاذ اليها ففعل كفعلي بل انطرح عليها كأنها جثة فقيد عزيز لديه

وكانت تلك الجثة سمراء البشرة كأنها موميا مصرية ولا شك انهُ مضى عليها في تلك الارض مئات الوف من السنين وما بقيت محفوظة على حالها الالوجودها في تربة توفرت فيها الشروط اللازمة لحفظ الاجسام من البلى كتربة جبانة القديس ميخائيل في مدينة بوردو بفرنسا فلا يحتاج بقاء الجسم فيها لان يدخل في عالم التصبير او يكون من القديسين المشاهير وقد كنت حسبتها في بادىء الامر حالما وقع نظري عليها ورأيت شعرها الكثيف واظافرها المستطيلة التي تثبت ان صاحبها قضى حياته في حالة التوحش التام انها جثة ذلك الحيوان المتوسط بين القرد والانسان صاحب تلك الحلقة التي لم تزل مفقودة من حلقات السلسلة الحيوانية لا جثة انسان مثلنا اما الاستاذ فعرفها من اول نظرة انها جثة انسان حقيقي لا يختلف عنا بشيء في التركيب

وكان بجانب تلك الجثة آلات عديدة صوانية كفؤوس ومطارق وسكاكين



وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول ست اقدام (صفحة ١٨٦)

وشيءٌ كثير من عظـام الحيوانات التي ابادها بردِ العصر الجليدي وهي محطومة بتلك الآلات حطماً متشابهاً متناسباً بحيث لم يبقَ عندنا شك في ان اليد التي ضربتها يد انسان عاقل اراد استخراج مخها والاغتذاء به وبعد ان بقي الاستاذ برهة يتامل تلك البقايا قال لي اعلم يا اكسيل انك قد كشفت الغطـا بهذا الاكتشاف عن حقيقتين لم تزل حتى الان موضوعاً للبحث والجدال بين اشهر علماء العالم اما الاولى فوجود الانسان على الارض قبل الدور الجليدي خلافاً للقائلين بحداثة عهده والثانية بقاء جثثه من حيث الكبر والصغر على ما كانت

عليه في القدم حتى ايامنا هذه

ثم اوقف الجثة واسندها الى صخر قريب وقال لا شك في ان هذه الجثة اقدم ما وجده العلماء من بقايا اجدادنا حتى الان وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول ست اقدام فاين هي من هياكل الجبابرة التي ولدتها الاوهام

قتل ابن آدم كم يزيغ فواده　　فيرى اموراً قط لن تتصورا
والحق بادٍ للانام وانما　　يحتاج صاحبه لان يتفكرا

وكنت موافقاً لعمي على هذا الراي قبل اكتشاف تلك الحجة الدامغة فلم اكن لاخالفه بعدها على اني اعلم ان الدور الحجري لم يخلُ من الجبابرة كما ان دورنا الحديدي لا يخلو منها وقد قال العلامة بيفون المحقق ان رجلاً يدعى هنس بار بلغ من الطول احدى عشر قدماً اي اكثر من ثلاثة امتار ونصف فاي شي يمنع من ان يكون الدور الحجري اوجد جبابرة كهذا او اعظم منه

ثم وقفنا نتامل في كيفية وجود تلك الجثة في جوف الارض على ذلك العمق أعاش صاحبها حيث وجدناها ام ذهبت بها القشرة الارضيـة اثر خسوف عراها سوآل وضعناه ولم نستطع عليه جواباً

الفصل الثامن والعشرون

ما ابتعدنا عن محل الجثة قيد غلوة حتى اشرفنا على غيضة عظيمة لا يدرك البصر منتهاها وهي ذات اشجار باسقة تناطح روؤسها السحاب تتخللها جداول كثيرة يتيه النظر فى مجاريها ويضل البصر بين المقبل والمدبر منها فوقفنـا دقيقة نسرح الطرف في آكامها وبراريها ونتسأل عن ظواهرها وخوافيها وعما عسى ان نصادفه في فيافيها من عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات وكانت قد مضت الساعة السادسة من المساء وجاء وقت العشاء الا ان الغرائب التي تجلت لنا متوالية واحدة بعد واحدة الهتنا عن التعب والجوع وانستنا حلول



ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة (صحيفة ١٨٧)

زمن الرجوع فانحدرنا من الرابية التي كنا عليها قاصدين تلك الغيضة الباهرة ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة لولا ان شجرها بلا ثمر ونباتها اغبر اقتر كالورق البالي اذا ذهب لونه

اما النبات القائم فيها فانواع واجناس وقد ميزت منها الحور والتين والنخل والبلوط والجوز والصنوبر والسرو والعرعر والسرخس والتنوب وجملة انواع من الفصيلة البقلية كالقرظ ونحوه وعلمت من اختلاط نباتات المنطقة الحارة فيها بالخاص منها بالمنطقة الباردة ان تلك البقعة هي على ما كانت عليه

حالة الارض في دورها الثالث من الادوار الجيولوجية الاربعة ثم حدثت نفسي قائلاً اذا كان الامر كذلك فلماذا لا تكون هذه الارض ماهولة بالحيوانات التي عاشت في ذلك الدور واي شيء يمنع من وجودها وقد اعدت لها الطبيعة ماكلها ومشربها

وبينما انا اردد الفكر في جائز هذه الامور وممنوعها واسرح الطرف بين اغصان الاشجار وجذوعها لاح لعيني شبح بعيد فامسكت عن الحركة موجساً خيفة واوقفت عمي عن التقدم ثم دققت النظر في ذلك الخيال فرأيت بل خيل لي اني ارى ما لم يخطر لي قط ببال ولا ازال انكر وجوده حتى الآن رجل حي يبلغ من الطول اربعة امتار يسوق امامه عرجلة من الافيال فارتعدت فرائصي فرقاً وطارت نفسي شعاعاً حتى كاد الدم يجمد في عروقي اما عمي فحالما وقع نظره على تلك الحيوانات الهائلة اراد ان يقصدها كأنما هي صيد سهل النوال فجذبته من يده بعنف شديد قائلاً ماذا تفعل أأضعت الرشد ام ظننت هذه الحيوانات كثعالب برية همبرج ثم جررته فسار معي بدون ممانعة ولا معارضة وخرجت به من الغيضة ونحن نعدو عدو الخائف الوجل كاننا فرسا رهان اذا ارسل لها العنان وما زلنا نركض حتى دخلنا ارض الجبانة وتوارينا وراء الكثبان فانطرحنا هناك على الثرى وقد اعيانا التعب حتى اعجزنا عن الكلام وبعد ان سكن روعنا وهدأ جاشنا داخلنا الريب في كون الذي رأيناه انساناً حقيقياً من الجبابرة الهائلة التي انكرنا على بعض العلماء الاعتقاد بوجودها في العصر الخالية وحكمنا بان ابصارنا اضلت بصائرنا او على الاقل ان ذلك الحيوان المنتصب على قدميه هو فرد من القرود القديمة من انواع البروتوبيتيك او الميزوبيتيك التي انقرضت عن وجه الارض وبعد ذلك اراد الاستاذ ان يعود الى الغيضة ليحقق النظر في ذلك الحيوان العجيب وكان يظهر لي انه خجلان من انقياده الى الفرار فبينت له وخامة ذلك الرأي لا سيما ونحن عزل ولم ينقد لرأيي الا بعد



يسوق امامه عرجلة من الافيال (صفحة ١٨٨)

العناء الشديد والجهد الجهيد

ثم قصدنا المحل الذي تركنا فيه هنسًا ولكن طريق الاياب كانت غير طريق الذهاب وقد اتضح لي ذلك من كثرة الكهوف والمغائر التي صادفناها اذ ذاك وقد شاهدنا في تلك الكهوف هياكل بشرية كثيرة غير اننا لم نكترث بها لان الحيوانات الحية التي صادفناها في الغيضة كانت شاغلة افكارنا عن كل شي سواها

بطل التشبيب بالرسوم اذا بدت　　عين الحقائق نصب عين الرائي

جاز التيمم حيث لا مـاء وقد بطل التيمم مع وجود المـاء

وبينما نحن سائرون تحت تأثير تلك الافكار توغلنا في طريق ضيقة محفوفة من الجانبين بصخور شاهقة ثم انتهينـا منها الى نقطة من الشاطىء غير النقطة المقصودة ولم تتنبه لامرنا الا ونحن على باب سرداب مظلم يتخلل قلب تلك الصخور فخطونا فيه بضع خطوات بقصد استكشاف تكوينه فتبين لنا ان جدرانه الداخلية مطلية بالسوائل البركانيـة وعند ذلك صرخ الاستاذ قائلاً هذه هي الطريق التي جئت ابحث عنها هذه هي التي تذهب بنا الى مركز الارض ألا ما ابركه من مساء ثم اخذ يتنقل في ارض السرداب يمنة ويسرة وهو يعيد النظر في جدرانه ويلمسها بيديه ولوائح الفرح الشديد ظاهرة على وجهه

اذا اقبل التوفيق فالخير مقبل يجيء الفتى من حيث يدري ولا يدري

اما انا فوقفت مرتابًا في صحة رأيه متردداً بين الشك واليقين وبعد قليل قال لي يجب علينا الان يا أكسيل ان نعود الى حيث تركنا هنساً وفي الغد نرجع الى هذا المكان بادواتنا وامتعتنا فنستأنف المسير نحو مركز الارض بلا مهل فاننا قد صرفنا في القارة السادسة زمنًا طويلاً وقد تاقت نفسي الى الحركة بعد طول السكون الا انهُ يجب علينا ان نحقق النقطة التي نحن فيها الان لئلا نضل عنها في الغد

قال هذا وخرج من باب السرداب فخرجت وراءه وبينما نحن نتفرس في الصخور المجاورة رأيت فوق الباب رسم الحرفين الاولين من اسم ارن سكنوسيم باللغة الايسلاندية وهذه صورتها

· ᛅ · ᛋ ·

فاقشعر بدني اذ ذاك وكنت حتى تلك الساعة باقيًا في ريب من صدق الرقعة السرية فلم يبق بعد ذلك للريب من سبيل وايقنت ان ارن سكنوسيم لم يقف عند فوهة بركان اسنيفل حيث وجدنا رسم اسمه كاملاً بل دخل حقيقة

في جوف الارض وسار على نفس الطريق التي سرنا عليها نحن فعظم حينئذٍ ذلك الرجل في عيني حتى لم يعد لي جسارة على تكذيب خبر بلوغه مركز الكرة الارضية مع ما هو عليه من المخالفة للقواعد العلمية

اما الاستاذ فلما رأى تلك الحروف كاد يخر لها ساجداً ثم هتف مخاطباً شخص سكنوسيم قائلاً حيي الغيث ثراك ايها العالم العظيم انت الذي فتحت للانسان سبيل الاطلاع على خفايا الكرة الارضية ومكنوناتها وخططت له طريق العلم باحوال الدهور الماضية وكائناتها ولم تكتف بالاشارة الى تلك الطريق في رقعتك السرية الناطقة بفضلك وحكمتك بل تركت للذين يريدون اقتفاء اثرك دليلاً من صنع يدك يقودهم عليها وهذا الدليل هو اسمك الذي قرأناه على الصخور القائمة عند فوهة اسنيفل هو الذي نراه الان هو الذي سيرشدنا الى طريقنا حيثما نخشى التيه وسنراه في مركز الارض ايضاً مرسوماً على صفحات صخورها النارية

وبعد ذلك انصرفنا الى المحل الذي نزلنا فيه ونحن نتحدث في امر تلك الاكتشافات الغريبة التي وقفنا عليها في يومنا ونحمد الصدفة العجيبة التي ساقتنا الى باب الشق نفسه الذي ولجه سكنوسيم

وفي صباح اليوم الثاني عدنا الى ذلك المكان على ظهر الطوف مستصحبين معنا جميع الادوات والذخائر وكان قد احدث فيَّ ذلك الاكتشاف رغبة في السفر لم اشعر بها من قبل وحال وصولنا شرعنا في الاستعداد للمسير فقسمنا الامتعة الى اقسام ثلاثة لكل واحد منا قسم كما فعلنا يوم ودعنا ظاهر الارض ثم اودعنا الطوف محلاً اميناً بمعزل عن الرياح والعواصف وشددناه بحبل متين الى بعض الصخور وبعد ذلك تأبط كل منا قربة مملوءة من مياه المطر اخذناها من النقر المجاورة ودخلنا السرداب على نور المصباح والبشر يلمع في وجوهنا على اننا لم نخطُ الاعشرين خطوة حتى وصلنا الى صخر قائم في وجه الطريق

لا منفذ منهُ فوقفنا محتارين في امرنا ونحن لا نكاد نصدق اعيننا شأن الرجل اذا سقط فجأة من عرش الامل الى وهدة اليأس لا يجد لامره تدبيرًا ثم اخذنا نتجس ارض السرداب ونعيد النظر في جدرانه على امل ان نجد شقًا نلجه ولكننا لم نجد الا التعب والعناء فاخذ منا الغيظ ماخذًا عظيما وكنت قد نسيت ابنة عمي وشغلت عن ذكرها برغبة الاستقراء والاستكشاف فاسندت ظهري الى الحائط وقلت بصوت الآيس : اقضي علينا اذن بالرجوع الى ظاهر الارض قبل بلوغ مركزها

وكان الاستاذ لم يزل يتفرس في جوانب الصخر ويتأمل في سقف الدهليز ثم قال ان المواد البركانية التي تكسو هذه الجدران لم تنبعث من النقطة التي نحن فيها بل من مصدر بعيد عميق فهذا الصخر حادث يا اكسيل ولا شك انهُ سقط من سقف السرداب عقب زلزال او عامل آخر من العوامل الطبيعية وعندي ان سكنوسيم لم يصادف هذا الحاجز في طريقهِ

قلت ان كان الامر كما تقول فليس لنا الا ازالته باي طريقة كانت وان لم نقوَ على ذلك فلا ندون اهلاً لان نقتفي اثر سكنوسيم

قال وما هي الطريقة التي تمكننا من بلوغ الارب

قلت اين القطن البارودي الذي استصحبناه فها قد جاء وقت استعماله وانا اقول ان هذا القطن لم يسلم من لهيب الكرة النارية تم من الغرق الا لهذه الغاية

فاطرق الاستاذ برهة ثم قال لا غنى لنا عن الواسطة التي تشير باتخاذها يا اكسيل فهي وحدها موصلة الى ازالة هذا الحاجز الذي حال دون بغيتنا

وفي الحال حططنا الاحمال عن ظهورنا وباشرنا عمل اللغم فتولى هنس امر النقر واخذت اشتغل انا وعمي في اعداد فتيل طويل محشو بارودًا مبلولاً بالماء ولم يات الظهر الا وقد بلغ النقر العمق الكافي لخزن خمسين رطلاً من القطن البارودي وهو القدر الذي كان عندنا من تلك المواد فحشوناه بها وسددنا



فاخذ منا العبط مأخذًا عظيمًا (صفحة ١٩٣)

الفوهة سدًّا محكما قويًا على الطريقة المشهورة

وبعد ذلك سألت الاستاذ ان يوليني امر اشعال الفتيل فاجابني الى طلبي مطمئن البال لانه كان يعلم ان احترا ق الفتيل يستغرق من الزمن عشر دقائق كاملة نظرًا لطوله ورطوبته

ثم قلت لهُ من الممكن ان يحدث التفرقع زلزالاً هائلاً في جميع الصخور المجاورة فارى من الحكمة ان نوسع في البحر بعد اشعال الفتيل فانتظرني مع هنس على ظهر الطوف وسالحق بكما حالاً

قال صدقت ياأكسيل فافعل وعد الينا سريعًا

ثم انصرف مع هنس نحو الطوف وبعد ان اعادا اليه جميع الادوات والامتعة واستويا على ظهره اخذ الاستاذ ساعته بيده ثم قال (افعل) فادنيت النار من طرف الفتيل فاشتعل وفي الحال لحقت بعمي وهنس وكانا قد حلا عقال الطوف فاطلقا له العنان ولما صرنا على بعد خمسين متراً من الشاطيء وقفنا نراقب فعل النار في السرداب ونحن نعد الدقائق والثواني وقلوبنا تنتفض بالرغم عنا

الفصل التاسع والعشرون

سنلقى اليوم اهوالاً شداداً فتنسينا الذي كنا لقينا
وكانت في الحياة لنا ظنون وها قد صار مصرعنا يقينا

على اننا منذ الآن الغينا التدابير واستسلمنا الى احكام التقادير وصرنا العوبة بيد العناصر تلعب بنا كيف شاءت

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

اقول ما جاءت الثانية الستون من الدقيقة العاشرة بعد اشعال الفتيل الا وقد انشق وجه الارض فجأة وانصدع ظهرها بغتة فرأيت امامي هاوية خاوية مظلمة مخيفة وفي الوقت نفسه هاج البحر وماج حتى خلت ان الارض تقوض بنيانها والدنيا اندكت اركانها ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج وهوى بنا في قلب الهوية على ظهر المياه الساقطة ولم يكن كلمح البصر او هو اقرب حتى غاب النور عن بصرنا واصبحنا تحت ليل دجوجي فوق بحر لجي

كعش عصفورة من فوق مرتفع هوى بافراخها في حندس الظلم

اما العوامل التي اخذت تتنازعني بعد سقوطنا في الهوية فلا تسل عنها عجبٌ فحيرةٌ فهلعٌ فيأسٌ فذهول ولما انتبهت لنفسي عجبت في بادىء الامر من بقائي حياً ثم شعرت بان المياه منحدرة بالطوف على طريق تكاد تكون عمودية ووجدت نفسي متمسكاً بساق الصاري تمسك الذئب بالشياه او الظمآن ببقايا



ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج (صفحة ١٩٤)

المياه او الانسان باسباب الحياه ولم افعل ذلك عن انتباه ولكن ناموس التشبث بالبقاء دفعني الى فعله والمرء خاضع لاحكام النواميس الطبيعية سواء غاب فكره او حضر ثم افتقدت عمي وهمساً فوجدتها بجانبي وكان بودي المكالمة معها ولكن شدة هدير المياه لم تكن لتترك لنا سبيلاً الى ذلك

ثم تفكرت في كيفية حدوث الشق الذي سقطنا فيه فادركت السبب بالرغم عن اضطراب افكاري ذلك ان الشق كان موجوداً في جوف الارض محجوباً عن العيون بطبقة من الصخور فلما رفعها عنه البارود اصبح سطحه اسفل من

سطح البحر فذهب فيه طوفنا مع قسم من مياهه ولما تعقلت الامر علمت حقيقة الخطر الذي كنا فيه وايقنت بالهلاك القريب على انه مضى علينا ساعات طوال ونحن على تلك الحال تارة يصطدم احد جانبي الطوف بصخر من صخور الجدران فيدور على محوره بسرعة تفوق حد الوصف حتى يكاد ينثرنا عن ظهره وهو مع ذلك مستمر الهوي الى السفل كالارض في حركتيها وطوراً يخيل لنا اننا ساقطون في بئر عمودية فنستسلم الى اليأس ونستعد للهلاك ولما طال علينا الامر اعيانا التعب وتمكن منا الدوار فلو تكررت صدمات الطوف بالجدران ونحن على تلك الحال لسقطنا عن ظهره حتماً ولكن تلك الصدمات بعد ان كانت كثيرة في بادئ الامر اخذت تقل شيئاً فشيئاً حتى صار حصولها نادراً جداً فعلمت ان الشق ازداد اتساعاً وبالنظر الى ذلك والى بعد قراره ايقنت انه هو الذي اتبعه سكنوسيم فكنا والحالة هذه قد سرنا بالفعل على اثره ولكن لعدم التروي جررنا على اثرنا بحراً زاخراً ليس له من حاجة في اكتشاف مركز الارض

اما سرعة مسيرنا فلا يعلم حقيقتها الا الله ولعلها لا تنقص كثيراً عن سرعة القنابل المقذوفة من افواه المدافع

وبينما نحن سائرون بهذه الكيفية شعرت ان الطوف سقط بنا سقطة عمودية تامة فقلت قضي والله الامر

قد اتى يومنا وحم الحمامُ فعلى هذه الحياة السلامُ
كل من عاش في الحروب طويلا طائل آخر اليه الحسامُ

ثم غمضت عيني استعداداً لشرب كأس الحمام غير ان سقوطنا لم يكن على اليابسة كما كنت اخشى بل في حوض مملوء ماء وما بلغنا سطح الحوض حتى انصب علينا عمود من المياه واحاطت بنا حباله من كل جانب فذهبنا في قلب الحوض حتى ضاق مني الصدر وعيل الصبر وتجرعت من مائه الزعاق ما كادت تبلغ به الروح التراق



وفي ذلك الوقت سطع نور في قلب الديرشباة (صفحة ١٩٨)

وخرجنا من عالم الانس قسراً ودخلنا في عالم الاسماكِ

ثم برزنا من تحت المياه وكان الاستاذ والدليل قابضين كل منهما على ذراع من ذراعيَّ بيد من يديه وفي تلك الساعة وقف الطوف عن حركته العنيفة وخف هدير الماء فسمعت عمي يقول نحن الان في صعود

قلت كيف ذلك هل بلغنا مركز الارض

قال لا ولا بد هنا من احد امرين فاما ان الشق الذي جئنا منهُ ينتهي حيث نحن الان وفي هذه الحالة لا يكون هو نفسه الذي سار فيه سكنوسيم واما ان

تكون على باب مضيق لا يكفي لتصريف القدر الذي ياتيه من المياه وفي هذه الحالة لا يستبعد ان يكون هو هو وعلى كلا الوجهين فنحن الان في صعود مستمر

وفي ذلك الوقت سطع نور في قلب الدهليز فجأةً

كالبرق يشرق في الظلام ولم يكن اشراقه متوقعاً للساري

وكان مصدر ذلك النور من وراء ظهري فالتفت مذعوراً فابصرت هنساً رافعاً مشعلاً متقداً لا اعلم كيف توصل الى اشعاله ثم حققت النظر في المياه فرأيتها آخذة في الارتفاع بسرعة شديدة وكنا اذ ذاك في قناة ضيقة غير التي تأتي منها المياه فعلمت ان الحوض الذي وقف الطوف عنده هو قرار مشترك بينهما وحكمت ان سرعة ارتفاع المياه في كلتا القناتين لا بد أن تكون متساوية متعادلة بالرغم عن تفاوت اتساعهما

ثم القيت نظري على الطوف فلم اجد شيئاً من الادوات والامتعة والذخائر سوى رمة حبل مربوطة بساق الصاري وقدرة من اللحم لا تشبع طفلاً فعجبت ولكن من بقاء تينك القطعتين لاني كنت حسبت ان ايدي المياه التي لعبت بالطوف لم تبق على ظهره شيئاً

نفد الزاد والمزايد منا واستعدت نفوسنا للنفادِ

على ان فقد الزاد لم يزدني جزعاً ولا يأساً لان ابعد شي كنت اخشاه اذ ذاك والمخاوف محدقة بنا من كل جانب هو الموت جوعاً اما عمي فلما علم بفقد الزاد ظهرت على وجهه لوائح الاسف فعجبت من ذلك وقلت لهُ هب ان عندنا من الزاد مؤونة سنة فكيف ننجو من الغرق القريب الذي ينتظرنا بل هب اننا لا نملك من الزاد شيئاً فهل تمهلنا المياه حتى نموت جوعاً

فقال ما اقربك الى اليأس وابعدك من الشجاعة والبأس

فعجبت من هذا الكلام في ذلك المقام واعتقدت ان عمي لم يجبل من ذات الطينة التي جبل منها عموم البشر ثم قلت لهُ بالله قل لي ياعماه اي شيء ترجوه

وأي باب للنجاة نؤملهُ أترى بدًّا من الوصول قريبًا الى اخر هذا الشق وهل بعد ذلك الا الموت غرقًا في الماء او خنقًا بشدة ضغط الهواء

قال كما يحتمل ان يكون الامر كما تقول يحتمل ايضًا وهو المرجح عندي ان ينتهي بنا هذا الشق الى ظاهر الارض وعلى كل الاحوال حالتنا الان اقل خطرًا من الحالة التي كنا عليها في اثناء سقوطنا وكيفما كان الامر فلا يجوز للانسان ان يقطع الامل من الحياة ما دامت الروح تختلج في فوادهِ كما قيل

ما دمت حيًّا فاعتلق ابدًا باسباب الامل

لم يقضِ حق العلم من اهوى الى ترك العمل

فاخذني العجب من شدة باسهِ وقوة نفسهِ ثم قلت لهُ بماذا تشير الان

قال باكل هذه البقية من الزاد وهي على صغر حجمها نعوض بعض ما فقدناه من القوة بسبب الاتعاب التي قاسيناها ونذكر قول من قال

ولا تحتقر امر القليل فطالما رأينا قليل الامر جر كثيره

ثم قسم تلك القدرة الى ثلاثة اثلاث فاكلت ما خصني منها بدون قابلية وبعد ذلك قال تيقظوا وكونوا مستعدين لاغتنام اول فرصة تعرض لنا ترجى منها النجاة ولدفع كل عارض يسبب الهلاك لان حياتنا ربما كانت موقوفة على امر طفيف واحترسوا خصوصًا من ان يعلق الطوف في نقرة مسدودة او يحيد عن مجرى القناة التي نحن فيها

ففعلنا بحسب اشارته وكنت افعل ذلك طلبًا لمرضاته وإيثارًا لطاعته لا طمعًا في النجاة ولا املاً في الحياة وكيف آمل البقاء وحيني نصب عيني وحمامي امامي وحتفي خلفي وبواري عن يميني ويساري

فلا امتري فيما اراه محققًا ولو جاءني عمي بالف دليل

وكان الطوف لم يزل سائرًا بنا على معدل واحد من السرعة يرتفع في الساعة نحوًا من سبعة اميال فقال الاستاذ اذا استمرت سرعة الطوف على ما هي



ثم احدثت الحرارة زيادة المدرج حتى كدت ازاهق ارواحنا (صفحة ٣٠١)

عليه فعما قليل نكون على مساواة سطح بحر ليدنبرولـ وحينئذٍ تقف المياه عن الارتفاع فيزول عنا نصف الخطر وهو خطر الغرق ولا يبقى امامنا الا صعوبة التسلق حتى ظاهر الارض مسافة سبعة وسبعين ميلاً عمودياً ووجود ما نقتات به لحين وصولنا

قلت وهب اننا وجدنا ما نقتات به فهل تعتقد حقيقة ان هذه القناة تنتهي الى ظاهر الارض وهل لديك من وسيلة الى الصعود على جدرانها بدون حبال ولا سلالم

قال اما كون هذه الانبوبة تنتهي الى ظاهر الارض فهذا امر ترجح عندي حتى كاد يكون حقيقيًا واما الحبال اللازمة للصعود فنصطنعها من ملابسنا ونحن الان في اواسط فصل الصيف وتحت المنطقة المعتدلة ان لم تقل الحارة فلا نخشى البرد

فسكت مفحمًا عن الجواب وقد احيى هذا الكلام بعض الامل في فوادي فرجعت عن القطع بالحتف وكان الطوف لا يزال يرتفع بنا بسرعته المعتادة بل ما زيد منها وكذلك اشتدت الحرارة جدًا فصار الاستاذ يقوم ويقعد ويتفرس تارة في وجه الماء وطورًا في جدران القناة ولوائح الحيرة والقلق ظاهرة على وجهه ثم اخذ يناجي نفسه همسًا فتلفظ ببعض اسماء علمية من اسماء طبقات الكرة الارضية كالنيس والميكاشيت ثم قال بصوت عال لا شك اننا ارتفعنا عن سطح بحر ليدنبروك

قلت كيف علمت ذلك

قال منذ ساعة تقريبًا اختلفت سرعة الطوف عما كانت عليه من قبل اختلافًا بينًا ولم تثبت بعدها على حالة واحدة ثم ارتفعت الحرارة فجأة فاستنتجت من ذلك ان ارتفاعنا لم يعد بفعل مياه بحر ليدنبروك بل بفعل عامل اخر وقد اثبتت لي التربة التي نحن فيها الان اننا اقرب الى ظاهر الارض من بحر ليدنبروك بكثير

قلت وما هو اذن العامل الذي يرفع المياه التي نحن عليها

قال ان صدقني ظني فنحن الان في قناة بركان غير منطفئ٠

فقلت وقد عاودني اليأس والقنوط اي في قناة بركان هائج

قال اي وها قد كفينا عناء المسير تسلقًا وخطر الموت جوعًا

قلت وكفينا ايضًا عناء المعيشة ومتاعب الحياة

ثم اخذت الحرارة تزداد بالتدريج حتى كادت تزهق ارواحنا وفي تلك

الاثناء لمست يدي الماء اتفاقًا فوجدته في درجة الغليان ولما أنعمت النظر فيه رأيت تحت سطحه على عمق قليل طبقة مؤلفة من فتات الصخور النارية والسوائل البركانية فعلمت ان ساعتنا قريبة وان اجلنا قد جاء ثم سمعت دمدمة بعيدة في قلب الارض ورأيت جدران القناة ترتعش ارتعاشًا وبعد قليل بدت لنواظرنا فوهة البركان كانها الشمس تغيب في افقها الغربي لابسة غلائلها الورسية وقد حال اصل لونها الاصلي فخيل لي انها شمس حياتنا وقد مالت للغروب فهاجت اشجاني وجاشت احزاني واسترسلت في بحار الحزن والاسف واستسلمت لحكم القضاء والقدر

ولم يزل الطوف طائرًا بنا صعدًا وفوهة البركان تزداد في نظرنا اتساعًا شيئًا فشيئًا حتى لم نعد منها الا على بعد بضعة اميال فوجدنا نفوسنا اذ ذاك بين صخور كثيرة الشقوق يندلع منها اللهب السنة هائلة تتلاعب على الجدران ولها زفير وحسيس تقشعر منها الابدان ونحن محصورون بين الحميم والجحيم على ملمس من السعير ومسمع من الزفير كانّنا ملائكة العذاب او خزنة جهنم او عصاة يعذبون في سقر ولكن قبل ان تقوم القيامة

وفي تلك الساعة وقف الطوف عن الحركة بغتة فظننت في بادئ الامر انهُ علق بصخر من صخور الجدران غير انهُ اتضح لي بعد ذلك ان المواد نفسها التي تحت الطوف في سكون تام فعجبت من ذلك الحادث الذي لم اعلم لهُ سببًا وقلت للاستاذ ما قولك يا عماه ألا تظن ان الهيجان قد سكن

فقال لا ولكن البركان الذي نحن فيه هيجانه متقطع وقد ظهر لي اننا في غير القناة الاصلية

وما اتم الاستاذ كلامه حتى عاد الطوف الى الارتفاع بسرعة اشد من الاول ثم وقف ثانيةً مدة معادلة للمدة الاولى ولم يزل يهيج مرة ويهجع اخرى حتى لم يعد بيننا وبين الفوهة الا ميل واحد فاضطربت اذ ذاك هلعًا وتضعضعت



يدلع منها اللهيب السنة هائلة تتلاعب على الجدران ولها زفير وحسيس (صفحة ٢٠٢)

افكاري خوفًا وجزعًا وانطرحت على الطوف منكبًا على وجهي ثم خيل لي ان الارض تميد بي وسمعت دمدمة اشد من هزيم الرعد وبعد ذلك شعرت ان الطوف يدور على محوره فوق بحر من السوائل البركانية ورأيت السماء تمطرحما وصخورًا نارية ثم بدا لعيني خيال هنس في وسط اللهيب وفقدت الشعور بالمرة

الفصل الثلاثون

مضت الرحلة واهوالها وانقضت الشدة واوجالها وبارحنا المضايق واعماقها والصخور وطباقها وعدنا الى ظاهر الارض سالمين ونحن الآن نخوض تربة

خضراء لا نخشى هبوطها ونجول تحت قبة زرقاء لا نخاف سقوطها ونتنسم هواء معتدلاً لطيفًا ونشرب ماء باردًا خفيفًا ونسرح الطرف في عالم بعيد الافق فسيح الارجاء

نختال في امنٍ ونمرح في صفًا ونسير تحت كواكب وشموسِ

اما نجاتنا من نيران البركان بعد ان رأينا الحين رأي العين فمن نوادر العجائب وعجائب النوادر ذلك ان احدى نوب الهيجان وقفت بنا على مساواة سطح الفوهة او تجاوزته بقليل فجرت بعض السوائل البركانية متدفقة من احدى جوانب الفوهة حاملة طوفنا على ظهرها ثم استقرّ بنا الطوف على اليابسة فاخذني هنس بين ذراعيه وانا غائب عن الهدى

لست ادري من ولا كيف انا لا ولا ايان كنـا اومتى

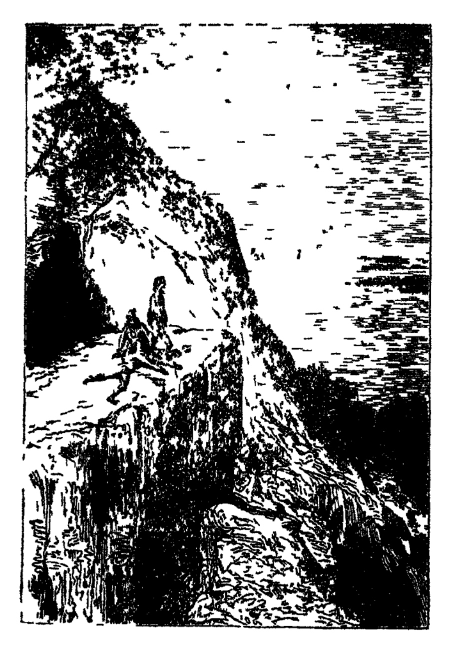
وسرعان ما التجاء بي الى كنف صخر قريب

ووقانـا بذاك الصخر نارًا كأن لهُ على الغيب اطلاعا

وريثما تحجبنا عن فوهة البركان عادت نوبة الهيجان فصعدت الحمم الى السماء عمودًا ثم انتشرت فوق الارض كالمظلة فامتلأت الدنيا نارًا ولهيبًا وامطرت السماء صخورًا مصهورة وغير مصهورة ولكنا كنا اذ ذاك محجوبين عن الخطر وراء الصخر فلم نصب منها بضرٍ

فلئن اعش لا سقين قلائدًا في شكره واشارك الحسناءا

ولما افقت من غشيتي اتاني هنس بشيء من العنب قطفه من الكروم المغروسة بسفح الجبل فاكلت حتى اكتفيت فانتعشت نفسي وانشرح صدري ثم قصدنا قرية حقيرة مبنية على شاطئ البحر بالقرب من الجبل وفي اثناء مسيرنا توافقنا على اخفاء حقيقة امرنا عن كل احد حذرًا من ان تكون الاقدار رمتنا بين قوم ممن تسلطت الاوهام على اذهانهم فاذا عرفوا اننا قادمون من قلب الارض تقرر عندهم اننا من جن الهاوية وقابلونا باللعن متعوذين بالله منا واقفلوا الابواب



وسرعان ما التجأ ي الى كهف صخر قريب (صفحة ٢٠٤)

دوننا بل ربما رجمونا بالحجارة رجمًا لا سيما ان منظر الاستاذ وقتئذٍ ربما كان يؤيد هذا الظن فلما دخلنا القرية ادعينا انا قوم غرباء غرقت سفينتنا في البحر وقذفتنا الامواج الى تلك الديار فقابلنا اهلها بالتصديق وابدوا لمصابنا بعض الاسف فاطمأنت قلوبنا وعلمنا ان قد خفي عليهم امرنا

كاننا لم نجئهم ناضحين ولم تعلق باجسامنا آثار كبريتِ
او لم يروا منظر الاستاذ منتطقًا ودون صورته شكل العفاريتِ

ثم اخذنا شيخ القرية الى منزله وجاد علينا ببعض ملابس وفي تلك الليلة

عرفنا ان القرية التي نحن فيها هي قرية استرمبولي من قرى جزيرة صقلية الخاضعة لمملكة ايطاليا فعلمنا ان البركان الذي خرجنا منه هو بركان استرمبولي وهو قائم على شاطيء البحر كغالب البراكين التي على وجه الارض ثم عرفنا اننا في اليوم الثلاثين من شهر اغسطس فعلمنا ان المدة التي مضت علينا منذ سقوطنا في الشق مع مياه بحر ليدنبروك لحين رجوعنا الى ظاهر الارض ثلاثة ايام وان هذه الرحلة العجيبة استغرقت واحداً وستين يوماً كاملة منذ دخولنا فوهة بركان اسنيفل المنطفيء لحين خروجنا من فوهة بركان استرمبولي الملتهب

وفي تلك الليلة نفسها بعد ان فارقنا صاحب المنزل وقبل ان نضطجع للرقاد طلب هنس راتبه الاسبوعي من الاستاذ وكان قد برح من بالي ان ذلك اليوم يوم سبت فعجبت من قوة ذاكرته اذ لم يغفل مرة واحدة عن طلب مرتبه في الميعاد القانونى مع ان الاهوال التي لاقيناها كثيراً ما انستني نفسي وغيبتني عن حسي اما الاستاذ فحل في الحال منطقة جوفاء مشدودة على وسطه تحت اثوابه الرثة وكانت جميع نقوده في جوفهـا وعند فوهتها دفتر المحفوظات مطوياً ليمنع خروج النقود عند الاضطراب العنيف فرفع الدفتر واخذ باصابعه ثلاثة ريالات ونقدها للدليل وهو يرتجز متبسما

تطلب مني الجعل يا هنس اجل　　لا عاش من امسك حقاً او اجل
ديناً صحيحاً بعد ان جاء الاجل　　فخذ وانت اليوم في عيني اجل
من كل من احرز مالاً او اجل

ثم ضمه الى صدره وبين له بصريح العبارة اننا مدينان له بالحياة كلانا ودين الحياة لا يوفي بمال فتبسم الدليل عند ذلك تبسم الرضى وخيل لي ان عينيه اغرورقتا بالدموع فاخذني العجب من ذلك لانني كنت قد حسبت ذلك الرجل بدون قلب بعد ان رأيت منه ما رأيت من الصبر في مقام الضيق ومن البأس في موقف الخطر



او لم يروا منظر الاستاذ منتطقًا ودون صورته شكل العفاريت (صفحة ٣٠٥)

وفي صباح اليوم الثاني انتقلنا الى ثغر مسينا على ظهر سفينة شراعية وبعد ان اقمنا في هذه المدينة ثلاثة ايام مكرهين على الانتظار عرجت عليها السفينة البخارية المسماة فولترنة من سفن شركة الميساجري الفرنساوية وكانت شاخصة الى مرسيليا فركبنا ظهرها وحللنا بتلك المدينة في اليوم السادس من شهر سبتمبر ثم ركبنا قطار السكة الحديدية وفي اليوم الثامن من الشهر وصلنا الى مدينة همبرج ليلاً ولم يشاء الاستاذ ان يعلم احد بقدومنا قبل ان نلقي عصا التسيار ونستريح من تعب الاسفار فدخلنا المدينة سكوتًا وكلما عرفنا انسانًا مقبلاً انحرفنا عن طريقه يمنةً او يسرةً حتى اذا انتهينا الى منزلنا دق الاستاذ الباب بعنفه المعتاد

فسمعت مرتا من داخل المنزل تقول ابشري يا غريبة قد خرج ابوك من الارض واستبقنا الباب مستبشرتين فتلقيناه لنا ولا تسل عما كان عند السلام من السرور والفرح الموفور ولم يلبث عمي ان تركنا في السلام والكلام ودخل يتفقد مكتبته ومتحفه وعند ذلك نظرت الى غريبة قائلاً

لقياكِ مطلبي وغاية مقصدي　　وشفاء اسقامي واعذب موردي
وحديثك السحر الحلال لغلتي　　اروى من الماء الزلال لدى الصدي
ولقد ذكرتك والخطوب دوائر　　حولي كما دار السوار على اليدِ
والنار في البركان شب ضرامها　　والطوف طواف بنا لا يهتدي
فطربت من نظر اللهب لانهُ　　يحكي تلهب خدك المتوقدِ

ثم اخذت اشكو لها اشواقي وهي تبثني ما لاقته من فراقي

تساقط فوق الترب منا لآلئ　　فدمعي احياناً وحيناً حديثها

وبعد ذلك دخلت على عمي فوجدته يقلب مجموعته ويرتبها وهو يتبسم فقلت لهُ اين هذا مما رأيناه عندنا في بحر ليدنبروك فقال واين ما رأيناه بالعدوتين مما كنا نراه في مركز الارض لو تيسر لنا الوصول اليه

ثم قمنا الى الرقاد وما استقرت جنوبنا على الفراش حتى سكرنا من قهوة المنام لا من نشوة المدام

فكم من قبل بت على صخور　　ونمت على مهادٍ من حجاره
وكان تدثري بالارض حتى　　خشيت الموت من هول الحراره

وكان خبر توجهنا الى قلب الكرة الارضية قد ذاع على يد مرتا ثم اثبتته الاخبار انني انت من ايسلاندا فما شاع خبر رجوعنا في همبرج حتى غص منزل عمي بالزائرين من اهل المدينة نساءً ورجالاً شيوخاً واطفالاً ثم تناقلته الرواة ونشرته السنة الجرائد فلم يبق في اوربا شخص الا وتحدث في الامر

وبعد وصولنا بايام القى الاستاذ مقالةً عن رحلته في دار المدرسة الكبرى

بهمبرج حضرها عدة اشخاص من اشهر علماء العصر بيّن فيها اكتشافاته الخطيرة ورفع القناع عن وجه حقائق كثيرة فعظم قدره عند القوم

وما يكسب الذكر الجميل سوى العنا وجوب الفيافي واقتحام المخاوف

وقد تناقلت الجرائد العلمية اقواله وهي بين مصدقة ومكذبة وجردت العلماء اقلامها للمناضلة والمعارضة وكان مدار معظم البحث والجدال على تلك المسالة التي لم اكن انا وعمي متفقين عليها وهي مسأله الحرارة المركزية

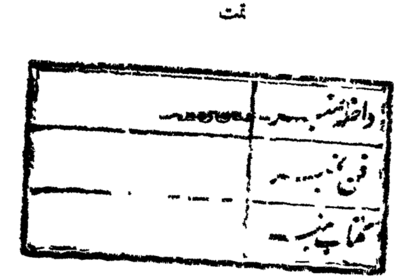
وبالجملة اقول انهُ لم يبقَ في المانيا ولا في غيرها من البلاد الاوربية احد الا وسمع بذكر الاستاذ اوتو ليدنبروك وابن اخيه اكسيل فطابت نفس الاستاذ بما نال من الشهرة وعلو المنزلة وقرت عينه بما رأى من الاكرام والاحترام واصابني شيء من ذلك الفخر الا ان عيشي لم يهنأ الا بعد اقتراني بابنة عمي غريبة وهي الان بجانبي

ولقد عزمت فيما بقي من عمري ان لا اركن للدعة ولا اسكن الى السكون فقد وجدت الفخر معقوداً بنواصي الاعمال وبحسبها تتفاوت مقادير الرجال ولولا تجشمنا تلك الاهوال ومخاطرتنا بالارواح والاموال لما وجدنا الى بعد الصيت سبيلا ولا خلد لنا التاريخ ذكراً جميلا

من اين يكتسب المحامد لاهي ام كيف يرقى للعلا بالله

وعلامَ يلهو والثناء على الفتى لا ينتهي وعناؤه متناهي

تمت



خطاء	صواب	صفحة	سطر
ثقريبًا	نصف جيل تقريبًا	١٢	٢٠
وثمانين	والثمانين	٢٢	١٩
فقط	قط	٢٥	١٠
اني كررت	على اني كررت	٢٨	٨
(صفحة ٥٣)	(صفحة ٥٥)	٥٤	١
اشبه	اشبهه	٦١	
الموش	الموث	٩٣	
النفود	النفاد	٩٦	
نفود	نفاد	٩٨	
كالة	كانة	١٠٣	١٣
قلت	قال	١١٦	٧
الحارة	الحرة	١١٩	٩
المال	الماء	١٤٤	٨
لي	الى	١٤٦	٢٣
الطواف	الطوف	١٦٠	١٨
العين	العينين	١٧٦	٥
طريقة	طريقًا	١٨١	١٢
فتبعه	لنتبعه	١٨٢	١٧

وغير ذلك من هفوات الطبع مما لا حاجة الى التنبيه اليه